438

HARLEQUIN

روايات أحلام

فتاة الزنبق

سارة كريفن

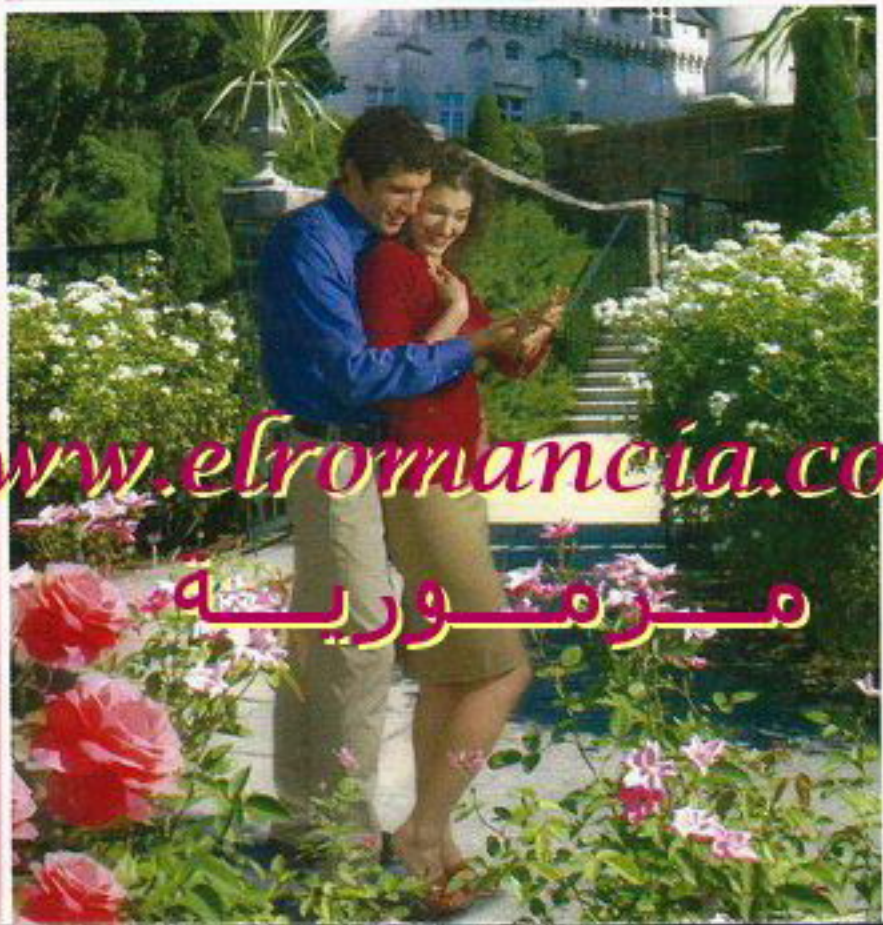

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

فتاة الزنبق

قال دانيال بخشونة: "يا إلهي. لاين. هذه ليلة زفافنا. هل تريدين أن أركع على ركبتي وأتوسل إليك؟"

ردت بنبرة عنيفة: أنت لا تصغي إلى ما أقوله. يجب أن تفهم أنني لا أستطيع تحمل البقاء بقربك. أنا أفضل الموت على البقاء معك. لأن كل شيء انتهى.. انتهى. هل تسمعني! ما كان يجب أن أكون هنا. وما كان علي القبول بالقيام بهذا الأمر المخيف".

ارتفع صوتها بشكل عاصف: "عليك أن تتركني وشأني".

راقبت وجهه يمتلىء غضبا وكرها. سمعت صوته يصلها عبر أجواء مليئة بالمرارة: "لا تقلقي أيتها الكاذبة. المخادعة. سأدعك وشأنك. لن ألوث يدي بك حتى لو أتيت زاحفة على الزجاج المكسور".

بعدئذ رحل دانيال. فارتمت لاين على سرير زواجها الفارغ. شعرت بالألم في حلقها يكاد يخنقها. إلى درجة جعلتها عاجزة عن البكاء.

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-406-0

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Innocent on her wedding Night
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Sara Craven 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 406 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ساره كريڤن

بدأت ساره كريڤن بالكتابة لشركة «ميلز آند بونز» سنة ١٩٧٥، وقد باعت منذ ذلك الحين ما يناهز السبعة عشرة مليون نسخة من كتبها في أنحاء العالم. وهي تهوى إلى جانب الكتابة، مشاهدة الأفلام والاستماع إلى الموسيقى والطهو، كذلك تناول الوجبات اللذيذة في مطاعم فخمة. تعيش ساره كريڤن الآن في مدينة «سومرسيت» وهي متمرّسة في متابعة برامج المسابقات التلفزيونية والمشاركة فيها.

١ - لقاء وجفاء!

ما إن انطلق المصعد برحلته إلى الطابق الرابع، حتى وضعت لاين سنكلير حقيبة سفرها الكبيرة أرضاً، وحركت أصابعها المتشنجة، ثم تراجعت واتكأت على الجدار المعدني.

أوصلها الأدرينالين إلى هنا بالرغم من الغضب وخيبة الأمل، وبالرغم من التعب والارهاق اللذين أصاباها أثناء السفر، بالإضافة إلى كاحلها المتورم الذي يؤلمها بشدة.

ما من أحد في الشقة في هذا الوقت. جيمي في عمله، ولن يكون هناك من يدللها على الرغم من احتياجها المطلق إلى ذلك. لكن من المؤكد أنها ستنعم بالهدوء والسلام لفترة قبل بدء انهمار الأسئلة عليها؛ ما الذي أتى بك؟ ما الذي حدث لعملك في السفينة؟ أين هو آندي؟

ما إن توقف المصعد وفتحت الأبواب حتى رفعت لاين حقيبتها، ثم خرجت إلى الممر، إلا أنها أجفلت عندما آلمها كاحلها. دخلت الشقة، ووضعت حقيبتها على الأرض، ثم وقفت تحدق بإعجاب حولها في غرفة الجلوس الكبيرة مع المطبخ الصغير المواجه لها. هذا الجزء يمثل المنطقة المحايدة من الشقة التي تضم أيضا غرفتي النوم الرئيسيتين المواجهتين لبعضهما وهي المساحة المشتركة بينهما هي وجيمي.

لاحظت وهي ترفع حاجبيها، أن الشقة تبدو مرتبة على غير عادتها. ما من زجاجات فارغة أوجرائد مجمعة أوعلب كرتون فارغة من بقايا الأطعمة، وهي علامات مميزة في حياة أخيها.

أيكون تذمرها الدائم قد أعطى نتيجة في النهاية، ولم تعد بحاجة إلى تنظيف

www.elromancia.com

الممر لتتمكن من الوصول إلى غرفة نومها النظيفة؟

مع تلك الفكرة لمعت برأسها فكرتان: الأولى، باب غرفتها مفتوح في حين أنه يجب أن يبقى مغلقاً. والثانية، يمكنها أن تسمع بوضوح أن هناك من يتجول في داخلها.

حسناً! أنا لم أتواجد في هذه الشقة منذ أكثر من شهر. ربما بدلت السيدة آرثر، التي تنظف الشقة، دوام عملها، وربما لهذا السبب يبدو المكان نظيفاً للمرة الأولى. فتحت شفتيها لتعلن حضورها وتتأكد مما تفكر به، لكن الكلمات لم تخرج من فمها مطلقاً. بدلاً من ذلك فتح باب غرفتها على مصراعيه، وخرج رجل شبه عار ليدخل إلى غرفة الجلوس.

أجفلت لاين، وأغمضت عينيها، ثم تراجعت إلى الوراء بسرعة. فتعثرت بحقيبتها التي وضعتها على الأرض قبل قليل. ارتطمت الحقيبة بكاحلها من جديد، ما أرسل وخزات من الألم في ساقها كلها جعلت أسنانها تصطك على بعضها. أطلق المتطفل شتيمة، ثم اختفى داخل الغرفة التي غادرها للتو، تاركاً لاين واقفة هناك وكأنها تحولت إلى حجر. صوت مرعب ضعيف في رأسها أخذ يهمس بتوسل: لا... آه! لا...! هي تعرف هذا الصوت. تعرفه جيداً كما تعرف صوتها تماماً، مع أنها لم تتوقع مطلقاً أن تسمعه من جديد.

لم تشك للحظة بهوية الدخيل، لذا أمسكت حقيبتها واستدارت لتغادر المكان على الفور. ما إن أصبحت في منتصف الطريق وهي تتجه نحو الباب حتى سمعت صوته مرة ثانية: «لاين؟!».

تلفظ باسمها الكامل بنبرة كريهة تحمل شيئاً من القرف والاشمئزاز.

- من بين كل سكان العالم... ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟

بطريقة ما تمكنت من التلفظ باسمه. قالت بصوت عالٍ: «دانيال... فلاين؟!».

استدارت لاين ببطء وحذر، وهي تشعر بجفاف في فمها. لاحظت أنه لفّ جسمه بمنشفة كبيرة. وقف دانيال عند مدخل غرفة نومها، وقد لامس كتفه العاري بزهو وكبرياء إطار الباب.

فكرت وهي تشعر بالخدر يسيطر عليها أنه لم يتغير كثيراً خلال السنتين الماضيتين، فشعره الأسود القاسي يلمع من الرطوبة، أما وجهه النحيل الواضح المعالم وخداه البارزان وفمه المنحوت فما زالت تسبب لها اضطراباً في دقات قلبها كالعادة.

جالت نظراته من رأسها حتى قدميها. حدقت بها عينان بلون البندق من تحت رموشه الكثيفة السوداء، متأملة سروالها الأبيض الواسع المصنوع من الكتان وقميصها المجعدة ذات اللون الأزرق الداكن.

رفعت لاين ذقنها بكبرياء، محاولة أن تتجاهل توهج خديها من الخجل والاحراج، وقالت: «ما الذي تفعله هنا؟».

بدا وجهه الأسمر مليئاً بالعداوة نحوها حين أجاب: «أستحم. أليس هذا واضحاً؟».

- والأمر الأكثر وضوحاً هو أن ليس هذا ما أقصده.

حاولت بقوة أن تبقي صوتها ثابتاً، لأنها تريد أن تحظى ببعض القوة والسيطرة على هذا الوضع المزعج والمفاجئ، فتابعت: «أنا أسألك ما الذي تفعله في هذه الشقة؟».

قال: «لكن أنا سألتك أولاً. ما الذي تفعلينه هنا بدلاً من إعداد الشراب المثلج في مؤخرة السفينة».

أجابت لاين ببرودة: «كل ما عليك معرفته هو أنني الآن في منزلي، وأنني أريد البقاء فيه، لذا بإمكانك أن تذهب بعيداً عن شقتي، قبل أن أتصل بالشرطة كي تخرجك بالقوة».

بدت نظرته مليئة بالازدراء قبل أن يقول: «آه! من المفترض أن أرتجف وأطيع. أليس كذلك؟ لا مجال لذلك عزيزتي إلا إذا كان أخوك العزيز قد خدعني. وبصراحة أنا لا أعتقد أنه يجرؤ على القيام بذلك، فنصف هذه الشقة له، وأنا أستعمل هذا النصف بالتحديد».

سألته لاين ببطء: «أأنت... تعيش هنا؟ بأي حق؟».

أجابها: «الذي عقد إيجار لمدة ثلاثة أشهر، تمت صياغته بطريقة قانونية،

وهو قيد التنفيذ».

شعرت بقلبها يدق بعنف وبدون انتظام بين ضلوعها، وقالت: «أنا لم أوافق على هذا العقد».

قال يذكرها: «أنت لم تكوني هنا، وجيمي أكد لي أن تلك العلاقة الغرامية السعيدة ستستمر، إذ اعتقد أنك وصاحب تلك السفينة ستبقيان معاً لفترة طويلة».

نظر إلى يدها اليسرى الخالية من أي خاتم زفاف، ثم لوى شفتيه قائلاً: «أم تراه فهم ما قلته بطريقة خاطئة؟».

فكرت لاين، بالطبع! بطريقة خاطئة تماماً. لكن في ذلك الوقت بدا لها أن من الأفضل أن يعتقد جيمي ذلك. قالت بصوت عالٍ: «حصل تبديل طفيف في الخطة».

قال: «أحقاً؟ إذاً، هل تركت خلفك ضحية أخرى؟ أخشى أن يصبح هذا الأمر عادة لديك».

انتظر لدى سماعه تنفسها العميق الذي لم تستطع أن تتجنبه، ثم أكمل بصوت ناعم: «مهما يكن الأمر، قررت الإقامة في الشقة أثناء غياب أخيك في الولايات المتحدة».

رددت كلامه بصورة آلية: «غياب... من؟ ومنذ متى...؟».

- منذ ثلاثة أسابيع. وهذا... وضع مؤقت.

- ولماذا لم يخبرني؟

صوته الأجش بدا أكثر وضوحاً وهو يوضح: «حاول جيمي الاتصال بك، إلا أن الاتصالات الهاتفية أو حتى الفاكس عبر مكتبك بقيت من دون إجابة».

رفع دانيال كتفيه، ما جذب انتباهها رغماً عن إرادتها إلى عضلاته القوية. فقالت من خلال أسنانها: «لنفرض أن هذا الاتفاق قانوني، إلا أنه لا يفسر سبب خروجك من غرفة نومي».

قال وهو يبتسم: «إنها الآن غرفتي... طوال فترة الإيجار. أخيراً ها أنا

أنام في سريرك، عزيزتي. وهكذا أصبح لدي فكرة أستمتع بها».

صاحت لاين محتجة: «لا! هذا الأمر مستحيل بالنسبة لي».

قال دانيال بنعومة: «دغدغت هذه الفكرة أحلامك في وقت من الأوقات، وحملت لك السعادة ولو لوقت قصير».

علقت لاين بحدة: «حصل ذلك قبل أن أتحول إلى مخادعة وكاذبة ومستهترة، فهذا ما قلته عني بالتحديد».

قال: «ما تقولينه صحيح، لكن الانتقال للعيش في غرفتك ليس فيه إساءة، وليس سببه الحنين إلى ما كان يجب أن يحدث بيننا».

لوى شفتيه بسخرية وتابع: «ببساطة... هو مجرد أمر ملائم لي».

تابعت لاين كلامها كأنه لم يقل شيئاً: «مهما يكن، يجب أن تفهم أنني لا أرغب في العيش تحت سقف واحد معك الآن، تماماً كما كان عليه الأمر منذ سنتين».

وافقها بالقول: «يمكنني أن أرى أنها مشكلة بالنسبة لك».

- يسعدني أن أرى أنك مستعد للتفكير بمنطق.

فاجأها ذلك بالفعل، وهذا دفعها لتتنفس بهدوء أكثر قبل أن تتابع: «إذاً، لِمَ لا تقدم على تدابير فورية لتنتقل أنت وكل ما تملكه إلى مكان أفضل وأكثر مَلاءمة لك؟».

ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «ما يحصل هنا هو مشكلتك وحدك، ولا علاقة لي بالأمر، لأنني لن أذهب إلى أي مكان، وما تقررينه هو شأنك الخاص».

قالت بصوت مرتجف: «لكنك لا تريد أن تعيش هنا حقاً».

- لِمَ لا؟ قبل هذه الدقائق الخمس الأخيرة، كنت سعيداً جداً.

- لَكن هذا المكان دون مستواك، فهو ليس منزلاً رائعاً يليق بمليونير...

توقفت عن الكلام قليلاً لتفكر، ثم أكملت: «... إلا إذا تمت تصفية مؤسسة النشر العالمية، وبما أنك أنت من يدير شؤونها، فهذا كل ما تستطيع الحصول عليه هذه الأيام».

www.elromancia.com

قال دانيال وقد خلت ملامح وجهه من أي تعبير: «آسف لتخييب أملك، لكن الأعمال تسير على أتم ما يرام، وأنا باق هنا لأن الأمر يناسبني ولو بشكل مؤقت».

ضم ذراعيه إلى صدره وتابع: «واجهي الأمر، لاين. أنت اخترت العودة من دون أن تخبري جيمي على الأقل من بين كل الناس، فهو يعتقد أنك لن تعودي إلى هنا مطلقاً. مهما يكن، أنا وقعت اتفاقاً مع جيمي، لذلك يمكنك استعمال النصف الآخر من الشقة إذا رغبت في ذلك».

لم تنظر لاين إليه وهي تقول: «هذا أمر مستحيل، وأنت تعلم ذلك جيداً».

أجابها: «في الواقع، لا أعلم شيئاً. إن أردت البقاء أو الذهاب فالأمر سيان لدي. إلا إذا كنت تخدعين نفسك ظناً منك أنني ما زلت أحمل بعض الميل الطفيف إليك. إن كان الأمر كذلك ففكري جيداً».

توقف عن الكلام وظهر التهجم على وجهه. راقب كيف تلون خداها من الإحراج، ثم تابع: «... لكني أحذرك أنني لن أتحمل أية إهانة منك، كما أن الاعتماد على طيبة قلبي لن تنجح أيضاً».

-لم أكن أعلم أنك طيب القلب.

تجاهل دانيال تعليقها، وقال بعد قليل: «إن كنت لا تريدين المشاركة في الشقة، فارحلي».

قالت: «هذا بيتي، وليس لدي مكان آخر لأذهب إليه».

-إذاً افعلي ما قلته لك.

أضاف بعد قليل بشيء من القسوة: «مع أنني أشك بصعوبة الأمر، لكن أنت وأخوك تدينان للناس بالكثير من المواقف الحسنة».

نظر إليها من دون اهتمام، وتابع: «إن قررت أن البقاء هنا أفضل من الذهاب إلى مكان آخر، أقترح عليك التوقف عن الشجار والبدء بتنظيم أمورك، فلديك عمل يحتاج إلى وقت طويل جداً».

استدار دانيال ليغادر الغرفة وهو يقول: «ولا تطلبي مني أن أعيد لك غرفتك، فقد رفضت ذلك من قبل».

قالت لاين من بين أسنانها: «ما كنت لأحلم بذلك. في النهاية، وبعد مرور عدة أسابيع سترحل، وحتى حلول ذلك اليوم السعيد سأخيم في غرفة جيمي».

رمته بتلك الكلمات مع أنه أغلق باب الغرفة وراءه.

للحظة، وقفت لاين في مكانها تحدق بالباب الخشبي. قالت لنفسها إنها تعيش كابوساً، وإنها ستستيقظ في لحظة ما لتجد أن كل ما عاشته في الدقائق الأخيرة قد زال. شعرت أنها ترتجف بقوة من الداخل، وكل ما رغبت به هو أن ترتمي على الأرض وتبقى هناك. لكن دانيال قد يخرج من الغرفة في أية لحظة، وآخر ما تريده هو أن يجدها رابضة على الأرض المخططة اللماعة عند قدميه، كأنها حيوان صغير جريح. لم يخطر ببالها لحظة أنها قد تراه من جديد، أو تقابله وجهاً لوجه كما حصل الآن. فقد أقنعت نفسها أنه خرج من حياتها إلى الأبد. تعمدت أن تذهب إلى مكان بعيد كي توفر على نفسها الألم إذا ما لمحته ولو للحظة واحدة عن طريق الصدفة، آملة أن تتلاشى الذكريات التي جمعتهما شيئاً فشيئاً. لكن ها هو هنا من جديد، ويبدو أن ذلك الشعور بالعار والعذاب الذي تحمله من ماضيهما سيبقى حياً ومؤلماً لديها إلى الأبد.

قالت لنفسها بعناد: لن أسمح له بأن يعتقد أنني ما زلت أهتم لأمره. لا أستطيع تحمل ذلك. علي أن أقنعه أن الأمر لا يعنيني مطلقاً أنا أيضاً، انتظرت الى أن هدأت دقات قلبها وانتظمت أنفاسها قليلاً، ثم سارت ببطء نحو غرفة جيمي، محاذرة أن تثقل كاحلها المتورم أثناء السير.

أدارت مقبض الباب ودفعته ليفتح، لكنه قاوم بعناد. وضعت لاين كتفها عليه وراحت تدفعه إلى الداخل محاولة الحصول على فتحة واسعة بما يكفي لتتمكن من المرور من خلالها، وما إن نجحت في مسعاها حتى أجفلت. توقفت كمن أصيب بصاعقة، وشهقت من خيبة الأمل.

ما رأته لم يكن غرفة نوم بالتحديد، بل مخزناً لمختلف الأغراض، فكل بوصة من المكان ملئت بشيء ما. رأت مجموعة من الصناديق موضوعة على الأرض، إلى جانبها أقفاص مليئة بالكتب والأقراص المدمجة، بالإضافة إلى عدد من

الحقائب المختلفة الأحجام القديمة الطراز. لاحظت وهي غير قادرة على تصديق ما تراه أن فراش السرير الخالي من أية أغطية مغطى بأكمله بمحتويات خزانتها، وأن الأشياء التي تعيق فتح الباب هي مجموعة من الصناديق المختلفة الأحجام التي وضعت على الأرض بصورة عشوائية مشكلة كومة كبيرة. إنها بحاجة الى ساعات من العمل لتتمكن من تأمين مساحة كافية فقط للسير في الغرفة، وهذا ما تحتاجه أيضاً لتصل الى مكان الاستحمام أو النوم الذي هي في أمس الحاجة إليه.

شعرت بالدموع تحرق عينيها. فبعد كل المشاكل المروعة مع آندي، ها هي تعود إلى منزلها لتجد هذه الفوضى! بالإضافة إلى وجود اللعين دانيال فلاين. إنه ينام في غرفتها، ويستعمل هذه الغرفة كمستودع لوضع حاجياته.

تمتمت بغضب، محطمة كل إحساس بالشفقة على النفس: «لو أنني أستطيع الوصول إلى النافذة، لرميت هذه القذارة كلها إلى الشارع».

لقد أفرغ كل ما تملكه على السرير. مجرد التفكير بذلك جعلها تتكمش على نفسها. لن ينجو بفعلته تلك! أقسمت بذلك وهي تعرج عائدة إلى غرفة الجلوس، ثم تطرق بقوة على باب الغرفة الأخرى.

فتح الباب على الفور، وواجهها دانيال بوجه عابس. كان قد ارتدى سروال جينز، لكنه لا يزال حافي القدمين، عاري الصدر. شعرت لاين بجفاف في فمها ما إن عاودتها الذكريات التي تهرب منها.

سألها: «ماذا تريدين الآن؟».

قالت بصوت مضطرب: «الغرفة الأخرى تصلح زريبة للحيوانات. إنها مكب للنفايات. أريد أن أعرف ما الذي تنوي أن تفعله بشأنها».

أجابها بضيق: «لا شيء، فتلك الأغراض لا تخصني. هذه ليست مشكلتي».

شهقت لاين وسألته: «ماذا تقصد بحق السماء؟ إنها مليئة حتى السقف بأشياء تخصك، وأريدك أن تنقلها من هناك على الفور».

لوى شفتيه باستهزاء وقال: «عملك في البحر لم يذهب سدى. ماذا هناك

أيضاً في برنامج عملك، سيدتي القائدة؟ أيقتصر الأمر على التوبيخ أم يتعداه إلى القصاص الصارم؟».

أشارت بإصبعها نحو الغرفة وراءها، وقالت: «تلك هي الجهة التي أشغلها الآن من الشقة، وأريد أن أراها خالية».

-إذاً أقترح عليك أن تبدأي العمل منذ الآن.

بدا كأنه يشعر بالملل من رؤيتها وهو يتابع: «مع أن الله وحده يعلم أين ستضعين تلك الصناديق. من أجل توضيح المسألة فقط، لا علاقة لي بأي شيء في تلك الغرفة. بعض تلك الأغراض هي لأخيك، لكن الجزء الأكبر منها هو لفتاة تدعى ساندرا. وأعتقد أن تلك الفتاة رافقته في رحلته إلى نيويورك».

حدقت لاين به غير مصدقة: «جيمي ترك كل هذه الأشياء، وتركني لأتعامل مع تلك الفوضى المرعبة؟ آه! لا يعقل أنه فعل ذلك».

ابتسم دانيال بسخرية، وعلق قائلاً: «ألا يفعل؟ إذا كنت ترغبين في التحدث بالأمر معه، بإمكاني أن أعطيك رقم هاتفه في ماناتن».

أجابت بضيق وتوتر: «من فضلك، لا تزعج نفسك. سأتولى الأمر بنفسي».

قررت أن تستدير على الفور وتسير مبتعدة، بعد أن رفعت رأسها عالياً، لكن بينما هي تستدير شعرت بطعنة قوية جداً من الألم في كاحلها جعلتها تصرخ بصوت عالٍ وتترنح.

بخطوة واحدة سريعة أصبح دانيال قربها. وضع يده تحت مرفقها وهو يقول: «ما الأمر؟».

-لا تلمسني!

حاولت أن تبتعد عنه، لكنه رأى الضمادة على قدمها فشد قبضة يده على مرفقها. سألها: «ماذا فعلت بنفسك بحق السماء؟».

أجابت باقتضاب: «التوى كاحلي. هذا كل شيء. من فضلك دعني وشأني، ولا داعي لهذه الجلبة».

- لست أنا من يزعق من شدة الألم.

رفعها دانيال بين ذراعيه، وحملها إلى أحد المقاعد الطويلة الموضوعة أمام المدفأة، ومددها على الوسائد. مع أن تصرفه هذا لم يكن سوى وليد اللحظة الراهنة، لكنه أجبرها على التذكر بكل ما لديها من وعي نعومة بشرته ورائحتها العطرة.

فكرت، آه... يا إلهي! أنا لست بحاجة لذلك... وانتشر إحساس بالرعب في أعماقها.

ركع دانيال أمامها، وبدأ بنزع الضمادة عن كاحلها.

قالت بتوتر: «يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي».

رماها بنظرة ساخرة، وعلق قائلاً: «والآن، من الذي يثير جلبة بسبب أمر تافه؟».

التزمت لاين الصمت شاعرة أن وجهها يتقد من الخجل والارتباك. حدقت من وراء كتفه، وهي تعض بأسنانها على شفتها السفلى، بينما راح دانيال يعاين مفصل قدمها المتورمة. سألها: «متى حدث ذلك؟».

رفعت كتفها، وقالت: «منذ يومين».

قال بحزم: «كان عليك أن تريحيها على الفور، لذا يجب أن تبدأي منذ الآن».

نهض برشاقة، وتوجه إلى المطبخ. عاد بعد عدة دقائق وهو يحمل كيساً مليئاً بمكعبات الثلج.

- خذي! ضعي هذا عليها.

أطاعته لاين على مضض، وبدت تعابير الثورة على وجهها بينما راح دانيال يثبت كيس الثلج بالضمادة التي نزعها عن قدمها.

قالت بضيق ما إن أنهى عمله: «شكراً لك».

-لا داعي للشكر.

تابع بنبرة لاذعة وهو يقف باستقامة: «الدي اهتمام ثابت وأكيد بأن أرى ساقيك تعملان بصورة جيدة، فالبحث عن عمل يحتاج إلى الكثير من الجهد، وأنت بحاجة إلى راتب بدون أي تأخير».

وعاد ليختفي في المطبخ، تاركاً إياها تشهق من الغضب. عندما عاد، كان يحمل كوباً من الماء موضوعاً على صحن، إلى جانبه قرصان من الدواء. قال: «هيا! خذي هذه».

-وما هي تلك؟

قال بصوت لاذع: «مخفف للألم... ولا تقلقي، فلن تستيقظي لتجدي نفسك في مكان سيء السمعة».

فيما هي تبتلع الدواء على مضض وتعيد له الكوب فكرت: لو أنك تملك أدنى فكرة عما حدث في الأيام القليلة الماضية، لربما ستفهم لماذا أنا مشدودة كالأسلاك، لكنك لا تعلم. في مطلق الأحوال، أنت هو الشخص الأخير في العالم الذي يمكنني أن أخبره بما حدث.

نظر إليها دانيال بتجهم، وسألها: «سأعد القهوة. هل تريدين فنجاناً؟».

هزت لاين رأسها، وقالت: «لا! شكراً».

اتكأت إلى الوراء على الوسائد، وأغمضت عينيها وهي تفكر بحزن، التخلص من رؤيته ستكون البداية. بداية صراع طويل وقاس لتتخلص من الذكريات التي أثارها فيها، والتي فشلت السنتان الأخيرتان اللتان مرّتا في محوها. لكن حواسها ظلت متأثرة به حتى بعد أن سار مبتعداً. يا له من أمر محزن! كيف يمكنها أن تتأثر بهذا القدر برجل دمر ثقتها بنفسها وبكل ما حولها، فتركها مشتتة ضائعة.

شعرت بحركته وهو يستخدم أدوات المطبخ، فتحركت بعدم ارتياح على الوسائد. آه، يا إلهي! الأسابيع القادمة ستكون نوعاً من العذاب الذي لا يمكن لأي مهدىء للآلام أن يسكنه. لكن مهما كان شعورها، فلن تستطيع الانتقال من هنا على الفور، ومن المحتمل أنه يعرف ذلك. لطالما تمنت أن تكون متألقة جداً بنجاحها وبسعادتها إذا ما التقيا صدفة يوماً ما، كي تتمكن من التحديق بعينيه بدون أي اهتمام. لكن يبدو أن للقدر خطة مختلفة تماماً. لا فكرة لديها مطلقاً كم هو المبلغ المتبقي من المال في حسابها المصرفي، لكنه بالتأكيد ليس بذي أهمية. فقد استعملت ما لديها من مال في بطاقة اعتمادها

www.elromancia.com

لشراء بطاقة السفر للعودة إلى بلادها. ومع رحيل جيمي، لن تستطيع حتى أن تحصل على قرض مؤقت.

- لا تستسلمي للنوم، لاين.

صوته جعلها تقفز مجفلة، وهي تسمعه يتابع: «حاولي أن تتأقلمي مع الوقت في لندن، وإلا فإنك ستعانين من آثار السفر لعدة أيام».

فتحت عينيها على مضض، ونظرت إليه، فرأت أنه يحمل في يده كوباً كبيراً.

- أقترح عليك أن تشربي هذا، فأنت بحاجة إلى الكافيين لتتمكني من الاستيقاظ.

جلس على الأريكة قبالتها، وراح يراقبها بعينين ضيقتين.

- ما هي خطة عملك الآن بعد أن اصطدم شريكك البحار بالصخور؟

لفها التوتر، وقالت بنبرة هجومية: «أنا لم أقل ذلك بالتحديد».

- لا داعي لتقولي ذلك.

رشفت لاين رشفة من القهوة وهي تحاول أن تجد جواباً مقبولاً.

- لنقل فقط إنني وشريكي اكتشفنا أن لدينا أفكاراً متناقضة ومتضاربة. أظن ذلك كافياً.

رفع دانيال حاجبيه بسخرية، وعلق: «حسناً! لا شك أن ما قلته مألوف لدي».

شعرت بأحشائها تعتصر من الألم المفاجىء، لكنها قالت بهدوء: «أتمنى ألا تتحدث عن الأمر أكثر من ذلك».

قال دانيال بنعومة: «رفض التحدث عن الأمور هو أشبه بمحاولة تغطية بركان. ألا تعتقدين ذلك؟».

قالت بحزم وعناد: «لا! لا أعتقد ذلك. أعتقد أنه يجب على المرء الاحتفاظ بخصوصيته».

- أهذا السبب لم يستطيع أحد الاتصال بك في فلوريدا؟

لا! فكرت بضيق أن سبب ذلك هو أن آندي لم يدفع إيجار المكتب، فقام

المالك بإقفاله. لكنني لم أعلم بالأمر في ذلك الوقت. أجابت: «أنا وجيمي شقيقان، لكن لكل منا حياته الخاصة واستقلاليته».

- أنت توقفت عن الاتصال بأخيك، أما أنا وجيمي فبقينا على اتصال دائم خلال الأشهر الماضية.

شيء ما في كلامه أو ربما في صوته جعلها تشعر بوخز غريب في عمودها الفقري.

في الواقع، ما من داعٍ لأن تتقاطع طريقيهما. جيمي شخص عادي يعمل في شركة للمحاسبة في المدينة، أما دانيال فقد ورث إمبراطورية عائلته، وأصبح صاحب سلطة قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره. كما أن دانيال هو صديق سيمون، وليس أي شخص آخر. سيمون... أخوها الأكبر المميز، والصبي اللامع الذي يكبرها بعشر سنوات. فكرت بذلك وهي تشعر بألم حاد مدمر. لطالما كان سيمون الصديق المفضل لدانيال منذ أيام المدرسة. كلاهما عملا في السلاح الجوي، وكانا من الأعضاء المميزين في لعبة الكريكيت، وفي فريق التنس. لكن هناك يتوقف التشابه بينهما. دانيال هو الابن الوحيد لأب مندفع وجه كل طاقاته وعاطفته نحو العمل بعد وفاة زوجته، ساعياً وراء التوسع والربح بنهم لا يشبع، ولم يترك لابنه الصغير سوى القليل من وقته. في أيام العطل المدرسية كان الصبي يُترك تحت رحمة فريق العمل الذي يعينه والده ويدفع له، أو ينتقل للإقامة مع معارف والده المختلفين، والذين لديهم أولاد في مثل سنه. أما سيمون فعاش في كنف أمه واثنين من الأخوة الأصغر منه سناً في آبوتسبروك، ذلك المنزل الرائع مع حديقته الكبيرة، حيث كان يأتي إليه في كل عطلة صيف وبعد نهاية كل فصل دراسي.

كان روبرت فلاين يوافق على أن يمضي ابنه جزءاً من العطلة مع عائلة صديقه، ولطالما قالت أنجيلا سنكلير إن المنزل معتاد على استقبال الضيوف، لذا فإن ضيفاً جديداً لن يشكل أي فرق.

إلا بالنسبة لي! فكرت لاين بذلك وهي تشعر بألم مفاجىء. فقد شكل حضوره كل الفرق في العالم بالنسبة لها... لكن تلك المنطقة محرمة عليها،

www.elromancia.com

وهي لا تجرؤ على الذهاب إلى هناك، لا سيما الآن.

أنهت احتساء قهوتها، ووضعت الكوب على الأرض.

- أنت وجيمي لستما صديقين. أليس كذلك؟ لطالما اعتبرته أدنى مستوى منك. ومن المؤكد أنك لا تواجه مشكلة في إيجاد مكان تمكث فيه، فلماذا أنت هنا إذاً؟

- إنه اتفاق مناسب لنا معاً.

لكنها تابعت بعد قليل: «كما أن «كوبر دايموند» لا تملك فروعاً في نيويورك، فما الذي يفعله جيمي هناك؟».

قال دانيال: «إنه يعمل لدي، في القسم الملكي في هيروند لابوكس».

تضاعف إحساسها بالقلق والتوتر، وسألته غير مصدقة: «أيعمل لديك؟ لماذا بدل عمله؟».

- ربما كان هذا موضوعاً آخر يجب أن تبحثيه معه؟

أنهى دانيال شرب قهوته، ثم نهض وهو يتابع: «إنه ينتظر اتصالك».

حدقت به لاين وهي تسأله: «هل تحدثت إليه، وأخبرته أنني هنا؟».

- فعلت ذلك وأنا في المطبخ، قلت له إن غرفته يجب أن تنظف، وأن توضع كل محتوياتها في مخزن خاص به، ووافق على ذلك. لكن لسوء الحظ، شركة النقل التي اتصلت بها لا تستطيع القدوم قبل نهارالغد، وهكذا عليك أن تمضي الليلة على الأريكة.

رفعت لاين ذقنها قائلة: «هل اتصلت بشركة النقل أيضاً؟ إنني قادرة تماماً على القيام بذلك».

اقترح دانيال بهدوء وبساطة: «هل تريدين أن أتصل بهم ثانية وألغي الحجز؟».

أرادت لاين أن تقول نعم، لكنها أدركت أن ذلك تصرف غبي من قبلها، لاسيما أنه بذل مجهوداً ليتم العمل بأقصى سرعة، كما أن النوم في غرفة الجلوس لفترة طويلة أمر لا يعجبها مطلقاً.

قالت على مضض: «لا! لندع الأمور على حالها».

قال برضى: «قرار صائب. لا بد أنك تتعلمين».

توقف قليلاً عن الكلام، ثم تابع: «علي الذهاب إلى المكتب لعدة ساعات، وهكذا ستتمكنين من تقريع أخيك قدر ما تشائين بسبب عدم رغبتك في وجودي هنا».

قرأ الرسالة من خلال عينيها اللتين ازدادتا التماعاً، فابتسم، وتابع ينصحها: «حاولي ألا تنهضي لكي يشفى كاحلك بسرعة، فأنت بحاجة إلى ذلك. هكذا ستتمكنين من السير على الأرصفة بدلاً من المكوث هنا».

معرفتها أنه لم يقل إلا الحقيقة لم تحسن من طبعها المتقد أو تهدئ من اضطراب مشاعرها المندفعة كاندفاع المد نحو الشاطئ، وهي تراقبه يسير مبتعداً ليدخل إلى الغرفة... غرفة نومها، ويغلق الباب وراءه.

٢ - رجوع ودموع

تحول الألم في كاحلها تدريجياً إلى نبض خفيف، لكن الألم المتراكم في داخلها بدا أمراً مختلفاً تماماً. إنه ألم لا يمكن احتماله، وهو يتزايد بسرعة قصوى أكثر مما تخيلت حتى في أسوأ كوابيسها.

كان عليها أن تتوقع ذلك، بعد أن عاشت السنتين الماضيتين في البؤس المطلق. إذ مرت شهور طوال وهي تحاول أن تدفن الألم والارتباك في أعماق ذاكرتها أثناء محاولتها لنسيان ما حدث، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً. في نهاية الأمر اقتنعت أنها قد تتمكن من الحصول على مبتغاها فقط من خلال التغيير الكامل لمحيطها. لهذا السبب اتخذت لاين قرارها بالانتقال إلى فلوريدا، من دون التفكير ملياً بما قد تتورط به. رأت أن عرض آندي هو فرصة لإعادة تأهيل حياتها، ووسيلة لقلب عالمها رأساً على عقب، وهكذا ستتمكن من البدء من جديد. أما الآن، وبعد مرور شهر واحد فقط، ها هي قد عادت إلى وضع أسوأ من ذي قبل. أدركت لاين أن مجرد التفكير برؤية دانيال كل يوم سوف يسبب لها الاضطراب والألم، فشعرت بغصة في حلقها. آه! يا إله السماوات...!

راودتها صورته كما كان في تلك الليلة منذ سنتين مضتا. تذكرت بشرته السمراء الداكنة وهو يرتدي ثوباً للاستحمام أبيض اللون. تذكرت وجهه الصارم الذي ينضح بعدم التصديق وهي تقول له بصوت ضعيف مجروح إن زواجهما الذي تم منذ عدة ساعات هو مجرد غلطة... غلطة كبيرة، وإنه انتهى وزال حتى قبل أن يبدأ. أقنعته بإصرارها بأن ليس هناك فرصة ثانية لإنجاحه. أخيراً صدقها واستدار مبتعداً وهو يشعر بالمرارة. تم إلغاء الزواج بسرعة

وهدوء أكثر مما تصورت، إلا أنها لم تتوصل إلى إلغاء دانيال ببساطة من حياتها كما تمنت.

جلست مستقيمة، وشعرت بقلبها يدق بعنف بين ضلوعها، ما إن فتح الباب ثانية. هذه المرة ظهر دانيال بهيئة رسمية تليق برجل الأعمال، وقد ارتدى سروالاً فحمي اللون أنيقاً وقميصاً من الحرير الأبيض مع ربطة عنق من الحرير بلون قرمزي. مر أمامها متجهاً نحو غرفة جيمي، من دون أن ينظر نحوها مطلقاً.

تمكنت من القول: «ما الذي تفعله؟».

قال بضيق: «أحاول أن أفتح لك طريقاً تمكنك من الوصول إلى غرفة الحمام من دون أن يصاب كاحلك بأي أذى».

رفعت لاين ذقنها بكبرياء، وقالت: «بإمكاني أن أتدبر أمري بمفردي».

رماها دانيال بنظرة ساخرة، وقال: «آه! ذلك واضح جداً».

سمعت في الدقائق التالية أصواتاً مختلفة ناتجة عن حمل الأغراض وتكديسها، كما سمعت بعض الشتائم، بينما جلست لاين صامتة وهي تمضغ شفتها. كم تكره أن تكون مدينة له! فكرت بذلك بغضب صارخ. ستكون هذه المرة الأخيرة. فمن الآن فصاعداً، سوف تعتمد كل طريقة ممكنة لتجنبه، لأنها بذلك فقط ستتمكن من البقاء حية.

عندما عاد دانيال وهو ينفض عن يديه الغبار بدت على وجهها ملامح عدائية، وظهر عليها التوتر. قالت بنبرة باردة كالثلج: «شكراً لك».

أجابها: «قد لا يكون الامتنان هو شعورك الفعلي عندما ترين غرفة الحمام».

ارتدى دانيال سترته، وحمل حقيبة أوراقه، وتابع قائلاً: «لكن تلك هي مشكلتك، وهذه واحدة من مشاكلك الكثيرة على ما أتوقع».

توقف قليلاً ليأخذ بطاقة من محفظته. رماها على الطاولة بجانبها، وقال: «هذا رقم هاتف جيمي. أنا متأكد من أنك ترغبين في التحدث إليه..».

ابتسم لها ابتسامة ذات معنى قبل أن يكمل: «... فلدى كلاكما الكثير من

الكلام لتقولا، لبعضكما البعض».

* * *

قال جيمي بنبرة دفاعية: «اسمعي! لم يكن لدي أي خيار. لمَ التذمر، في مطلق الأحوال؟ أعلم أن زواجك أصيب بالفشل التام، لكن هذا حدث من زمن، ولا أعتقد أن دانيال يحمل لك أي ضغينة... ليس بعد مرور هذا الوقت».

أضاف شقيقها عندما احتفظت بالصمت: «في مطلق الأحوال، مرّ وقت كان الرجل فيه عملياً فرداً من أفراد العائلة، لاسيما بعد... بعد.....».

قالت لاين تقاطعه، وصوتها يحمل حزناً دفيناً: «لاتقل شيئاً... فقط لا تقل».

تنفست بعمق قبل أن تكمل: «عليك أن تفهم أن الأمور أصبحت مختلفة الآن، وأنا لا أعتقد أنني أستطيع تحمل ذلك».

حمل لها صوته لمحة مشاكسة وهو يقول: «آه! حباً بالله! نحن الاثنان تمكنا من الاستمرار في العيش معاً من خلال اتفاق صارم يقضي بعدم التدخل في شؤون بعضنا. أليس كذلك؟ كنا نعيش تحت السقف ذاته، لكن لكل منا حياته المختلفة، وهذا ما سيحدث بالتحديد مع دانيال».

قالت بصمت: لا! لن تكون الحالة هكذا... لا يمكنها أن تكون كذلك، لأنني فعلت ذلك من قبل. كيف لي أن أعيش الكابوس نفسه من جديد، من دون أن أفقد صوابي؟

أضاف جيمي: «كما أنه يسافر كثيراً لزيارة أجزاء إمبراطوريته الممتدة في أرجاء العالم كله. وعندما يكون هناك، من المؤكد أنه لن ينظر إليك».

حافظت لاين على نبرة صوت هادئة وحازمة وهي تقول: «شكراً على دعمك، والآن ربما يمكنك أن تخبرني ما الذي يفعله في شقتنا؟».

بقي صامتاً لفترة، ثم قال مفسراً: «اشترى دانيال منزلاً منذ فترة، وهو يعمل على تجديده، وهو يحتاج إلى مكان إقامة مؤقت أثناء ذلك، إلا أنه لا يرغب بعقد إيجار طويل الأمد ذي كلفة باهظة مع بنود جزائية. الأمر بمنتهى

البساطة والوضوح».

قالت لاين من بين أسنانها: «اعذرني إن كانت أفكارنا عن البساطة لا تتشابه، كما أنك لم تذكر لي بعد لماذا تعمل لديه».

- كنت بحاجة إلى عمل، ودانيال قدم لي عرضاً لم أستطع رفضه.

- كان لديك عمل في شركة محترمة، فما الذي حدث؟

تنفست بعمق وتابعت: «جيمي، أريد منك الحقيقة. أي نوع من التهديد وجه إليك دانيال فلاين؟».

ساد الصمت للحظات، قال بعدها جيمي بانكسار: «أنا مدين له... بالكثير».

إنه الاعتراف الذي لا تريد سماعه مطلقاً.

سألته لاين بحذر: «أتعني ذلك حرفياً؟».

أجابها بصوت مثقل بالهم والأسى: «أنا أعنيه بكل طريقة ممكنة. منذ ستة أشهر أنقذت زبوناً من دفع الكثير من الضرائب، فشعر بالامتنان نحوي، ودعاني إلى العشاء. بعد ذلك ذهبنا إلى نادي جوبيتر الذي هو عضو فيه. هناك راهنت، وربحت الكثير. بعدئذ أصبحت أتردد إلى ذلك المكان في معظم الأوقات. حققت بعض الربح في البداية ثم بدأت أخسر. وبعد فترة أصبحت خسارتي كبيرة إلى حد لا يمكنني تحمله. أصبحت غارقاً في ديوني وغير قادر على الدفع، وراح النادي يطالبني بأمواله. أثناء ذلك تعرفت على ساندرا وهي موظفة هناك، وحذرتني بأن هناك من يبحث عني. في ذلك الوقت كنت قد وصلت الى الحضيض، ولم أعد أستطيع العودة إلى الشقة، أو حتى إلى العمل. لم أشعر بالخوف في حياتي كما حدث معي حينها. في نهاية الأمر وجدني دانيال، وكنت أقيم عند ابن عم ساندرا. أقنعها بأن تعطيه العنوان، قائلاً بأن هناك صلة عائلية بيننا، وإنه يريد مساعدتي».

كررت لاين كلماته وهي تشعر بغضب مميت: «صلة عائلية؟ يا إلهي! يا له من وقح!».

علق جيمي بنبرة غاضبة أيضاً: «حسناً! كان الرجل صهري. هل كنت

تفضلين أن تجديني في زقاق ما مشبعاً بالضرب حتى أصبح كالعجينة، أم ملقى في المستشفى وساقاي مكسوران؟ تصرف دانيال كوغد حقير، فعاملني معاملة سيئة جداً، لكنه أنقذ حياتي أيضاً. لم يفعل ذلك من أجلي، فقد أوضح لي ذلك قائلاً إنه يعتقد أنني لا أستحق أية تضحية».

سمعته يتابع بصوت مخنوق: «ساعدني فقط لأنه يعلم أن سيمون كان ليفعل ذلك».

علقت ببلاهة: «أجل... بالطبع... كان ليفعل ذلك».

تابع جيمي: «وهكذا، دفع دانيال المال المستحق للنادي، وأخرج ساندرا منه خشية أن يعلم أحد رؤسائها أنها ساعدتني. بعدئذٍ قدم لي عرضاً للعمل في نيويورك... أنا لا أرغب في الموت، لذلك وافقت. بدا لي أن السماح له باستعمال الشقة هو نوع من رد الجميل».

توقف عن الكلام للحظة، ثم تابع: «وإن أردت الحقيقة، لم أفكر للحظة أنك ستكتشفين ما حدث».

تجدد الغضب والضيق في صوت لاين وهي تقول: «غير أنني فعلت. والآن، ها أنا أدفع ثمناً باهظاً بسبب سوء تصرفك».

قال جيمي وفي صوته شيء من الارهاق: «حسناً! هذا لن يشكل أي فارق لديه، وإن أردت الصدق، يبدو لي أنه لا يملك متسعاً من الوقت لأي منا».

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع: «في مطلق الأحوال، ما الذي تفعلينه في المملكة المتحدة؟ هل يسير العمل على أتم ما يرام لدرجة أنك قادرة على الحصول على إجازة؟».

قالت: «لم يعد لدي أي عمل... ليس بعد الآن».

قال بنبرة ملؤها الشك: «لا بد أنك تمزحين! كل شخص يرغب بالعمل في فلوريدا كينز. إنها شركة لجمع المال ذات رخصة رسمية».

قالت: «ربما! لكن آندي قرر أن يبيع تلك الرخصة».

- بسعر جيد على ما أعتقد!

- هذا ما أعتقده أيضاً.

تابعت بصوت مليء بالمرارة: «لسوء الحظ، لم يبحث الأمر معي قبل إتمام الصفقة أو خلالها أو حتى بعدها. كنت بصدد البحث عن مكتب بديل، وعندما عدت وجدت أن آندي باع الشركة ورحل..».

قال ببطء: «هل تقصدين أنه أخذ كل شيء؟ لكنك استثمرت في تلك السفينة كل درهم لديك».

- هذا ما فعلته. لكن لسوء الحظ، انتهى بي الأمر على الحضيض. هذا تصرف أحمق من قبلي.

ساد الصمت بينهما، ثم قال لها: «يا إلهي! لاين، يؤسفني ما حدث معك. اعتقدت فعلاً أنك سعيدة، وأنك تبنين حياتك من جديد».

- هذا ما اعتقدته أنا أيضاً.

لكن، يبدو أنني ببساطة كنت أشتري لنفسي بعض الوقت بانتظار أن تتم عملية الشفاء!

تابعت: «مهما يكن الأمر، ما حدث تركني في موقع لا أحسد عليه من الناحية المادية، وأملت أن أجدك بقربي لتمد لي يد المساعدة».

- حسناً! كنت لأفعل في ظل ظروف عادية، لكن راتبي في «وورلد وايد» ليس عالياً، ومن جهة أخرى، علي أن أبدأ بإعادة المال لدانيال.

توقف عن الكلام وقد ظهر الارتباك في نبرته، ثم تابع: «ماذا عن صالة العرض؟ ألا تستطيعين استعادة عملك السابق؟».

- لا مجال لذلك، فقد وجدوا بديلة عني منذ زمن بعيد.

- أعتقد أن بإمكانك المحاولة دائماً مع أمي.

قالت بهدوء: «لا! هذا أمر من بين عدة أمور لا أفكر فيها مطلقاً».

- وهل دانيال هو الأمر الثاني؟

أكدت له: «بل هو الأول. من جهة أخرى، يبدو من الواضح جداً أنك استعملت كل ما لديه من عطف يمكن أن يقدمه لعائلة سنكلير».

قال جيمي مقترحاً: «حاولي أن تكوني لطيفة معه».

أصبح صوتها مضطرباً فجأة وهي تقول: «ماذا تقصد بحق الجحيم؟».

قال مدافعاً عن نفسه: «حسناً! لا أعني ما ورد في فكرك بكل الأحوال، لكن عندما كنت صغيرة اعتدت اللحاق به كظله، ولا بد أنه أحبك أيضاً وإلا ما كان ليطلب الزواج بك. ومع أن زواجكما تحول إلى كارثة، فلا بد أنه يمكنك أن تؤثري به في لحظة عاطفية».

وجدت لاين نفسها تعض بقوة على شفتها السفلى، قبل أن تقول: «لا! من الآن فصاعداً سأعتمد على نفسي، وسأتمكن من تدبير أمري».

قال جيمي بحدة: «لا فكرة لدي عما حدث بينكما منذ سنتين، ولا أريد أن أعرف، إلا أنني سأقول لك هذا الكلام: تعاملي معه بروية وهدوء، ولا تحاولي إزعاجه لاين، مهما كان شعورك بالكره نحوه كبيراً، لأنني لا أستطيع رد جميله أو إغضابه. وربما أنت أيضاً لا تستطيعين».

جلست لاين لفترة طويلة تحدق بالفراغ. بعدئذٍ أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها ونهضت. لاحظت أن كيس الثلج خفف من تورم كاحلها، وفكرت أنها ستضع كيساً آخر في وقت لاحق، أما الآن فهناك أشياء عليها القيام بها. أول عمل لديها هو جعل غرفة جيمي على الأقل قابلة للسكن فيها، أما الراحة فبإمكانها الحصول عليها غداً.

بعد أن كوم دانيال معظم الصناديق بترتيب في إحدى الزوايا، أصبح بإمكانها التحرك. بدأت بإزالة ثيابها عن السرير، فعلقتها في الخزانة المواجهة، بالقرب من بعض الثياب التي تركها جيمي، ثم ملأت الأدراج في الخزانة الصغيرة. بحثت عن أغطية نظيفة ورتبت السرير، قبل أن تمضي نصف ساعة وهي تنظف غرفة الحمام الوسخة.

عندما رأت أن النظافة الضرورية قد توفرت، نزعت ثيابها وارتدت رداءها المنزلي المفضل، وهو رداء قديم أزرق اللون. أفرغت حقيبتها ووضعت الثياب القليلة الموجودة فيها في الغسالة مع الثوب الذي خلعته قبل قليل. مغادرتها المفاجئة أجبرتها على الرحيل تاركة الكثير من أغراضها في السفينة.

سخرت من نفسها وهي تفكر: يبدو أنني سأمضي معظم حياتي في الهروب بطريقة أو بأخرى. لكن ما يحدث الآن أخافها أكثر من أي شيء آخر حصل

يوماً في حياتها، وهكذا لا جدوى من الهروب بعد الآن.

أخيراً، دللت نفسها بالاستحمام واضعة الزيت المعطر، بعد أن غسلت شعرها بالشامبو المفضل لديها، ثم اتكأت إلى الوراء مغمضة العينين، تاركة المياه العطرة تداعب جسمها كالحرير.

إنها في الجنة! فالاستحمام في السفينة أجبرها على التقنين في صرف الماء، وأحياناً لم تكن تجد مياه ساخنة على الإطلاق. تذكرت أن آخر حديث لها مع آندي كان بشأن هذا الموضوع بالتحديد. قالت له إن عليهما أن يهتما بإصلاح كل أنابيب المياه الساخنة في السفينة قبل الفصل القادم، فشخر من دون أن يجيب بكلمة واحدة. فكرت أنه ربما كان عليها أن تلاحظ عدد المرات التي يشخر بها لتصل إلى استنتاج ما. لو أنها فعلت لربما كانت أكثر استعداداً لتقبل فكرة بيعه السفينة التي هي مصدر رزقهما الوحيد والهروب بثمنها. أدركت لاين بالطبع أن آندي تضايق وشعر بالمرارة لأنها رفضت إقامة أية علاقة حميمة معه. مهما يكن ما فكر به، فهي لم تعده بأي شيء من هذا القبيل. ذكرت نفسها بذلك وكأنها تدافع عن نفسها. اغتنام الفرصة للبدء بحياة جديدة في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية بعيداً عن الألم، هو ما كانت تبتغيه، فوافقت على الرحيل معه فقط كشريكة في الأعمال لا كحبيبة له.

حسناً! فكرت وهي ترتجف أنها على الأقل تخلصت من هذا العبء، فالمال هو كل ما حصل عليه منها. تذكرت بندم وحزن أن عملهما كان يسير بشكل جيد هناك. سجل زبائنهما القليل من الملاحظات، لكنهم قدموا الكثير من المديح والإطراء، لا سيما بشأن الطعام الشهي الذي تمكنت من تحضيره ليكون ملائماً لأذواق كل الزبائن، وكان لديهما المال الكافي للقيام بكل ذلك. لكنها تستطيع الآن أن ترى أن الأمر بدا لآندي مجرد عمل شاق وصعب جداً، فهو يريد الحصول على المال بسهولة. أدركت لاين أنه كان عليها أن تكون حذرة، فالأمور لم تكن جيدة كما حاول أن يصورها لها، غير أنها لم تسمح لنفسها بأخذ أي وقت للتفكير، أو سؤال نفسها إلى أين أين تقودها قدماها.

يا إلهي! عادت إلى السفينة في ذلك اليوم وهي تشعر بالقلق والحزن بسبب

عدم نجاحها في إيجاد شاطىء أمان جديد لعملهما، لا سيما أنها تعلم مسبقاً أن إقناع آندي بالجلوس للتحدث عن المشاكل الطارئة هو بحد ذاته مشكلة ضخمة جداً. لكنها لم تتوقع ألا تراه هناك، وأن تجد مكانه ذلك الشخص الذي يثير الاشمئزاز في النفس ديرك كليمنز.

لطالما وجدت لاين أن ذلك الثري هو الأكثر إزعاجاً بين الزبائن. فهي تكره الطريقة التي يعتمدها بإيجاد أي عذر كي يلمسها، فيقترب منها أكثر مما تدعو الحاجة، أو يمسك بيدها ما إن تقدم له الشراب أو الطعام. كما أنها لم تعجب بالأصدقاء الذين كان يحضرهم معه، وهم ذوو أجسام سمينة يتفوهون بالكلام البذيء بصوت مرتفع أو بالفتيات اللواتي يجلس برفقتهن تحت أشعة الشمس وهن شبه عاريات. أما آندي فيلوي شفتيه استهجاناً كلما تذمرت من وجود كليمنز وأصدقائه، ويعلق بمكر: «لماذا تهتمين له؟ كلانا يعلم أنه لا يضمر لك شيئاً، عزيزتي».

وفجأة، وبدون أي تفسير، وجدت ذلك الشخص الكريه هناك في السفينة، وهي بمفردها معه. بدا لها ذلك أمراً مستغرباً تماماً، وتملكها شعور من التوجس بحدوث شر ما، لكنها تمكنت من إخفاء ذلك بطريقة جيدة، إذ سألته بصوت هادىء: «أين آندي؟».

أجابها بلا مبالاة: «آه! لقد رحل. عقدت معه صفقة عزيزتي، وأنا الآن المالك الجديد، فأهلاً بك برفقتي».

نظرت لاين إلى ابتسامته البشعة. تمكنت من الاحتفاظ بهدوئها، وقالت بصوت ناعم: «لا بد من وجود خطأ ما، فأنا وآندي كنا شريكين».

- أجل. أخبرني بذلك. وكنتما عشيقين أيضاً.

ضحك بصوت عال وبوقاحة قبل أن يتابع: «وهذا يناسبني تماماً».

قالت بيأس: «لكن... من المؤكد أنه ترك لي رسالة ما؟».

- أجل فعل، لكن... كيف قال ذلك؟

تظاهر أنه يفكر لحظة، ثم تابع: «آه! تذكرت. طلب مني أن أقول لك: وداعاً عزيزتي، ولا تعتقدي أنني لم أكن سعيداً برفقتك».

شعرت لاين بالمرارة تحرق حلقها من الصدمة بسبب الكلام الذي سمعته، لكن بدا لها من الحكمة أن تجلس وتحاول أن تستوعب الرعب الذي أصابها بسبب غدر آندي بها. فكرت بذهول، آندي... الشخص الذي وثقت به، فعل هذا بها؟! خدعها، وسرق أموالها، وتركها لهذا المخلوق المخيف وهو يعرف تماماً أنها تكرهه؟ أهذه طريقته للانتقام منها لأنها لم ترضَ به حبيباً؟ هل كُتب عليها أن يخونها كل رجل تلقاه في حياتها بطريقة أو بأخرى؟ شعرت بالاضطراب في معدتها وهي تحاول أن تفكر ما الذي تستطيع أن تفعله. راح حدسها يحثها أن ترحل الآن، لكن مع أن كليمنز كبير في السن، لكنه سريع الخطى، وهي ليست متأكدة أنها تستطيع أن تهرب وتتخلص منه. بدت لها فكرة إمساكه بها مرعبة حتى الموت، كما أنها لا تستطيع المغادرة وهي خالية اليدين. محفظتها وكل ما تملكه من أموال نقدية في حقيبة يدها، لكن جواز سفرها ما زال في غرفتها مع ما تبقى من أغراضها، وهي بحاجة إليه كي تغادر.

مسح كليمنز فمه بقبضة يده، ونظر إليها بوقاحة ثم قال: «قال لي آندي إنك مسلية جداً ولست هادئة وحزينة كما تبدين دائماً، عزيزتي».

ضحك من جديد وتابع: «أتمنى فعلاً أن يكون ذلك صحيحاً، لأنني لا أدفع إلا للنتائج المضمونة».

ابتسمت له، وقالت: «إذاً أنا واثقة أنك ستكون كريماً، سيد كليمنز».

آندي، أيها الوغد الحقير! مهما كان المبلغ الذي سرقته، ومهما كانت الوسيلة لإنفاقه، كان بإمكانك أن توفر عليّ المواجهة مع هذا الحيوان!

- يا إلهي! كم يبدو الطقس حاراً هنا.

مرر إصبعه داخل ياقة قميصه القطنية، وتابع: «ألا يوجد مروحة هنا أو أي شيء آخر؟».

رفعت لاين كتفيها، وقالت: «بلى... هناك مروحة في مكان ما في قسم الضيوف».

- حسناً! لا تجلسي كالبلهاء. اذهبي واحضريها.

واتكأ الى الوراء على الوسائد، وأغمض عينيه.

نهضت لاين وأمسكت بحقيبة يدها المعلقة على ظهر الكرسي. تساءلت في سرها، هل ستتمكن من التخلص منه بمثل هذه السهولة؟

ذهبت مباشرة إلى الغرفة الصغيرة التي تشغلها منذ أن أتت إلى السفينة، فبدلت تنورتها بسرعة، وارتدت سروال جينز أبيض اللون. خطفت جواز سفرها، ووضعت ما تستطيع أن تحمله من ثيابها في الحقيبة الصغيرة، ثم صعدت بخطى سريعة إلى ظهر السفينة. في اللحظة التي كادت تصل فيها إلى المعبر الخشبي للعبور إلى البر، سمعت صوت ديرك كليمنز وراءها: «إلى أين تعتقدين أنك ذاهبة؟ عودي إلى هنا الآن».

ما إن مد يده ليمسك بها حتى ركضت رامية بنفسها على الرصيف. لمحت كليمنز راكضاً وراءها محاولاً أن يمسك بها، لكنه أخطأها فصرخ بقوة من الغضب، وسرعان ما فقد توازنه وسقط على الأرض. سقطت لاين على الأرض أيضاً لشدة ارتباكها فالتوى كاحلها، لكنها استمرت بطريقة ما في الركض، وهي تعض على شفتها من شدة الألم. نظرت من وراء كتفها لتجد حشداً صغيراً قد تجمع حول كليمنز الذي كان يحاول أن يجلس. سمعت صوته كخوار ثور جريح: «أوقفوها... إنها لصة».

استدارت على الفور ودخلت إلى مقهى تعرفه من قبل. سارت عبر مجموعة من الناس كأنها سائرة في طريقها نحو حمام النساء. وما إن أصبحت في المنطقة الخلفية للمقهى، حتى خرجت من مدخل الطوارىء، لتجد نفسها في شارع هادىء.

تمكنت من الفرار، لكنها باتت تعرج بشكل واضح ومؤلم الآن، كما تورم كاحلها. ما إن تمكنت من إيقاف أول سيارة أجرة رأتها حتى طلبت من السائق أن يوصلها إلى المطار. والآن ها هي هنا. فكرت بحزن وهي تنهض من المغطس وتلف جسمها بالمنشفة، أنها خرجت من المقلاة لتقفز مباشرة إلى النار.

جففت جسمها بسرعة، ثم راحت تلتقط المياه المتساقطة من شعرها بالمنشفة وهي تمشطه بعيداً عن وجهها بأصابعها. زفرت بضيق وهي تتذكر أن مجفف شعرها هو أحد الأشياء التي أجبرت على تركها في السفينة. فكرت وهي ترتدي

عباءتها أن لديها واحداً غيره هنا، وأنها تضعه عادة فوق طاولة الزينة. أتراه ما زال في مكانه؟

سارت وهي تعرج عبر غرفة الجلوس. فتحت باب غرفة نومها، ودخلت بحذر، لكنها توقفت وهي تشهق من الصدمة حين نظرت حولها. بدت الغرفة مختلفة تماماً عما تعرفه. ورق الجدران الجميل برسومه الناعمة قد طلي بلون عاجي بسيط، وغطاء سريرها الحريري ذو اللون الأصفر الباهت استبدل بغطاء بني قاتم اللون. حتى إن السجاد الموضوع حول السرير قد استبدل أيضاً. لم يبقَ أي أثر منها... ولا أي لمسة مميزة من شخصيتها التي تمكنت من الحصول عليها من خلال المال الذي قبضته من صالة العرض. بدا أن كل أثر لها قد تم إزالته بتعمد.

فجأة بدأت لاين تشعر أنها لم تعد موجودة فعلاً، وكأن كل شيء أحبته أخذ منها عنوة. أولاً والدها وهي بعد طفلة، ثم سيمون، وفي نهاية الأمر آبوتسبروك. ربما لم يكن ذلك المنزل الملاذ الآمن الذي ظنته، فذكرياتها الأخيرة هناك كانت بشعة حقاً، لكنها تحمل نوعاً من الأمان بكل الأحوال.

لطالما فكرت لاين أنها ستعود إلى هناك يوماً ما، وبطريقة ما سوف تعيد اكتشاف كل شيء أحبته في طفولتها... عضت على شفتها. آه! كفى! شجعت نفسها بنفاد صبر: أنت هنا لتجففي شعرك لا لتصابي بانهيار عاطفي. تنفست بعمق ورفعت رأسها عالياً، ثم نظرت عبر الغرفة إلى مرآة طاولة الزينة. إن لم يكن دانيال قد تغير، فهي أيضاً لم تتغير كثيراً. ما زال شعرها ناعماً جميلاً، وما زال جسمها نحيلاً، وعيناها ما زالتا رماديتين أكثر منهما خضراوين... لكن ليس للأمر أهمية إذا ما أخذنا بالاعتبار ما يفضله دانيال في النساء. إنه يفضل الفاتنات الشقراوات ذوات الأجسام الرشيقة والطويلة.

كنديدا! تذكرت وهي ترتجف ذلك الفم المكتنز والجسم الذي يتمايل داخل الثياب كأنه راغب في نزعها عنه، والصوت الناعم الأجش، الأشبه بالعسل السام. كيف يمكن لأي رجل أن يقاوم ذلك السحر؟

شيء ما في أعماقها تحرك بألم متجدد، وسمعت نفسها تشهق. قالت بصوت

عالٍ وعنيف: «كفى، توقفي عن ذلك!».

لكن فات الأوان. فجأة شعرت أن ما يحصل معها كثير جداً عليها. ألم كاحلها لم يعد شيئاً يذكر بجانب هذا الألم الذي راح يزداد قوة وشدة حتى كاد يخنقها. شعرت أنها وحيدة، منهارة وخائفة. مرت بها ثمان وأربعون ساعة من العذاب، لتجد نوعاً آخر من الجحيم بانتظارها في المكان الوحيد الذي يجب أن يكون ملاذها وملجأها. وضعت يديها فوق وجهها، وارتمت على حافة السرير الناعم النظيف وبكت. شعرت بجسمها كله يرتجف من شدة البكاء... بكت حتى لم تبقَ دموع في عينيها.

٣ - دموع على الماضي

بقيت لاين في مكانها لوقت طويل على الرغم من استعادتها لهدوئها. ظلت مستلقية على وجهها فوق السرير، وأصابعها تمسك بقوة بالقماش الحريري للغطاء. هي تعلم أنها لا تستطيع البقاء هناك، كما تعلم أن من الأفضل لها ألا تدخل إلى الغرفة مطلقاً، لأن كل ما فيها يذكرها بدانيال.

قالت لنفسها بصوت عالٍ: «حان الوقت كي أبتعد من هنا».

نهضت ببطء، وأعادت ترتيب الغطاء على السرير. حرصت على عدم ترك أي أثر لوجودها هناك، كما عملت على إيجاد مجفف الشعر أيضاً قبل أن تقطع المسافة بين غرفة الجلوس والغرفة الأخرى.

في تلك الحظة سمعت المفتاح يتحرك في قفل الباب الأمامي. آه... يا إلهي! شعرت بدقات قلبها تتسارع. لقد عاد دانيال، بعد أن خرجت من غرفته في الوقت المناسب. رمت مجفف الشعر على السرير، ثم أغلقت باب غرفة جيمي وراءها ما إن دخل إلى الشقة.

قالت لاين بنبرة صوت لاذعة: «آه! أهذا أنت؟».

أجابها دانيال بقسوة: «ومن كنت تتوقعين؟».

- حسناً! ليس أنت، وليس في هذا الوقت، فقد أخفتني.

قال بفظاظة: «يمكنني رؤية ذلك، فأنت تبدين كالشبح».

سار نحوها، ووضع إصبعه تحت ذقنها، ثم حدق بها. دفعت لاين يده بعيداً: «لا تلمسني!».

- كنت تبكين. لماذا؟

- وهل يهمك الأمر؟

www.elromancia.com

- ربما لا. لكن لا رغبة لدي في مشاركة مكان إقامتي مع امرأة عيناها أشبه بحنفية ترشح باستمرار.

ظهر الضيق على وجهه وهو يتابع: «قدمي خدمة لكلينا لاين، وفكري في أن تنضجي قليلاً».

سار مبتعداً نحو الغرفة الثانية، واختفى لوقت قصير في داخلها، ثم خرج حاملاً جهاز كومبيوتر نقال في حقيبة علقها فوق كتفه.

ضمت لاين ذراعيها إلى صدرها، لكنه لم يعلق أبداً، فعلى ما يبدو تمكنت من إخفاء آثار دخولها إلى غرفته بشكل ناجح جداً.

قال وهو يمر أمامها: «أراك في وقت لاحق».

ردت عليه بمرارة وهو يغلق الباب وراءه: «وكأن لدي خيار آخر».

سارت نحو غرفتها لتجفف شعرها، وبعد أن أنهت مهمتها ارتدت تنورة من الكتان زرقاء اللون وقميصاً بيضاء اللون من دون ياقة. بحثت عن المزيد من مكعبات الثلج لتضعها على كاحلها الذي ما زال يسبب لها الإحفال كلما ألقت عليه ثقلها، ثم تمددت على الأريكة، واضعة القدم المتورمة على وسادة. إلا أنها لم تستطع أن تشعر بالراحة الكاملة. اجتاحت ذهنها صور ضائعة من الماضي، بدت كلها حية ونابضة بالحياة رغم عدم رغبتها في استعادتها. ذكرتها تلك الصور بقوة أنها لا تستطيع أن تحدد أي وقت لم تكن فيه مغرمة بدانيال فلاين.

استعادت في ذاكرتها اليوم الذي كانت فيه في السادسة من عمرها عندما خرجت على يديها وركبتيها من وكرها الخاص في الحديقة. رفعت نظرها لترى هذا الغريب يقف بجانب سيمون، بدا طويل القامة، أسمر البشرة. قال شقيقها بصوت مليء بالسخرية والحب: «أخبرتك أنها ستكون هنا. بنى جيمي هذا المكان الخاص ليختبيء فيه ويتمكن من مراقبة العصافير، لكنه كالعادة سئم منه بسرعة، والآن أصبح للاين. انهضي صغيرتي، والقي التحية بتهذيب على صديقي دانيال».

بينما كانت تنهض متعثرة، قالت بكبرياء: «إنه مكاني السري. ليس من المفترض أن تخبر أحداً عنه».

انحنى دانيال، وبحذر شديد نزع عن شعرها ورقة أشجار يابسة، ثم قال: «سوف أكتم هذا السر بين شفتي إلى الأبد. أعدك بذلك».

صمت لفترة قبل أن يسألها: «وأنت، هل تراقبين الطيور أيضاً؟».

هزت رأسها وقالت: «أتيت إلى هنا لأقرأ».

- وما اسم الكتاب الذي تقرأينه الآن؟

أغمضت لاين عينيها، وقالت: «جزيرة الكنز».

قال: «يا إلهي!».

تبادل نظرات مرحة مع سيمون قبل أن يتابع: «من هو الشخص المفضل لديك في القصة؟».

قالت بعد أن فكرت قليلاً: «لا أعتقد أن أياً منهم لطيف، فكلهم جشعون، وجيم يتجسس على الناس».

قال سيمون وهو يبتسم: «هيا دان! لنتركها مع قصتها ونذهب لنلعب كرة المضرب قبل تناول الشاي».

راقبتهما لاين وهما يغادران قبل أن تعود لمتابعة القراءة. فكرت بفرح أن من الجيد أن يكون سيمون في المنزل، فهذا يعني أن أمها لن تبقى متجهمة الوجه غاضبة، بل ستبدو سعيدة وراضية.

اعتادت السيدة إيفرشوت، مدبرة المنزل، أن تنبه الجميع قبل موعد الطعام بخمس دقائق، وهكذا قدرت لاين أن لديها ما يكفي من الوقت لتغسل يديها وتمشط شعرها قبل الانضمام إلى أفراد العائلة. لكن في ذلك اليوم قررت أمها أن يتم تقديم الشاي في باحة المنزل لأن الطقس بدا جيداً. وهكذا لم يعد أمامها مجال لتدخل إلى المنزل من دون أن يلاحظها أحد.

صرخت أنجيلا من المكان الذي تجلس فيه: «إيلينا! ما الذي كنت تفعلينه؟ هل كنت تتدحرجين على الوحل؟ وأين هي شريطة شعرك؟».

استدارت والدتها نحو الضيوف الذين يجلسون معها إلى الطاولة، ثم رفعت كتفيها بيأس وتابعت: «يا لها من فتاة رثة الثياب! لديها خزانة مليئة بالفساتين الجميلة، وهي تصر على ارتداء هذا السروال القديم».

بعدئذٍ تنهدت قائلة: «لا أعتقد أن والدها المسكين يمكنه التعرف على «فتاة الزنبق» إن رآها اليوم».

سألها دانيال بتهذيب: «فتاة الزنبق؟!».

حدقت لاين بالعشب حول قدميها وهي تتحرك بخجل، لأنها تعلم ما الذي سيحدث بعد ذلك، وهي تخافه ولا تحبه. تنهدت أنجيلا من جديد، وأجابت: «كانت حماتي من أشد المعجبات بالشاعر تنيسون، وعندما رأت الطفلة للمرة الأولى وكانت ملتفة بوشاح أبيض، رأت أنها تشبه الزنبقة البيضاء. وهكذا اقنعت غراهام بأن يسمي الفتاة إيلينا تيمناً باسم فتاة الزنبق في قصيدة استولات».

ساد الصمت قليلاً، ثم علق دان بتهذيب: «هذه قصة جميلة».

قالت لاين بغضب مفاجيء: «لا، ليست كذلك. إيلينا اسم سخيف، وجيمي يقول إنها ضعيفة ومستغلة لأن السيد لانسلوت لم يغرم بها، ويقول أيضاً إنني سأكبر وأصبح مثلها، لأنني أملك الاسم نفسه».

ساد صمت غريب على الجميع، بعدئذٍ وضع سيمون صحنه على الطاولة وضحك، ما لبث أن انضم إليه دان ثم أنجيلا. أخيراً تمكن سيمون من القول وهو يمسح عينيه: «إنه يوم سيء للشعر والأدب في هذا المنزل. نحن نضحك معك صغيرتي، ولسنا نضحك منك. والآن، تعالي واشربي الشاي، وأنا سأتكلم مع السيد جيمي عندما أراه».

ضحك الجميع في ذلك الصيف وشعروا بالسعادة، فقد كان من أسعد الفصول التي أمضتها لاين في حياتها، كما كان البداية لفصول أخرى عديدة. أما الفضل في ذلك فيعود لسيمون ودانيال بالطبع!

كان للاين عدد قليل من الأصدقاء في الجوار. فالفتيات في مدرسة القرية وجدن أنها تفضل القراءة على متابعة برامج التلفزيون التي يتابعنها، وهكذا عملن على تجاهلها. لكن حتى مع كتبها الغالية، كانت لاين تجد نفسها وحيدة في بعض الأوقات. إلا أن تلك العطلة بدت مختلفة كلياً، إذ كان الطقس رائعاً بحيث تمكن الجميع من تمضية الكثير من الوقت في الخارج، وكانت لاين تنضم

إليهم في كل نشاطاتهم.

أمضوا الكثير من الأيام بل أفضلها في زورق قديم عائم فوق الماء. أثناء انشغال الشابان بالصيد كانت لاين أيضاً تحمل صنارة صيد صغيرة، كان سيمون قد أحضرها لها. أما إذا لعبا بكرة المضرب فكانت تتبعهما بفرح وحماس، فتجمع لهما الطابات التي تصل إلى الأرض المكسوة بالأشجار والنباتات بعيداً عن الملعب.

لكن العطلة انتهت بأسرع مما توقعت لاين، إذ كان سيمون قد التحق بنادي التسلق في المدرسة في السنة السابقة، وأصبح متعلقاً بتلك الرياضة، لهذا أمضى آخر أسبوعين من إجازته في منطقة البحيرة، بينما استدعي دانيال للانضمام إلى والده لتمضية بعض الوقت في جنوب فرنسا.

عندما حانت لحظة الوداع، رمت لاين بنفسها على دانيال، وأحاطته بذراعيها وساقيها كأنها حيوان أليف متعلق بصاحبه. ضمته إليها بقوة وهي تهمس: «ليتك أنت أيضاً أخي».

وبخت أنجيلا على الفور: «إيلينا! من فضلك توقفي عن التصرف بشكل درامي. دانيال، من فضلك ضع تلك الطفلة الباسة أرضاً. أعتذر منك بسبب تصرفاتها السخيفة».

وضع دانيال لاين على الأرض، وعبث بشعرها قبل أن يتابع: «صدقيني، أنا أشعر بالمديح والإطراء».

قالت له وهي تبتسم له ابتسامة جذابة: «إنك صبور جداً، لكنك لست جليس أطفال. ربما نستطيع جميعاً القيام بأشياء ممتعة أثناء زيارتك القادمة في عيد الميلاد».

ساد صمت قصير غريب، ثم قال دان بهدوء: «بالطبع!».

فكرت لاين وهي تشعر ببهجة عارمة، الميلاد! سيعود في فرصة الميلاد برفقة سيمون! ستكون هذه أفضل هدية تتلقاها. إنه بطلها!

وبخت نفسها وهي تشعر بالاستياء بسبب تلك الذكريات، ونهضت عن الأريكة لتعيد كيس الثلج الذائب إلى المطبخ. تلك هي حكايتها مع دانيال؛

الحب الأكبر في العالم كله. حالة طفولية كان عليها أن تنضج لتتخلص منها نهائياً.

مهما يكن، ففي السنوات الخمس التالية، تمحورت حياتها كلها حول العطلات المدرسية والجامعية. راحت تنتظر تلك العطلات بشوق مؤلم، وهي تعلم أن دانيال سينضم إليهم لمدة أسبوع أو اثنين على الأقل. رغم أن العطلة لم تعد مصدر ابتهاج صرف لها. فبينما كانت تكبر وتنمو أصبحت تدرك أن هنالك أموراً خفية تكمن تحت الهدوء الظاهري في آبوتسبروك، وأن زيارات الوصي السيد لاتيمر المنتظمة والثابتة هي سبب خلاف واضح.

كانت تجلس على مقعد قرب النافذة في غرفتها مساء أحد أيام الربيع، عندما ارتفع صوت أمها المتذمرة، فوصل إلى مسمعها من خلال شرفة في الطابق السفلي. قالت أنجيلا: «اعتقدت أن كل شيء سيتغير عندما تصبح في الثامنة عشرة من عمرك، وأنك ستتمكن من إقناع ذلك الرجل الحقير بالابتعاد عنا».

قال سيمون بصوت مرهق: «أمي، ستبقى سلطة الوصي على أملاكنا قائمة حتى يصبح كل من جيمي ولاين في الثامنة عشرة من عمريهما، وعليك تقبل ذلك».

توقف عن الكلام قليلاً قبل أن يكمل: «كما أن زيارات السيد لاتيمر ستصبح أقل إن خففت من مصاريفك قليلاً. ربما يمكنك اختصار عدد الحفلات التي تقيمينها في نهاية الأسبوع. ما رأيك؟».

- والدك هو من بدأ بإقامة تلك الحفلات. كما أنها الوسيلة الوحيدة لأتمكن من رؤية أصدقائي، في حين أنني مدفونة هنا طوال السنة. أتمنى من كل قلبي لو أنني أستطيع بيع هذا المكان والعودة ثانية إلى لندن.

- تعرفين جيداً بنود وصية والدي، وأخشى القول إن عليك الانتظار إلى أن تبلغ لاين السن القانونية.

ردت والدته بغضب: «جدران هذا المنزل تتهدم وتنهار، ولاتيمر لا يعطينا ما يكفي من المال للقيام بالتصليحات الضرورية. ولا تنسَ أن علي التعامل مع

أولئك الذين ينظرون إلى المكان كأنه مزار قديس، وهم يأتون جماعات ليتمكنوا من رؤية غرفة والدك ومكتبه حيث كتب..».

وأكملت بلهجة من يعيش في الضفة الأخرى للمحيط الأطلسي: «... تلك القصص الخيالية الرائعة! كما أنني سئمت منهم وهم يقولون لي: «يا لها من مأساة أن يُختطف وهو ما زال شاباً» ألا يعتقدون أنني أعرف ذلك؟ فأنا أرملته، حباً بالله! كما أنه لم يُختطف من قبل غزاة جاؤوا من كوكب آخر، بل أصيب بسكتة قلبية».

نصحها سيمون بصوت ينم عن الانزعاج: «حسناً! لا تتحدثي بالسوء عن المعجبين الصادقين. ففي النهاية، نحن نسدد فواتيرنا من مبيعات كتبه، وبصراحة أنا أتساءل..».

سارا مبتعدين، ولم تعد لاين قادرة على سماع المزيد. جلست وهي تضم ركبتيها بذراعيها. وفجأة شعرت ببرد شديد. من المؤكد أن لا شيء سيحدث لآبوتسبروك. لا مجال لذلك؟ قد يكون المكان كبيراً وقديماً، وبحاجة إلى ترميم وتجديد، لكنه منزلهم...

عاد الحديث عن المال ليظهر في الليلة التالية بعد العشاء، وهذه المرة من قبل سيمون. كان يلعب الشطرنج مع دان حين قال: «أعتقد أن لاين ستنتهي من التعلم في مدرسة القرية في نهاية فصل الصيف. هل قررت إلى أين سترسلينها بعد ذلك؟ هل أرسلت طلباً إلى هيئة ما؟».

سكبت أنجيلا المزيد من القهوة في فنجانها وقالت: «لا، لم أفعل. نتائجها الأخيرة ليست مرضية تماماً، لذلك فكرت أنه يمكنها الذهاب إلى هولنغبري مع كل رفاق صفها. كما أنني ما زلت أعاني من دفع أقساط مدرسة جيمي، وتبدو لي تلك طريقة مثالية لحصر نفقاتنا ولو قليلاً».

جلس سيمون مستقيماً على نحو مفاجىء، وقال: «أمي! لا يمكن أن تكوني جادة. هولنغبري ليست إلا مكباً للنفايات، والكل يعلم أنها بالكاد تخلو من شجار أو قتال يومي في صفوفها، كما أنها تعاني من مشاكل أخلاقية. ولاين لن تتمكن من تمضية يوم كامل في أرجائها».

علقت أنجيلا بعناد: «علمت أن فريق العمل هناك يبذل قصارى جهده لتحسين الأمور، ولا خوف على لاين من الوقوع في أية مشكلة».

شعرت لاين بالحرارة تجتاح وجهها، وبدأ فمها بالارتجاف ما إن نظر إليها الجميع.

بعد فترة قصيرة من الصمت، قال دانيال بصوت هادىء: «أدرك أن لا حق لدي بالتدخل، لكنني أعتبر لاين فتاة ذكية وبارعة، وأرى أنها بحاجة إلى مزيد من التحدي».

حملت ابتسامته شيئاً من الاعتذار على الرغم من سحرها وهو يتابع: «ابنتا عرابي ذهبتا إلى مدرسة راندالز، وهي مدرسة ذات سمعة ممتازة، كما أنها تقدم منحة مالية إلى التلميذات ذوات الكفاءة العالية».

توقف قليلاً ثم أكمل: «هناك امتحان خطي ترافقه مقابلة شخصية. أستطيع الحصول على المزيد من التفاصيل، إن لم يكن ما أفعله فيه الكثير من الوقاحة».

ابتسمت أنجيلا له وقالت: «لا، على الاطلاق. كل ما في الأمر أنني لست متأكدة من أن لاين قادرة على اجتياز الامتحان».

رد سيمون بحزم: «حسناً! اعتقد أن دان على حق، وهي تستحق أن تحصل على فرصة لخوض ذلك الامتحان».

في المرة التالية التي رأت لاين فيها دانيال، في بداية عطلة فصل الصيف، كانت ترقص في القاعة من شدة الحماس وهي تقترب منه قائلة: «لقد نجحت... وسأذهب إلى راندالز في أيلول».

رفع دانيال حاجبيه متسائلاً: «إذاً، هل تمكنت من اجتياز الامتحان؟».

فكرت قليلاً قبل أن تجيب: «حسناً! لم يكن امتحاناً حقيقياً يتضمن الرياضيات والعلوم، كل ما في الأمر أنه كان علي أن أكتب عن شخصية مفضلة لدي قرأت عنها في مكان ما».

ظهر المرح على وجهه وهو يقول: «هل شعرتِ بالسعادة؟».

نظرت إليه لاين بحماسة وأجابت: «آه، أجل. هل أنت سعيد، أيضاً؟».

- أشعر أنني فوق القمر. إنها مدرسة جيدة، وستمضين وقتاً رائعاً فيها.

ثم رفعها بين ذراعيه، وراح يدور بها.

من مدخل الباب، سمع صوت فتاة تقول ببرودة: «هل هذه حفلة خاصة، أم أن بإمكان الآخرين الانضمام إليكما؟».

رأت لاين الفتاة القادمة من فوق كتف دانيال. إنها شقراء طويلة القامة، ذات ساقين طويلتين، وهي ترتدي سروالاً قصيراً، وقميصاً بالكاد تغطي جسمها. فكرت لاين بانزعاج أنها تبدو كدمية الباربي التي اعتادت رفيقات صفها إحضارها إلى المدرسة عندما كُنَّ صغيرات.

وضعها دانيال على الأرض بتمهل، واستدار ما إن اقتربت الفتاة نحوه، وهي ترمي بشعرها إلى الوراء، وتسمح لابتسامة لعوب بأن تظهر على شفتيها المكتنزتين.

- أنت مليء بالمفاجآت، عزيزي.

مررت ذراعها تحت ذراع دانيال، وتابعت: «لم أتصور مطلقاً أنك من النوع الذي يمتلك مشاعر أبوية. من هي هذه الطفلة؟».

وصل الاعتراض إلى شفتي لاين، لكنها ابتلعته.

قال دانيال بصوت عادي: «إنها شقيقة سيمون الصغرى، ولا بد أنك تعرفين ذلك من قبل، لذلك لا تضيعي ذخيرتك عزيزتي كانديدا، لأنك ربما تحتاجين إليها في ما بعد».

تخلص منها دانيال مبتعداً بلطف وتابع يقول: «والآن، تصرفي كسيدة رزينة، وانتظري في غرفة الجلوس إلى أن تخبر لاين والدتها أننا هنا».

أنهت لاين مهمتها، وصعدت إلى الطابق العلوي لتجد سيمون في غرفته، وهو يضع الثياب بسرعة في حقيبة سفر.

- هل أتيت لمساعدتي صغيرتي؟ أعطيني تلك القمصان القصيرة الأكمام. أيمكنك ذلك؟

أعطته لاين إياها وسألته: «ألن تمضي العطلة هنا؟».

سمع المرارة في صوتها، فأجابها بلطف: «ليس هذه المرة، عزيزتي. اشترى

www.elromancia.com

والد دانيال منزلاً في توسكانا، ونحن سنذهب إلى هناك خلال هذه الأسابيع القليلة الأخيرة من الحرية قبل أن نحتجز في الأعمال».

صمتت لفترة قبل أن تسأل: «هل تلك السيدة مع دانيال؟».

- كاندي؟ أجل، إنها كذلك. لماذا؟

شعرت لاين بالخجل يثقل صدرها. فلم تستطع إلا أن تسأل: «هل سيتزوجها؟».

انفجر سيمون ضاحكاً وقال: «يا إلهي! لا. دانيال الذي نعرفه ليس من النوع الذي يتزوج. لا أستطيع أن أتخيله وهو يسمح لزوجة أن تقيد أسلوب حياته. هذه العطلة هي طارئة وعادية جداً».

نظر إليها للحظة، ثم قال: «يوماً ما، ستحظين بأصدقاء لايني، وعندها ستفهمين أن العلاقات ليست كلها جدية».

ثم سار نحوها وعانقها قائلاً: «تهاني على قبولك في مدرسة راندالز. بالمناسبة، إنها تماماً ما أنت بحاجة له، وستكونين بخير هناك. الأمور تتحسن لأجلك صغيرتي».

هل ما قاله صحيح؟ تساءلت لاين لماذا تشعر إذاً بأن نور الشمس في ذلك النهار غاب فجأة، وأصبحت السماء ملبدة بالغيوم؟ قررت ملازمة غرفتها، إلا أنها استمرت برؤية يد تلك الفتاة تلمس ذراع دانيال. ومع أنها لم تدرك ذلك إلا بعد وقت طويل، فذلك الحدث حدد نهاية طفولتها.

* * *

ليس من النوع الذي يتزوج! بعد مرور سبع سنوات، بقيت كلمات سيمون تضج في دماغها.

آه! تغلبي على ضعفك. وبخت نفسها بنفاد صبر، وهي تلوي شفتيها. أنت جائعة، وهذا الأمر هو الأهم الآن. فطاقتك ضعيفة ومعنوياتك في الحضيض. لكن بإمكانك النجاة من كل هذا، فلا تعملي على تحويل قصتك إلى مأساة. إن أبديت الكثير من القلق والتذمر فقد تعطينه الانطباع بأنك ما زلت تهتمين لأمره.

ربما كانت نصيحة جيمي مفيدة، ولأول مرة. مبادرة صغيرة للمصالحة لن تكون سيئة. لذا قررت لاين أن تعد وجبة طعام لهما معاً، فتبرهن له من خلال تصرفها هذا، أنها ليست الفتاة البائسة التي يظنها، وأن وقتها في السفينة لم يكن مجرد رحلة استمتاع، بل عملاً جدياً جداً.

وجدت بعض الأطعمة في الثلاجة، فأخرجت قطعاً من الدجاج، وأزالت عنها الثلج بوضعها في المايكروويف، ثم أحضرت البصل والثوم من علبة الخضار وبعض أنواع البهارات من الخزانة مع علبة من صلصة البندورة والمعكرونة المجففة، وبدأت بإعداد الطعام. ما إن انغمست في العمل حتى عادت للسخرية من نفسها بسبب عاطفتها الجياشة.

أول منزل كان يفترض بهما الإقامة فيه هو الشقة التي كان يسكنها دانيال، وهي تقع في مبنى ضخم جداً، يضم مطعماً خاصاً به. وجدت لاين نفسها تتساءل بحزن ما الذي حدث لتلك الشقة في ذلك المبنى. تذكرت كيف تجولت فيها وهي تفتح فمها من الدهشة، مع أن تلك كانت المرة الوحيدة التي أخذها فيها دانيال إلى هناك لترى منزلها الجديد. ما زالت تتذكر المقاعد المغطاة بقماش ذي زغب أشبه ببراعم النبات، والسجاد الباريسي الذي يتألق كالجواهر فوق الأرض المصقولة اللماعة في غرفة الجلوس. أما أكثر ما تتذكره فهو غرفة النوم. وقفت عند مدخل الباب، غير قادرة على الدخول، وهي تحدق بالسرير الكبير وبغطائه الحريري ذي اللون الذهبي، فيما راحت الأفكار تتسارع في رأسها، مذكرة إياها بما يعنيه لها أن تكون زوجة دانيال.

حتى تلك اللحظة، لم يكن هناك أي اتصال جسدي بينهما خلال فترة خطوبتهما القصيرة. أدركت لاين ذلك باستغراب. ضمها إليه بعد وفاة سيمون، لكنه فعل ذلك ليخفف عنها. كما أنه عانقها عندما قالت إنها موافقة على الزواج به. كما عانقها بضع مرات منذ ذلك الحين بالطبع، لكنها عناقات خفيفة أو حتى ساخرة. مع ذلك شعرت لاين أن عناقه لها يسبب لها القلق والتوتر.

على أي حال لم يحاول دانيال مطلقاً أن يضغط عليها لتبدل علاقتهما إلى

مستوى أكثر حميمية، وهي لم تسمح لنفسها بإظهار أي تصرف يدل على عمق عاطفتها نحوه. فجأة أدركت أنهما معاً للمرة الأولى، وأن أحداً لن يقاطعهما. كما أنها تشعر بشوق كبير له، وتدرك أنه يقف وراءها تماماً. تحرك شوقها الكبير إليه وتوقعت أن يضمها بين ذراعيه ويعانقها بشوق مماثل لشوقها، تماماً كما يفعل دائماً في خيالها.

استدارت نصف استدارة نحوه، وعندها أدركت أنه في اللحظة ذاتها تحرك وتراجع إلى الوراء مبتعداً عنها. ثم نظر إلى ساعته، وقال بهدوء وبنبرة تلقائية: «علينا الذهاب».

افترضت لاين أنه باع تلك الشقة بعد فترة من انفصالهما، لكنها تساءلت لمَ لم يشترِ شقة تماثلها، فيها كل ما يلائم رجلاً غنياً مثله، بدلاً من الإقامة هنا في حي الفقراء؟

أتراه حقاً لا يريد أن يلزم نفسه بعقد إيجار طويل؟ لكن دانيال فلاين فاحش الثراء، وبإمكانه بالطبع إملاء الشروط التي تناسبه، وليس من المنطقي أن يختار هذه الشقة الصغيرة العادية التي لا تتسع إلا لغرفتي نوم.

عضت على شفتها وهي تفكر أن دوافع دانيال للقيام بأي شيء ستبقى دائماً غامضة بالنسبة لها. على أي حال عليها أن تتذكر أن هذا أمر لا علاقة لها به، وهو لا يعنيها مطلقاً. لكنه الآن هنا، ومن الواضح أنه راغب في البقاء، لذلك من واجبها أن تجد نوعاً من العلاقة الطبيعية بينهما، كما يجب عليها أن تتجنب طرح الأسئلة عليه، عندئذٍ لن تعود مضطرة للإجابة عن أسئلته. عساها بذلك تتجنب فتح موضوع زواجهما الكريه الذي ما كان يجب أن يحدث.

٤ - الصدمة الكبرى

جلست لاين على الأريكة وراحت تنتظر عودة دانيال. قال إنه سيغيب لمدة ساعتين، لكن غيابه تجاوز الثلاث ساعات. بدأت لاين تفكر أنه ربما قرر أن مشاركتها الشقة لا تستحق أي عناء، وأنه يحاول إيجاد مسكن بديل في مكان ما.

سماع صوت مفتاحه يدور في الباب سحبها من أفكارها. اتكأت إلى الوراء على الوسائد، محاولة أن تبدو مرتاحة وواثقة من نفسها، لكنها أدركت أنها تمسك بكوبها بشدة وكأنه حبل نجاة حياتها.

- مرحباً!

أجبرت نفسها على الابتسام ما إن دخل دانيال إلى الغرفة، وكأنها معتادة على عودته من المكتب لتناول العشاء. هذا ما كان سيحدث، بالطبع، لو أن زواجهما أصبح حقيقة.

توقف للحظة لينظر إليها بإمعان، كأنه يدرسها. رفع حاجبيه بسخرية، وتابع: «توقعت أن أعود لأجد أنك بنيت متراساً لحمايتك أثناء غيابي».

رفعت كتفيها متظاهرة بالمرح وأجابت: «المفروشات ثقيلة جداً لأتمكن من تحريكها».

توقفت قليلاً عن الكلام، ثم تابعت وهي تهز رأسها باستغراب: «كما أنني تحدثت مع جيمي، وعرفت ما الذي حدث. لا يمكن أن أصدق أنه أحمق إلى هذه الدرجة».

- أليست تلك سذاجة منك، نظراً لماضيه الحافل بالأحداث؟

رمى دانيال سترته التي كان يحملها على ظهر أحد المقاعد، وحل ربطة

www.elromancia.com

عنقه، وارتمى على الأريكة المواجهة لها، وللحظة شعرت لاين بأنفاسها عالقة في حلقها.

استجمعت شتات نفسها بسرعة، وقالت: «حسناً! ربما. لكنني اعتقدت أنه نضج وتخلى عن الجموح والتصرف بلا مبالاة، وأنه بدأ يعتمد على نفسه فعلاً».

رفع دانيال كتفيه وقال: من يعلم؟ ربما... الأمر ليس مجرد لا مبالاة كما قلت، بل جرعة إضافية من الاضطراب الغريب الذي يميز عائلة سنكلير، والذي تصعب إزالته حتى بالجراحة.

حدقت به لاين مشدوهة وسألته: «ما الذي تتحدث عنه؟ أي اضطراب تعني؟».

- تلك النزوة المبالغ فيها من التعجرف والزهو بالنفس التي تتملك المرء لدرجة الذهاب للبحث عن الخطر. سيمون كان مصاباً بها أيضاً، أتذكرين؟

أجابت لاين بعصبية: «لا أتذكر شيئاً من هذا القبيل».

- أحقاً؟ إذاً ما الذي أخذه إلى ذلك الجبل اللعين مرة بعد أخرى، في كل مرة كان يندفع للذهاب بسرعة أكبر وإلى منطقة أكثر ارتفاعاً؟

تابع بنبرة صوت قاسية: «وما الذي تملكه ليذهب في تلك الرحلة الأخيرة حيث حاول كل شخص يعرفه أن يتحدث إليه لإقناعه بعدم الذهاب».

قالت بصوت منخفض: «لا أعلم. لم أكن أعرف ذلك مطلقاً».

التقت نظراتها بنظرات عينيه بلمحة سريعة، ثم سألها: «كيف أصبح كاحلك؟».

- أفضل. وجدت بعض الضمادات في خزانة غرفة الحمام، وربطته بإحكام من جديد. هكذا أصبحت جاهزة للبدء في البحث عن عمل بدءاً من الغد.

قال دانيال بصوت ناعم: «يسعدني سماع ذلك، و... يبدو لي أنك شغلت وقتك بطريقةٍ ما أيضاً».

ثم نظر نحو المطبخ، وتابع: «هناك رائحة طعام شهي».

- رتبت غرفة جيمي لأجلي لذلك حضرت لك العشاء. حضرت المعكرونة بالدجاج. أرجو أن تحبه.

قال دانيال بصوت لا يحمل أي أثر للأسف: «شكراً لك، لكن للأسف لن نعرف ذلك مطلقاً. سأسهر في الخارج الليلة. أتيت فقط لأبدل ثيابي».

على الرغم من شعورها بالضيق أبقت صوتها هادئاً، وهي تسأله: «أهو موعد حميم؟».

- ماذا تعتقدين إذاً؟

- وهل علاقتكما جدية؟

حدّق بها بثبات وسألها: «لست أرى حقاً أية علاقة لك بالموضوع».

وأضاف بنبرة باردة كالثلج: «... وإذا كنت قد نسيتِ، أذكرك بأنك فقدت أي حق بالتدخل في حياتي الخاصة منذ سنتين».

ترك لها الوقت الكافي لتستوعب تماماً ما قاله، ثم تابع: «سنعمل على الحصول على وضع حدود واضحة. إن كنت أرغب في تناول الطعام هنا سأعلمك بالأمر. كل منا سوف يطبخ لنفسه، ولن يكون هناك أي أثر للجو العائلي المتسم بالحميمية حول الفرن. أهذا مفهوم؟».

قالت بضيق وهي تشعر بالحرارة تجتاحها: «بالطبع! مع أنني ما كنت لأستخدم عبارة «أجواء عائلية تتسم بالحميمية» كما أنني سأدفع لك ثمن الطعام الذي استعملته هذا المساء».

أجاب باستياء: «لا تكوني سخيفة. لن أضن عليك بوجبة طعام، لكن لا تجعلي من الأمر عادة».

ظهر الضيق على وجهه وهو يتابع: «هذا وضع لم يرغب أحد منا فيه لاين. لكنه الواقع، وعلينا التعامل معه بأفضل طريقة ممكنة. يمكننا القيام بذلك إن عمل كل منا بطريقته الخاصة وعاش حياته كما يرغب».

انتظر دانيال حتى أومأت برأسها ببطء شديد، وقف لحظة ينظر إليها. بدت عيناه بلون البندق، وقد ظهرت فيهما ملامح القسوة. قال بصوت ناعم، لكن لا أثر للطف فيه: «من فضلك لا تزعجي نفسك بانتظاري الليلة ولا في

www.elromancia.com

أية ليلة أخرى».

ثم سار متجهماً إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، تاركاً إياها تحدق في الفراغ.

* * *

وقفت لاين بجانب الموقد تجفف المعكرونة لتضعها فوق الدجاج، وما لبثت أن سمعت صوت إغلاق باب الشقة، وهذا يعني أنه غادر. بالطبع فقدت الكثير من شهيتها السابقة، لكنها أجبرت نفسها على أكل القليل مما حضرته، وهي تجلس إلى طاولة الفطور في المطبخ بدلاً من استعمال طاولة الطعام في غرفة الجلوس. فكرت، سأشعر أنني حمقاء إن جلست وحيدة هناك.

نصحها جيمي بأن تكون لطيفة، لكن كيف ستتمكن من ذلك الآن ومحاولتها الأولى للتقرب منه باءت بفشل ذريع؟ كلماته أعلمتها بشكل مطلق بل بقسوة أنه لا يكن لها أية عاطفة، وأنه لا يحمل في قلبه أي أثر للحب السابق بينهما. لم يبق لديها أي شك أنه تخلص كلياً من ذلك الاحساس المفروض عليه والذي قاده إلى الزواج بها. تخلى دانيال نهائياً عن المسؤولية التي لم يرغب يوماً بها، وهو متمسك بحريته. شعرت لاين بقلبها يتصلب كالحجر في صدرها. لم تفكر للحظة واحدة أنها سوف تجد نفسها في هذا الوضع المستحيل يوماً. طوال الفترة السابقة اعتمدت خطة وحيدة وبسيطة: عدم التواجد بمفردها مع دانيال مطلقاً. مع ذلك ها هي هنا الآن، وستبقى محجوزة هنا خلال المستقبل المنظور في مطلق الأحوال، وهي يائسة ولا أمل لديها بالخلاص.

ابتلعت غصة بصعوبة وهي تدفع طبقها بعيداً. نهضت عن الكرسي، وقالت لنفسها: لا تفكري! فقط استمري بالعمل.

عملت كأنها آلة ميكانيكية، فوضعت الأطباق في آلة غسل الأطباق ثم شغلتها، بعد ذلك وضعت ما تبقى من الدجاج مع الصلصة العطرة في طبق ذي غطاء في البراد لكي تتناولها على العشاء في مساء الغد، ثم نظفت المطبخ والفرن، وأعادت كل شيء إلى لمعانه وتوهجه السابقين.

أمضت لاين أمسية طويلة. حاولت مشاهدة برامج على التلفزيون، لكنها وجدت نفسها تقلب من قناة إلى أخرى بتوتر. أخيراً استسلمت وهي تزفر

بضيق، وقررت أن تسلي نفسها بالقراءة.

وجدت بعض الكتب على الرفوف فاختارت من بينها قصة، لكن القصة فشلت في إثارة فضولها. تنهدت، وتخلت عن الكتاب أيضاً.

جلست وأخذت تقلب صفحات دفتر العناوين وأرقام الهواتف، آملة أن تتمكن من الاتصال بأحد ما. ربما فونيا مديرة صالة العرض... أو سيليا ولتون صديقتها المفضلة منذ أيام المدرسة، والتي كانت وصيفة لها في زفافها العليل...

تذكرت فجأة أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك. ليس الآن على الأقل، لأنها ليست جاهزة لمواجهة الأسئلة المحتمة، لاسيما عندما يصل الأمر لمعرفة أنها ودانيال يتشاركان الشقة نفسها.

عندما انتهى زواجها بسرعة مفاجئة تمكنت من الهرب من أي إزعاج لأن الناس لاحظوا أنها متألمة وبائسة، فقمعوا فضولهم الطبيعي تاركين لها فرصة لتشفى وتتعافى. أما سيليا بالذات فكانت مثالاً للطف والولاء، وقد ساعدتها كثيراً لتستعيد حياتها الطبيعية. لكن هذا الحدث الجديد يتطلب العديد من الأجوبة التي لا تستطيع لاين تقديمها في الوقت الراهن، لأنها ما زالت تعيش في صدمة. في لحظة ما قد تُسأل عما حدث منذ سنتين، ولماذا لم يستمر زواجها حتى لمدة شهر العسل. إذا ما سئلت عن هذا الأمر ماذا يمكنها أن تجيب، بحق السماء؟ إن حاولت القول إنها أدركت أنها لا تحبه، فلا أحد سيصدقها ولو للحظة. لقد قدمت له قلبها على راحتي يديها بشكل واضح جداً ولفترة طويلة أيضاً. هي نفسها لا تعلم منذ متى بدأت تحبه، أو متى توقف دانيال عن كونه مجرد صديق لسيمون أو الأخ البديل، واحتل دوراً مختلفاً جداً في أحلامها وآمالها.

لكنها تتذكر بوضوح كلي عطلة منتصف العام الدراسي وهي في السنة الأولى في مدرسة راندالز، حيث ذهبت جميع الفتيات إلى منازلهن لتمضية العطلة، أما هي فأخبرتها المديرة بلطف أن زائراً أتى لاصطحابها لتناول الشاي في الخارج. فكرت لاين بفرح، سيمون! لابد أنه سيمون. لكنها كانت مخطئة،

لأنها وجدت دانيال ينتظرها في القاعة الرئيسية ما إن وصلت إلى أعلى الدرج.

- ما الذي تفعله هنا؟

- ذهبت إلى آبوتسبروك لرؤيتك، ولم أجدك هناك.

قالت: «لا. لم يكن الوقت مناسباً لذهابي، فلدى أمي ضيوف قادمون للزيارة والبقاء هناك».

هزّ رأسه وقال: «هذا ما علمته، ولهذا قررت أن أزورك عوضاً عن ذلك».

همست وهي تنظر حولها بقلق: «ما كان عليك الحضور، هذا أمر مناف للقوانين هنا. يسمح لنا بمقابلة أفراد عائلتنا فقط، والسيدة هالام صارمة جداً بهذا الأمر. هل سيمون معك؟».

-لا. لقد غادر إلى كارنغورمز للتسلق.

سيمون ليس هنا، لكن كنديدا المرعبة أيضاً ليست هنا، وهي تكاد ترقص من شدة الفرح.

تابع دانيال قائلاً: «والآن، هل ستخرجين معي لتناول الشاي أم لا؟ قمت بترتيب الأمر، ومديرة المدرسة تبارك خروجك».

- لكن... كيف؟ أنا لا أفهم.

سار بها نحو سيارته الرياضية المنخفضة التي كانت تقف عند مدخل الباب الرئيسي، وهو يشرح لها: «والدي كان عضواً في مجلس الحكام، والسيدة هالام لا تستطيع رفض أي طلب لي. بكل الأحوال، أريد أن أعلم كيف تجري الدراسة معك هنا».

تناولا السندويشات والكعك المغطى بالمربى والكريما والشوكولا الشهية التي قدمت لهما في مكان هادىء في إحدى الضواحي الفاخرة للمدينة في فندق ريفي، وأخبرته لاين عن شؤونها ووجهها يتوهج من الحماسة. أخبرته عن التحدي الذي تواجهه في دراستها، وعن أساتذتها المفضلين، وعن الفطائر الكريمة التي تقدم كل نهار إثنين وعن الصديقات اللواتي تمضي أوقات الفراغ معهن، وعن إمكانية الدخول إلى فريق السباحة في الفصل التالي. أنهت كلامها

بفرح وهي مقطوعة الأنفاس: «قدومي إلى هنا هو أفضل أمر حدث لي».

قال دانيال بلطف وهو يبتسم لها: «حسناً! كل شيء بألف خير إذاً!».

على الرغم من القوانين والأنظمة الصارمة، أصبحت زيارته منتظمة ومتوقعة في حياتها في راندالز، ووجدت لاين نفسها موضع حسد من قبل الفتيات الأكبر سناً.

هل بدأ ذلك الحب يومها، عندما بدأت أفكارها تتغير نحوه؟ ربما! كل ما تستطيع تذكره هو أنها بدأت تجد نفسها قلقة ومربوطة اللسان في كل مرة يكون قربها، وتتخيله في مشاهد تخجل أن تعترف بها، وتشتاق بيأس لرؤيته لكنها تشل من الخجل عندما يظهر. في النهاية، لم تعد لاين قادرة على التعامل مع العواطف الجياشة المربكة في أعماقها، فراحت تقدم الأعذار كي لا تراه، متظاهرة بانشغالها بالدرس حيناً وبممارسة ألعاب رياضية إضافية أحياناً. لكنها بالطبع، لم تكن قادرة على تجنبه كلياً في آبوتسبروك، حيث لا تملك السيطرة الكاملة على الأمر. فهو يذهب إلى هناك برفقة سيمون وهما في طريقهما إلى مكان آخر، ويكون بصحبتهما دوماً عدد من الفتيات اللواتي يتغيرن بصورة دائمة، ولطالما شعرت لاين بالازدراء والكره لأولئك الفتيات. لم تكن هذه مشكلتها الوحيدة، فأمها أصبحت أكثر توتراً بشأن المال، وأصبحت طوال الوقت غاضبة وحزينة، وقد جعل تذمرها لاين تشعر بالاحراج والضيق لعدم قدرتها على مساعدتها.

في أحد الأيام قالت لها أمها بمرارة: «لابد أنك تعتقدين أن على سيمون أن يساعدنا. هذا هو السبب الذي دفعه إلى التخلي عن رغبته في الانضمام إلى وكالة حماية الغابات والالتحاق بالعمل في المصرف».

لم تقل لاين شيئاً، فهي تعلم كم صعب على سيمون التخلي عن حلمه والعمل في المدينة بدلاً من ذلك. ولا عجب أنه يكرس معظم أوقات فراغه لممارسة هوايته المفضلة بالتسلق، فقد أصبح معروفاً الآن بمتسلق الجبال، وهو ينضم بصورة دائمة إلى البعثات المتوجهة إلى جبال الألب. أما من ناحية حياته الشخصية، فقد أثار سيمون اهتمامها وقلقها عليه. عندما زارها في المدرسة

قبل عدة شهور، قال لها بصورة عرضية: «سأتناول العشاء مع صديقة قديمة. أتذكرين كاندي التي كانت صديقة سابقة لدانيال منذ عدة سنوات؟».

قالت لاين بهدوء: «أجل أتذكرها».

وصلّت من أعماق قلبها أن يتخلى عنها أثناء العشاء. لكن ذلك لم يحصل، ففي كل مرة كانت تذهب فيها إلى المنزل كانت تجد كاندي هناك وهي تتبسم وتعامل الجميع بود لاسيما أنجيلا، كما تمتدح المنزل وتبالغ في حماسها بالتحدث عن كتب غراهام سنكلير.

في إحدى الأمسيات، قالت لأمها عندما كانتا بمفردهما: «أمي، هل تعتقدين أن الأمر جدي بين سيمون وكاندي؟».

وضعت أمها المجلة جانباً، وأجابت: «من المؤكد أنهما يفكران في الأمر بجدية، فهما يتحدثان عن الخطوبة. لماذا تسألين؟».

- يبدو لي ذلك غريباً، لاسيما أنها كانت صديقة دان.

ضحكت أنجيلا بصوت عالٍ: «طفلتي الغالية... كان ذلك منذ سنوات. حصل الكثير من الأمور منذ ذلك الوقت. بالطبع، دان ثري جداً لاسيما الآن بعد وفاة والده، كما أنه ساحر جداً. لكن أعتقد أن كاندي علمت منذ البداية أن علاقتهما لن تقودهما إلى أي ارتباط».

توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تتابع: «حباً بالله، إيلينا! قولي لي إنك تخليت عن ذلك الحب الطفولي السخيف نحوه، لأنك إن لم تفعلي فذلك أمر مؤسف ومحرج جداً».

قالت لاين بهدوء: «أنا لست مغرمة بدانيال فلاين».

ربما هذا ما كان علي أن أفكر به قبل فوات الأوان، لكنني بدلاً من ذلك جعلت منه الشمس في سمائي، وهذا جعلني سريعة التأثر، لاسيما عندما كنت في السابعة عشرة من عمري، ووقفت وجهاً لوجه أمام أول مأساة حقيقية في حياتي.

لم يخامرها أي إحساس داخلي بأن شيئاً ما سيحدث. والشيء الوحيد الذي كان يزعجها والذي يتعلق بسيمون هو تخطيطه للزواج من كاندي. قرر أخوها

أن يتم الزفاف في الصيف، حيث طلب منها أن ترتدي فستاناً من الدانتيل بلون الخزامى. أدركت لاين في قرارة نفسها أن كاندي هي آخر فتاة في العالم قد تختارها لتكون زوجة أخيها، ولم يساورها الشك بأن الشعور متبادل بينهما. الأمر الوحيد المشترك بينهما هو اعتراضهما على الموضوع المربك لولع سيمون بالتسلق، فقد بدت كاندي قلقه بشأنه مثلها تماماً، لاسيما عندما دعي في الدقيقة الأخيرة للذهاب إلى جبال آنابورنا للحلول مكان شخص آخر أصيب بالمرض.

قال سيمون حينها بمرح: «إنها فرصة العمر... عمل حقيقي بالفعل، وحلم تحقق».

ظهرت بعض ملامح الجد على وجهه وهو يتابع: «لكنني وعدت كاندي أنني سأقلع عن هذه الهواية ما إن نتزوج، فهي ترى أن الأمر لم يعد مجرد هواية بل أصبح هوساً، وربما هي على حق».

ابتلعت لاين غصة بصعوبة وهي تتذكر كيف تم إرسالها إلى مديرة المدرسة، فدخلت إلى مكتبها وهي مليئة بالذعر، متسائلة ما الذي فعلته لتستحق التأنيب. لكن ملامح السيدة هالام بدت مليئة بالحزن بدلاً من القسوة والصرامة. نهضت واستدارت حول مكتبها، لتمسك بيدي لاين بحنان، وهذه لفتة لم يعهدها أحد فيها من قبل. قالت بحزن: «عزيزتي، أخشى القول إن لدي أنباء حزينة جداً لك».

فكرت لاين: دانيال! آه، أرجوك يا إلهي! لا تدع أي سوء يحدث لدانيال.

بالكاد عرفت صوتها وهي تقول: «ما الأمر؟».

- إيلينا، عزيزتي... ما من طريقة سهلة لأخبرك بالأمر. إنه أخوك... سيمون. تعرض لحادث أدى إلى وفاته مع رجل آخر.

- سيمون؟!

امتزجت الصدمة مع الخجل، لأن صلاتها الأولى وحدسها الأول تعلقا بدانيال.

- آه! لا، من فضلك... لابد أن هناك خطأ ما.

أحنت السيدة هالام رأسها، وقالت: «لاين، يؤسفني ما حدث».

سمعت نفسها تئن من الحزن والألم. شجعتها مديرة المدرسة بلطف على الجلوس على أحد المقاعد المخصصة عادة للزائرين، وقالت لها إن العاملة في المدرسة توضب لها حقيبتها، لأنه يتوقع حضور أخيها خلال الساعة القادمة لاصطحابها إلى المنزل، ثم انسحبت بهدوء.

بعد مرور نصف ساعة فتح باب المكتب، ودخل دانيال. نهضت لاين بسرعة، وقالت بحذر: «أهذا أنت؟ اعتقدت أن جيمي سيأتي لاصطحابي».

- هذا ما رغب في القيام به، لكن أمك أصيبت بحالة من الهستيريا من فكرة تركها بمفردها.

ثم تابع بلطف: «وضعوا حقيبتك في سيارتي، لاين. يمكننا المغادرة في اللحظة التي تشعرين فيها أنك قادرة على الرحيل».

حدقت بالسجادة، وسألته: «ما الذي حدث؟ هل تعلم؟».

قال دانيال بهدوء: «التفاصيل غامضة، لكن يبدو أن انهياراً للصخور جرفهما، هو والشاب الإيطالي».

همست مرتعبة: «آه! يا إلهي!».

- تم الاتصال بجيمي لإبلاغه بما حصل قبل أن ينتشر الخبر. كان جيمي على موعد مع أمك لتناول الغداء بعد أن ذهبت إلى لندن للتسوق برفقة كنديدا، وطلب مني أن أرافقه لأبلغهما الخبر.

صمت للحظة قبل أن يتابع: «كان الأمر سيئاً فعلاً... إنها أسوأ لحظات مرت بي في حياتي كلها».

تنهد وأكمل: «أوصلهما جيمي إلى آبوتسبروك، كما أن الطبيب عاينهما ووصف لهما أدوية مهدئة، لكن أمك لم تسمح لجيمي أن يغيب عن ناظريها مطلقاً».

- من الصعب أن ألومها على ذلك.

شهقت لاين ثم تابعت: «أنا جاهزة للرحيل الآن».

سارا لمدة عشرين دقيقة قبل أن تقول بصوت مخنوق: «هل يمكنك التوقف... من فضلك؟ أشعر بالغثيان».

أوقف دانيال السيارة عند منعطف خاص للوقوف، فخرجت من السيارة بتعثر، وركعت على العشب القصير. أحنت رأسها، وتقيأت بألم لأكثر من مرة، حتى تبدل صوتها القاسي الخشن إلى شهقات وتنهدات، ثم بدأت دموعها بالانهمار. رفعها دانيال عن الأرض، وضمها إليه بشدة، واضعاً يده على مؤخرة رأسها، فبكت على كتفه بقوة ساكبة كل حزنها ويأسها.

صوت بارد كالثلج في أعماقها قال لها: ابكي قدر ما تستطيعين، لكن افعلي ذلك هنا والآن، فعندما تصبحين في آبوتسبروك يجب أن تؤمني العزاء لأمك، كما يجب عليك الاهتمام بجيمي أيضاً.

أخيراً، اتكأت عليه وهي ترتجف مدركة أنها لا تريد الابتعاد عن دفء عناقه. دانيال هو من أبعد نفسه عنها، ثم قال بهدوء: «علينا العودة. لا شك أن الناس بانتظارنا هناك».

وعلى الفور أدار المحرك وانطلق مركزاً اهتمامه على الطريق.

فكرت لاين، لو أنك فقط تضمني إليك لاستطعت أن أواجه كل شيء... حتى هذا. عندما وصلا إلى آبوتسبروك، حمل دانيال حقيبتها إلى داخل المنزل، ووضعها في القاعة.

قال لها بصوت أوحى لها أنه يشعر بالانزعاج منها: «الذي أعمال أقوم بها، لاين. سأعود لاحقاً».

ما إن سمعت صوت محرك سيارته يبتعد حتى سمعت من ينادي باسمها، ورأت جيمي يخرج من غرفة الجلوس ووجهه شاحب وقد ظهر عليه الحزن العميق. اقترب منها شقيقها وضمها إليه بقلق.

- يا إلهي! شقيقتي، لا أستطيع تصديق ما حدث. هل تصدقين؟ ما زلت أفكر أنني سأصحو في أية لحظة وأجد أن هذا كله حلم سيء جداً.

نظر إلى ما ورائها وتابع: «أين دان؟ أمي وكنديدا تسألان عنه».

-إنه مضطر للذهاب.

ثم ترددت قليلاً قبل أن تكمل: «جيمي، لا أريد أن أبدو بلا قلب، لكن أليس من الأفضل لو أن كنديدا تبقى قرب عائلتها لتهتم بها؟ فنحن سنتشغل كثيراً هذه الأيام».

هز جيمي رأسه وقال: «حسناً! يبدو أنها تنوي البقاء، وأمي توافقها على ذلك».

هزت لاين رأسها وقالت: «وهل تستعمل غرفة سيمون؟».

- أجل. دخلت إلى هناك وأغلقت الباب خلفها. ماذا أقول... كادت أن تصبح زوجته.

تنهدت لاين وقالت: «هذا صحيح!».

ربتت على كتفه وتابعت: «سأذهب للجلوس مع أمي. وسأنتظرها حتى تستيقظ».

وأنتظر دان حتى يعود. لأنه كان أفضل صديق لسيمون، ولهذا السبب سيأتي إلى هنا لأجلنا ولو لفترة. حتى تنتهي فترة الحداد على الأقل، ونتمكن من متابعة حياتنا بطريقة ما.

٥ - الفارس النبيل

أخيراً تحركت ببطء وتثاقل. تساءلت كم من الوقت مضى وهي جالسة مكانها، تحدق في الفراغ. مهما يكن، علمت أن الوقت أصبح متأخراً جداً، وليس لديها أية رغبة أن تبدو متكومة هنا في الزاوية كبيت العنكبوت عند عودة دانيال.

شعرت أنها متوترة جداً وأنها لن تتمكن من الحصول على النوم في هذه الليلة، على الرغم من حاجتها القوية له. فكرت بغصة: ما إن تنتهي من ذلك كله ويصبح الماضي خلفها بشكل نهائي، ربما تصبح قادرة على إيجاد السلام. في الوقت الراهن، قد يساعدها تناول شراب مهدىء. قررت ذلك وسارت نحو المطبخ. ربما يكون علاج السيدة إيفرشوت المجرب والموثوق به للأرق علاجاً نافعاً الآن. سكبت كوباً كبيراً وأضافت إليه ملعقة من العسل مع القليل من بودرة جوزة الطيب. حملت الكوب إلى الغرفة التي ستعتبرها منذ الآن غرفتها.

آخر عمل قامت به قبل أن تصعد إلى السرير وتندس تحت الغطاء، هو إعادة دفتر العناوين إلى حقيبتها. هذا الوضع الراهن سيمر وينتهي في نهاية الأمر، وقد تصبح قادرة على السخرية منه. عندما سيغادر دانيال ستتفق أن من الأفضل لنا أننا لم نبق متزوجين، وإلا لقتل أحدنا الآخر بدون أي شك. أما الآن فبإمكاننا أن نتصرف بشكل تلقائي ومتحضر. ليس هناك مشكلة حقيقية. لطالما كنا صديقين، والآن عدنا صديقين.

خنقت تنهيدة وهي تفكر أنها ستقرر ما ستفعله عندما يصبح الأمر ضرورياً، أما في الوقت الراهن فلديها اهتمامات أخرى. أطفأت المصباح، واستدارت على جنبها محاولة أن ترتاح لتستجمع نفسها كي تنام، لكن أفكارها

www.elfrondencia.com

ظلت تدور باستمرار وتئن مرسلة الصور المتلاحقة، في ذكريات قاسية ومؤلمة كجرح السكين.

بعد وفاة سيمون لم تتمكن لاين من التعبير عن حزنها الشخصي، إذ توجب عليها أن تساعد أمها لتتخطى تلك الأزمة. لم يقتصر الأمر على أمها فقط، لأن كنديدا أصبحت مقيمة دائمة في آبوتسبروك كما لو أنها أرملة سيمون، وبدأت لاين تتساءل إن كانت تفكر بالرحيل يوماً.

أثناء مراسم الجنازة بدت أنجيلا في منتهى الرقة بمعطفها الجديد الغالي الثمن والمصنوع من المخمل الأسود. سارت بقرب جيمي عبر الممر المحاط بالمعزين لتصل إلى مكان إتمام المراسم. تبعتها كنديدا وهي متعلقة بذراع دانيال، بعد أن تأكدت أنها تركت لاين على المقاعد الخلفية.

بعد ذلك رجع معهم عدد كبير من المعزين إلى المنزل، وبقيت لاين منشغلة بمساعدة السيدة إيفرشوت بإعداد الشراب البارد والساخن والقهوة، بينما جلست أمها على الأريكة مع كنديدا لاستقبال المعزين. عندما غادر الجميع، حان الوقت لممارسة شعائر أخرى، وهي قراءة وصية سيمون التي كتبها على عجل مباشرة قبل رحيله. في الواقع لا يملك سيمون سوى شيئاً واحداً يستحق أن يورثه بموجب وصية، وهو شقة في منطقة مانيون في لندن ورثها عن والده. أوصى سيمون تلك الشقة مناصفة بين جيمي ولاين، وكذلك قيمة الإيجار من ساكنيها، السيد والسيدة بيومونت.

- ما هذا الهراء؟

فجأة لم تعد أنجيلا حزينة وذابلة. جلست مستقيمة وعيناها تقدحان شرراً، وهي تتابع: «هذه الشقة جزء من أملاك زوجي، وكانت لسيمون طالما هو حي، أما الآن فيجب أن تعاد إلي».

سعل السيد هاثورن محامي العائلة بقسوة قبل أن يعلق: «لا! إنها ميراث حقيقي له سيدة سنكلير، ويحق لابنك أن ينقل ملكيتها بالشكل الذي يراه مناسباً. أخوه وأخته هما المستفيدان الوحيدان من وصيته».

على الرغم من عمق ارتباكها بسبب تبدل الأحداث في حياتها، لاحظت

لاين فجأة وجه كنديدا الشاحب وفمها المقفل بغضب، وأدركت أن أمنيات سيمون الأخيرة لم تشملها هي أيضاً.

تعمد دانيال البقاء بعيداً عند قراءة الوصية، وبعد حين وجدته لاين في آخر الحديقة واقفاً على ضفة النهر. كان يرمي الحصى على سطح الماء وقد بدا وجهه قاتماً وحزيناً. لفظت اسمه فاستدار لينظر إليها، ولم تظهر على وجهه أي تعابير تشير إلى أنه مسرور لرؤيتها.

- هل تريدين شيئاً ما؟

حاولت أن تبتسم: «فقط... أردت الخروج لفترة».

تابعت بعد لحظة من التردد: «أعتقد أنك كنت تعلم بشأن وصية سيمون. أليس كذلك؟».

جاء دور دان ليبدو متردداً، لكنه قال: «أجل. ذكر ذلك الأمر أمامي. يجب أن تكوني سعيدة فالشقة غالية الثمن، وهي تقع في مكان مميز جداً».

قالت ببطء: «ربما كان على سي أن يترك الشقة لكنديدا، ففي النهاية كادت أن تصبح زوجته، وهي لم تحصل على أي شيء».

أضافت بمرارة: «أعتقد أنه افترض أنه سيعود سالماً، وبإمكانه تغيير كل شيء في وقت لاحق».

استدار دانيال لينظر إلى النهر، وقال بصوت خشن: «أجل. أعتقد أن هذا بالتحديد ما فكر به».

قالت بصوت ضعيف مكبوت: «الحياة مخيفة جداً بدونه. يبدو كل شيء بمنتهى الفوضى».

- إنها كذلك أكثر مما تتصورين.

قال كلماته بصوت بالكاد يسمع، ثم أجبر نفسه على الابتسام ببرودة عندما نظرت إليه باستغراب، وتابع: «لكنك قريباً سترحلين من هنا لاين. ففي النهاية ستعودين إلى راندالز بعد عدة أيام».

ساد الصمت بينهما، ثم سألته لاين: «وأنت... هل ستبقى طويلاً هنا؟».

قال دانيال بضيق وبرودة: «لا! علي أن أغادر. سأسافر إلى سيدني غداً، وهناك بعض الأعمال التي يجب أن أنجزها قبل رحيلي».

قالت وهي تحاول أن تخفي خيبة أملها: «آه! فهمت... بالطبع. من الأفضل أن أعود أنا أيضاً، فلا بد أنهم يتساءلون عن مكاني».

شعرت بالحزن والخجل، فيما علق دانيال بصوت أكثر لطافة: «أنا لم أقصد أن أتحدث بغضب. بعد تمضية عدة أسابيع في أوستراليا ربما سأعود في مزاج أفضل».

وقف ينظر اليها، وللحظة مشوشة فكرت أنه سيلمس خدها أو أنه سيعانقها. وكادت للحظة أن تميل نحوه، لكنه بدلاً من ذلك قال بهدوء: «ستتحسن الأمور مع الوقت لاين. صدقيني!».

وسار مبتعداً بسرعة.

لكنه كان على خطأ. فكرت لاين وهي تتقلب بعدم ارتياح، فلقد اكتشفت ذلك بعد فترة قصيرة جداً.

بعد مرور ثلاثة أيام، وبعد عودتها من القرية، وجدت أمها في غرفة الجلوس. بادرتها لاين قائلة: «وجدت حقيبتي المدرسية في القاعة. ما الذي يجري؟ كيف وصلت إلى هناك؟».

كانت أنجيلا تجلس على الأريكة، وهي تقلب صفحات مجلة للأزياء. قالت: «أنا طلبت إحضارها والتأكد من أنها أصبحت خالية. من فضلك، إنها مزعجة جداً في الطريق».

حدقت لاين بها، وقالت: «لكن... لماذا؟ شارف الفصل على نهايته وعليّ تحضير الكثير من الدروس لأتمكن من المتابعة. لا أستطيع البقاء أكثر من هذا الوقت!».

- وأنا لا أستطيع تأمين المزيد من المصروف لبقائك في تلك المدرسة...!

وضعت أنجيلا المجلة، ونظرت إلى ابنتها، ثم تابعت: «...لذلك اتصلت هاتفياً بالسيدة هالام، وقلت لها إنك لن تعودي إلى راندالز. أخبرتها أننا بحاجة لك في المنزل من الآن فصاعداً».

- أمي! رسوم المدرسة تدفع من المنحة، إلا إذا تم سحبها لسبب ما. هل حصل ذلك؟

- لا! لكن المنحة لا تغطي كل شيء. هنالك الكثير من المصاريف الأخرى التي يتوجب عليّ تغطيتها، ونحن لا نستطيع الاستمرار على هذا النحو.

شعرت لاين فجأة أنها باردة كالثلج. قالت: «عليّ الذهاب إلى المدرسة كي أتمكن لاحقاً من الذهاب إلى الجامعة».

قالت أمها بضيق: «أخشى القول إنك لن تفعلي. انتهيت للتو من دفع أقساط جامعة جيمي، ولا رغبة لدي مطلقاً في البدء من جديد معك. الآن سيمون لم يعد موجوداً للمساعدة في تغطية المصاريف الكثيرة، لذلك قررت أن أدع السيدة إيفرشوت ترحل، وستتمكن من إدارة المنزل والطهو بأنفسنا».

قالت لاين بنبرة مذعورة: «هل طردت إيفي؟ لا يمكنك فعل ذلك».

أجابت أنجيلا باقتضاب: «فعلت ذلك وانتهى الأمر. سوف تبقى هنا لفترة محددة، وأنت ستمضين معظم الوقت معها، لتتعلمي إدارة شؤون المنزل. في مطلق الأحوال، إنه الوقت المناسب لتجعلي من نفسك شخصاً ذا فائدة هنا».

غاص قلب لاين في صدرها كالحجر، وقالت: «من فضلك... من فضلك أمي، قولي إنك لا تقصدين أي كلمة مما قلته. نحن نتحدث عن حياتي هنا».

- وماذا عن حياتي أنا؟ هل تدركين كيف كانت الحياة بالنسبة لي منذ وفاة والدك؟ أجبرت على المكوث هنا، ورحت أتوسل الناس للبقاء معي كي لا أصاب بالجنون بسبب السأم.

نهضت أنجيلا وأخذت تسير في الغرفة بسرعة وتوتر: «هذا المنزل لم يكن إلا حملاً ثقيلاً خلال تلك الأعوام الطويلة، وهذا الحمل ستشاركين به إيلينا، على الأقل حتى تصبحي في الثامنة عشرة من عمرك».

توقفت عن الكلام لفترة، قبل أن تضيف بضيق: «اسألي السيدة إيفرشوت عن أكياس من البلاستيك لوضع ثياب المدرسة فيها، فلن تكوني بحاجة لأي

منها بعد الآن».

راقبتها لاين وهي تعود إلى المقعد وتمسك بالمجلة، عندها تحركت ببطء وقد تيبست قدماها. سارت المسافة نحو الباب، ثم أغلقته بهدوء وراءها. وقفت للحظة في القاعة وهي تشعر بالذهول والانسحاق.

لطالما أنبأها حدسها الداخلي أنها ليست الطفلة المفضلة عند أمها، لكنها أملت أنهما ستتقربان من بعضهما بطريقة ما بسبب حزنهما على سيمون، إلا أنها أدركت الآن كم كانت مخطئة. فكرت: أشعر كأنني لم أكن أعرفها، وكأنني أمضيت حياتي كلها مع امرأة غريبة.

أدركت لاين بعد قليل أنها ليست الوحيدة التي تعاني من قساوة أنجيلا، فعندما تمكنت من السير متعثرة نحو المطبخ رأت وجه السيدة إيفرشوت الشاحب وفمها المطبق بشدة. وضعت ذراعيها بخيبة أمل ويأس حول المرأة العجوز، وضمتها إليها وهي تقول: «آه! إيفي. إنني آسفة جداً».

قالت مدبرة المنزل بصوت حزين: «لم أفكر للحظة أن السيدة سنكلير ستعاملني هذه المعاملة بعد مرور تلك السنوات. ما كان ذلك ليحدث مطلقاً لو أن المسكين السيد سيمون لم يمت».

فكرت لاين وهي مستلقية على السرير تحدق بالظلام، ينطبق ذلك على أمور كثيرة أخرى، كل أشباح الماضي خرجت من الصندوق الآن لتعذب ذاكرتها المتعبة، وتذكرها بقسوة لا ترحم بكل ما حدث في تلك الأسابيع القاسية المربكة، حيث تحولت من فتاة مليئة بالأحلام والآمال إلى خادمة مطيعة.

مرت ليال كانت لاين تسقط خلالها متهالكة على السرير من شدة الإرهاق بسبب التنظيف والطبخ وتلبية طلبات أمها المتواصلة.

في خضم تلك الحالة بلغت الثامنة عشرة من عمرها ولم تقم لها أية حفلة. في يوم ميلادها الفعلي تلقت ساعة من أمها وعقداً من جيمي ورزمة تركتها لها جدتها المتوفاة، أرسلها وكيل أعمالها السابق ومنفذ وصيتها. احتوت الرزمة على مجوهرات سنكلير اللؤلؤية، وعلى نسخة من قصة تنسون «ملحمة الملك»،

ومعها أيضاً أسطورة «لانسلوت وإيلينا». كما وصلت باقة من الورد الزهري اللون عددها ثماني عشرة وردة من دانيال، معها صندوق من المخمل في داخله قرطان من الذهب على شكل زهرتين، تتوسط كل منهما حبة ماس صغيرة.

عندما عرضت لاين الهدية على الجميع بعد العشاء علقت أنجيلا بصوت لا يخلو من النكد: «إنهما رائعا الجمال، لكنها بالطبع هدية مبالغ فيها قليلاً لطفلة في مثل عمرك».

تقدم جيمي إلى الأمام، ونقل نظراته بين أمه التي رفعت حاجبيها استغراباً وكنديدا التي تجهم وجهها، ثم ابتسم وقال: «على العكس. ربما دان يرسل لنا جميعاً فكرة مفيدة تذكرنا أن لايني أصبحت رسمياً امرأة، وأصبح لديها الحق بأن تعيش بمفردها».

ثم أضاف عن قصد وبصوت فيه تصميم: «هذا بالإضافة إلى القدرة على اتخاذ قراراتها بنفسها».

ساد صمت غريب للحظة، ثم قالت أنجيلا باقتضاب: «آه! لا تقل كلاماً سخيفاً ومنافياً للعقل».

ثم حولت الحديث إلى مواضيع مختلفة تاركة لاين في حيرة من أمرها، وهي تشعر بالانزعاج والتوتر.

مع ذلك لم تكن لاين مستعدة لمواجهة القنبلة التي انفجرت بعد عدة أيام، والتي أثرت على مستقبلها، وهي حتى الآن ما زالت تعاني من آثارها. تقلبت في السرير، وضربت الوسادة بقبضتها في خضوع، ثم دفنت وجهها فيها وهي تقول لنفسها إن عليها أن ترتاح الآن، فكل شيء سيصبح أفضل بعد نوم ليلة كاملة. لكنها علمت أن ما تقوله لنفسها غير صحيح، وأن الألم سيبقى هناك بانتظارها عندما تفتح عينيها.

* * *

استيقظت لاين في صباح اليوم التالي في وقت مبكر جداً. استلقت للحظة، وهي تشعر بالارتباك كلياً، وهي ضائعة عن معرفة الزمان والمكان. شعرت كأن عينيها مليئتان بالرمل، أما حلقها فجاف كرمال الصحراء. كأنها كانت

www.elromancia.com

تبكي في نومها، لكنها لا تستطيع تذكر ما راودها من أحلام. نظرت إلى الساعة المضيئة بجانب سريرها، وجلست على الفور. دفعت شعرها إلى الوراء بعيداً عن وجهها. ذكرت نفسها أن أمامها يوماً طويلاً، لذا فإن العودة إلى النوم قليلاً رفاهية لا تستطيع تأمينها. استحمت وارتدت ثيابها الداخلية، ثم نظرت إلى خزانتها بحثاً عن ثوب ملائم للحصول على عمل. أمسكت تنورة سوداء وقميصاً قطنية بيضاء اللون. بدت كلتاهما نظيفتين، لكنهما مجعدتان وتحتاجان إلى القليل من الكوي.

وضعت حزاماً فوق ردائها، وفتحت الباب بحذر، ثم اختلست النظر إلى غرفة الجلوس، فبدا لها كل شيء في الشقة هادئاً كلياً. سارت ببطء وهي حافية القدمين نحو الخزانة الطويلة في المطبخ حيث توضع المكواة. يبدو أن دانيال اختار أن ينام تاركاً باب غرفته مفتوحاً قليلاً لسبب ما، وهذا يعني أنها بحاجة إلى إبقاء الضجة في حدها الأدنى. أنهت عملها، وكانت تتسلل عائدة إلى غرفتها وقد وضعت ثيابها المكوية على ذراعها، عندما لمع بذهنها فجأة أن باب غرفة دانيال مفتوح لأنه تركه هكذا عندما غادر مساء البارحة.

وهذا يعني فقط أنه . . .

قالت لنفسها بقسوة: أنت لست متزوجة به، ولم تكوني مطلقاً . . . ليس بالمعنى الحقيقي للكلمة، وأنت تدركين تماماً أنه لن يعيش بمفرده لأنك رفضته. كنت تعرفين ذلك طوال السنتين الماضيتين، لذلك يجب أن تكوني معتادة على الأمر الآن. دانيال ليس زوجك، ولم يكن كذلك، لذلك من السخافة أن تشعري بهذه المرارة، وأن تشعري بالمرض والألم والخيانة، وكأنه لم يكن مخلصاً لك. عليك ألا تسمحي للغيرة بأن تحفر في داخلك كأنها مخلب مسموم، فتتخيلي أنه مع امرأة اخرى يعانقها ويضمها إليه، ويتشارك معها بكل شيء كان بإمكانك أن تحصلي عليه، لكنك عملت بتعمد على التخلي عنه.

* * *

بعد مرور عدة ساعات حصلت لاين على عمل مع أنها سمعت التردد في صوت مستخدمتها الجديدة. علقت السيدة موس وهي تنظر إلى لاين من فوق

نظارتيها: «أنت شابة جداً لتكوني عاملة في سيتي كلين. نحن عادة نفضل سيدات أكثر نضجاً. زبائننا هم أشخاص مميزون، ويطلبون أعلى مقاييس النظافة».

هزت رأسها وتابعت: «لا تبدين من النوع الصالح لهذه الأعمال، آنسة سنكلير».

ابتسمت لها لاين بثقة، وقالت: «أؤكد لك أنني معتادة على العمل القاسي».

- حسناً! غادرت أفضل فتاتين تعملان لدى الوكالة مؤخراً، ولهذا ينقصني عدد من الموظفين في الوقت الحالي. وأعتقد أن لا شيء يمنع من أن أقدم لك شهراً للتجربة.

تابعت المرأة المتقدمة في العمر بتعالٍ: «أريد شهادة شخصين عنك للتأكيد على مؤهلاتك، فأنا حازمة جداً بهذا الشأن. في النهاية، معظم أعمالنا تتم في غياب الزبائن عن منازلهم».

وبسرعة تحدثت عن الأجر الذي وجدته لاين معقولاً، وأضافت: «ستتشاركين بالعمل مع دينيز. إنها واحدة من أفضل العاملات لدي، وهي ستعمل على تقييمك، وسترسل التقرير لي».

جالت بنظرها عليها، وتوقفت عند كاحلها الملفوف بالضمادة، فقلبت شفتيها بتردد.

- التنظيف بحاجة إلى مجهود جسدي، وأتمنى أن تكوني قوية بما يكفي لتتمكني من تحمله.

قالت لها لاين بلا اهتمام: «إنه مجرد التواء بسيط، وسأصبح بألف خير نهار الإثنين».

تنفست السيدة موس بصوت مسموع، وقالت: «إذاً، أتوقع وصولك عند السابعة والنصف صباحاً، كما أنني أشدد على الدقة في المواعيد».

فكرت لاين وهي تغادر مكتب سيتي كلين أن ما تبقى من النهار سيمتد بشكل إلى ما لا نهاية أمامها، وأن لا رغبة لديها في العودة والبقاء وحيدة في

الشقة. لا تريد أن تكون على بعد خطوات من غرفة النوم الفارغة. ولا تريد أن تبدأ بالتفكير بدانيال من جديد، متسائلة أين أمضى ليلة البارحة ومع من. مع أنها تعلم أن ذلك أمر محتم، أينما كانت أو مهما حاولت أن تتجنب التفكير بذلك. تلك الأسئلة التي تعذبها الآن عذبتها لمدة سنتين، ولطالما شعرت بالبؤس المطلق لأنها لم تتمكن من التخلص منها.

أتراها ستتمكن من النسيان لو ذهبت للسير قليلاً في شوارع لندن؟

لم ترغب يوماً في العيش في المدينة، لكن بعد انتهاء زواجها أصبحت خياراتها محدودة، لا سيما بعد أن خسرت عائلتها آبوتسبروك، ولم تعد تستطيع العودة إليها. لقد تغيرت حياتها كلها منذ تلك اللحظة وما زالت.

وهكذا، ما إن قررت عائلة بيومونت أن تتخلى عن شقة مانيون بلايس بدا لها أن الخيار الوحيد الواضح أمامها هو أن تنتقل للعيش فيها مع جيمي، لا سيما عندما عُرض عليها العمل كمساعدة في معرض حديث للفنون في وست أند. أما الشخص الذي أمن لها هذا العمل فهو والد سيليا، فهو يملك أسهماً في المعرض. في ظاهر الأمر، بات لديها كل ما يمكن أن تطلبه، كما كانت تذكر نفسها بشكل دائم ومملّ، في حين حاولت أن تتظاهر أن ليس هناك ثقب أسود كبير من الوحدة والبؤس في أعماق عالمها الصغير. لكنها لم تعد تستطيع التظاهر بعد الآن. لا تستطيع أن تقول لنفسها إن دانيال ينتمي إلى الماضي في حين أنه هنا، تماماً في وسط الحاضر. كما أنها لا تستطيع أن تهرب من جديد مهما كانت غاضبة وحزينة.

هذه المرة ستبقى لتواجه هذا العذاب وهذا الألم.

* * *

عادت إلى الشقة في بدايات المساء لتجد أن دانيال سبقها إلى هناك. رمى بحقيبة عمله على أحد المقاعد، فيما أغلق باب غرفته بإحكام.

بعد تردد قصير، سارت عبر الغرفة، وطرقت بابه. لم تسمع أية إجابة لفترة، ثم فتح الباب وواجهها وهو يعقد حزام ردائه الحريري الأزرق الداكن حول خصره، وقد علا العبوس وجهه. سألها بسخرية: «هل لديك رادار

داخلي يعلمك بالتحديد متى أنتهي من الاستحمام؟».

- أنا آسفة.

تمنت ألا تبدو شديدة الارتباك، شعرت بالغضب لإدراكها أنها متوردة الوجه من الاحراج.

- أحتاج إلى التحدث إليك، لكنني سأفعل ذلك في ما بعد.

قال دانيال بنبرة آمرة: «قولي ما تريدينه الآن، فأنا سأخرج بعد قليل».

وهل ستبقى غائباً طوال الليل أيضاً؟ تمكنت من الإمساك بالسؤال قبل أن تخونها شفتاها وتتفوهان به بصوت عالٍ. بدا لها أنها ستكون أكثر أماناً إن نظرت إلى الأرض بدلاً من النظر إليه.

- في الواقع، أريد أن أطلب خدمة منك.

- أحقاً تريدين ذلك؟

على الرغم من كل شيء، أدركت أنه يتأملها بسخرية، وهو ينظر بازدراء نحو قميصها البيضاء البسيطة وتنورتها السوداء المتحفظة.

أخذت لاين نفساً عميقاً، وقالت وهي لا تزال تتجنب النظر إلى عينيه: «دان، من فضلك... ألا تستطيع ...؟ أقصد... أنت لا تجعل الأمر سهلاً علي».

ضحك دانيال بقسوة وغضب، وسألها: «أمن المفترض أن آخذ هذا الأمر بعين الاعتبار الآن؟ هل تعتقدين أنه كان من السهل علي أن أذهب إلى محامي وأقول له إنني رُفضت من قبل عروسي بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من زفافنا؟».

قالت وهي تبتلع غصة بصعوبة: «لا... لا أعتقد ذلك. أنا أدرك بالطبع أنه لا يحق لي أن أطلب أية مساعدة منك، لذا أعتذر».

ما إن استدارت مبتعدة حتى قال: «انتظري! ما الذي تريدينه؟».

رفعت ذقنها عالياً، وقالت: «وجدت عملاً اليوم، لكنه يتطلب التواجد في منازل أشخاص متغيبين عن منازلهم، لذلك أنا بحاجة إلى من يعرّف عني أو يضمن طريقة تصرفي».

سألها وقد ظهر العبوس على وجهه: «أي نوع من الأعمال هذا؟».

أجابت وهي تضم ذراعيها إلى صدرها: «إنها شركة تدعى سيتي كلين، وهي تؤمن خدمات لتنظيف مبانٍ فيها شقق خاصة».

قال بنعومة: «يا إلهي! لقد دار الدولاب دورة كاملة».

إنها ردة الفعل التي توقعتها، لذا تقبلت لاين تعليقه من دون أي إجفال.

أوضحت قائلةً: «هذه المرة سوف أؤمن معيشتي على الأقل، لكنني بحاجة إلى توصية... بل توصيتين، لكن فيونا صاحبة المعرض الذي كنت أعمل فيه ستؤمن التوصية الثانية. أعتقد أنها شعرت بالامتنان لأنني لم أذهب إلى هناك لاستعادة عملي القديم».

أدركت لاين أنها تثرثر، فتوقفت على الفور وقالت: «إذاً، هل يمكنك القيام بذلك؟».

سألها دان بنعومة: «وماذا يفترض بي أن أقول؟ أن أقسم أنك جديرة بالثقة بشكل مطلق، وأنك تؤمنين الرضى الكامل بكل الأوقات؟ ألا أكون بذلك كمن يقدم شهادة كاذبة عزيزتي؟».

شعرت لاين بالألم يعتصرها وكأنها أصيبت بضربة قاضية، لكنها أجبرت نفسها على البقاء صامدة وقوية، والتحدث بصوت ثابت وحازم، مع أن وجهها تورد من الخجل من جديد بسبب سخريته.

- أعتقد أن الاهتمام الرئيسي للشركة هو السرقة، لذا يمكنك القول إنني لم أسرق منك شيئاً أبداً. ربما يمكنك ببساطة أن تذكر ذلك، وأن تعطي إفادتك بعض الإيجابية... ربما؟

قال: «ربما! للحظة تساءلت إن كنت تتوقعين مني أن أقوم من جديد بدور الفارس النبيل صاحب الدرع الذهبية، وأقدم على إنقاذك».

توقف عن الكلام للحظة، ثم أضاف: «لكنني ما زلت قادراً على التصرف بشهامة، لذا اتركي عنوان شركة التنظيف في مكان أستطيع أن أراه فيه، وسأطلب من سكرتيرتي أن تكتب لهم».

عضت على شفتها وقالت: «أنا ممتنة لك».

- شكراً على تأكيدك، لكنني أعرف مسبقاً الحدود التي تظهرينها لامتنانك، بما فيها عواطفك الدفينة. لذا لتكن هذه الخدمة الأولى والأخيرة. هل نستطيع ذلك عزيزتي؟

تراجع دانيال إلى داخل غرفته وأغلق الباب، تاركاً إياها واقفة في الخارج، تحدق بألواح الزجاج المغلقة. لكن ما إن عادت ببطء إلى غرفتها حتى وجدت نفسها تتذكر نبرة الغضب في صوته. أدركت أن ذلك الغضب ممزوج بشيء آخر من السهل جداً التعرف عليه، وشعرت برجفة تسيطر عليها.

www.elromancia.com

٦ . لاتتركني!

دار الدولاب دائرة كاملة!

راحت كلمات دانيال تتردد بصورة دائمة في ذاكرتها، عندما استلقت على السرير وأخذت تحدق بالسقف. تساءلت إن كان دانيال ما زال يذكر ذلك اليوم الذي عاد فيه منذ سنتين، وبعد عشرة أشهر على وفاة سيمون. يومها دخل إلى غرفة الجلوس في آبوتسبروك، فوجدها واقفة على السلم تحاول جاهدة أن تعلق ستائر جديدة وصلت ذلك الصباح.

- ما الذي تفعلينه هناك، بحق السماء؟

لم تلاحظ لاين دخوله إلى المنزل، لذا فوجئت بوجوده في الغرفة. طرح دانيال سؤاله هذا بغضب وهو يقف خلفها، ما جعلها تقفز مجفلة، كي تنزل عن السلم بسرعة قصوى وهي ترتجف.

- انزلي حالاً!

لم يكن هناك داع لأن يلف يديه الاثنتين حول خصرها ويرفعها عن السلم، مع ذلك هذا مافعلهَ. وضعها على الأرض لتواجهه، وهي مخطوفة الأنفاس متوردة الخدين.

- دان؟!

سمحت لاين لنفسها أن تبدو متفاجئة كي لاتظهر قوة مشاعر الفرح التي سيطرت عليها لرؤيته من جديد، بعد تلك الأسابيع التي بدت من دون نهاية. لاحظت بأسى كم يبدو فاتناً، وقد ارتفع كمّا قميصه البيضاء عن ذراعيه، ليظهرا سمرة بشرته، كما لاحظت أن تلك الخصلة من شعره الأسود متدلية على جبهته كما تبدو دائماً، ما جعلها تشتاق لتمرر يدها عليها وتعيدها إلى الوراء.

بعد ذلك أدركت أن من الخطر أن تقف مكانها وهي تحدق به وقد فتحت فمها. تذكرت أيضاً أنها ترتدي ثياباً قديمة للعمل هي عبارة عن سروال قصير قديم وقميص باهتة اللون. سارعت تقول: «لم تذكر أمي مطلقاً أنها تتوقع حضورك. هل ستبقى هنا لكي أحضر لك غرفتك، أم...؟».

قاطعها بحدة: «لافكرة لأمك مطلقاً بأنني هنا. أنا أنزل في فندق غير بعيد من هنا، وأتيت لأنني لم أجدك في راندالز. ماالذي يجري؟».

رفعت كتفيها وقالت: «تركت المدرسة. ألم تخبرك بذلك السيدة هالام؟».

- بالطبع أخبرتني.. وبالتفصيل أيضاً.

لكنه تابع يسألها بضيق وانزعاج: «لكن ما لم تستطع قوله هو: لماذا؟».

- لم يعد لدينا مدبرة منزل، وأنا مفيدة أكثر هنا.

ساد الصمت لبرهة، ثم قال دان بنعومة: «ياإلهي! هذا أمر لا يصدق. ما الذي حدث للسيدة إيفرشوت؟».

- رحلت هي أيضاً. لم نعد نستطيع الاحتفاظ بها في هذه الأيام.

قال وقد ظهرت نبرة غريبة في صوته: «إذاً، أنت تقومين بعملها الآن، وتتقاضين الراتب نفسه على ما أظن. أليس كذلك؟».

- ياإلهي! لا. ما أفعله هو جزء من الاقتصاد في المصروف.

- يمكنني تخيل ذلك. وإلى متى ترغب أمك في الاستمرار بهذا التدبير الشاذ؟

- حتى يتم بيع آبوتسبروك. ذهبت أمي إلى السوق العقاري البارحة. من يعلم؟

وتابعت: «تحاول أمي أن تجعل المنزل أكثر إشراقاً بهدف التأثير بالمشترين».

قال دانيال باستياء: «أريد أن أعلم متى وصلت إلى هذا القرار الخطير».

- ما إن أصبحت في الثامنة عشرة من عمري، ولم يعد هناك أي دور للوصي. آه! شكراً لك على القرطين الرائعين وعلى الورود.

ثم أضافت بسرعة: «أردت أن أكتب لك كي أشكرك، لكنني لم أكن أعلم

www.elromancia.com

أين أنت بالتحديد».

- انسي أمر الهدية الآن.

عقد دانيال حاجبيه في تجهم بارد، وتابع يقول: «إذاً، أين هي أمك الآن؟ أريد أن أتحدث إليها».

- إنها في نادي الغولف. ستعود عند الساعة الخامسة، وهي تتوقع أن تجد هذه الستائر معلقة.

- إذاً، يمكنها أن تعلقها بنفسها.

أمسك دان القماش السميك من بين ذراعيها، ورمى به فوق ظهر المقعد، وتابع يقول: «ولتخاطر هي بكسر عنقها لا أنتِ».

قالت لاين معترضة: «يبدو أنك لم تفهم ما قلته لك. إنه جزء من عملي».

أجابها بلطف: «أنت مخطئة لاين. أفهم ما تقولينه تماماً، إلّا أنني أسأل نفسي ماالذي تفعله أمك في نادي الغولف، بحق السماء!».

قالت لاين بصوت مكبوت: «إنها تذهب إلى هناك كل يوم. بدأت بأخذ دروس منذ أكثر من سنة على يد المدرب الجديد جف تانفيلد».

توقفت قليلاً قبل أن تتابع: «إنه يصغرها بسنوات عديدة».

ساد الصمت بينهما، وبعد قليل قال دان مفكراً: «يمكنني أن أفهم ما يجري إن تناولت فنجان قهوة سوداء، فلنذهب ونعد القهوة».

عندما جلسا قبالة بعضهما إلى طاولة المطبخ الكبيرة القديمة الطراز، واضعين فنجانين من القهوة أمامهما، قال دانيال: «أخبريني ما الذي يجري حقاً هنا لاين. أريد أن أعرف كل شيء».

حاولت لاين أن تبقي صوتها هادئاً كي لا يعبرعن خيبة أملها القوية: «سنذهب للعيش في إسبانيا، في أحد المنتجعات التي بنيت حول ملاعب الغولف».

- أنت أيضاً؟

هزت رأسها وقالت: «عندما تباع آبوتسبروك ستستثمر أمي أموالها هناك بشراء أسهم في المنتجع. سيتابع جف تعليم الغولف، فيما تعمل هي في

الإدارة، وأنا سوف أساعدها».

- منذ متى علمتِ بهذا المشروع؟

رفعت لاين كتفيها وقالت وهي تحاول أن تبتسم: «أخبرتني بذلك بعد عدة أيام من عيد ميلادي».

- همم... فهمت. وهل وافقتِ؟

عضت لاين على شفتها وقالت: «ليس لدي أي خيار آخر».

عاد دانيال يسألها: «هل تخطط أمك للزواج من تانفيلد؟».

- لا أعلم. مع أنني سمعت شجاراً دار بينها وبين سيمون قبل رحيله، وأنا واثقة أنني سمعت اسم تانفيلد.

قال ببطء: «إذاً، سيمون كان على علم بالأمر. حسناً! هذا يفسر أشياء كثيرة».

سألها بعد قليل: «ما رأيك بزوج أمك العتيد؟».

قالت ببطء: «أعتقد أن... لا بأس به».

لكنها سرعان ما اندفعت تعترف بالحقيقة: «إن أردت الحقيقة، عندما قتل سيمون، اعتقدت أن هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث في الحياة، لكنني كنت مخطئة. فجأة بدأ كل شيء ينهار من حولي، وأنا لا أستطيع القيام بأي شيء للحؤول دون ذلك».

ساد الصمت لفترة، ولم يقطعه غير سماع صوت سيارة تقترب. سألها دان بهدوء: «أهذه أمك؟».

تنهدت قائلة: «لا! هذه سيارة أجرة من المحطة. إنها كنديدا، فهي تأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع».

رفع حاجبيه، وقال مستغرباً: «هذا يفاجئني! هل تفعل ذلك بصورة دائمة؟».

هزت رأسها وقالت: «من المفترض أنها تحزم الأغراض التي تخص سيمون لتأخذها إلى دور الإحسان، لأن أمي لاتستطيع القيام بذلك. لكن لا يبدو أنها ستنجز هذه المهمة في القريب العاجل».

نهضت وهي تقول: «من الأفضل أن أحضر الفرن للاستعمال، فقد جهزت طبقاً من اللحم البارحة، وأحتاج إلى تسخينه فقط».

تابعت بعد قليل: «هناك ما يكفي للجميع، إن رغبت في البقاء أيضاً».

قال دانيال: «لا! لا أعتقد ذلك. لدي خطة أفضل. لِمَ لا أصطحبك إلى العشاء بدلاً من ذلك؟».

فتحت لاين فمها باندهاش.

في تلك اللحظة فتح باب المطبخ، ودخلت كنديدا وهي تبدو منزعجة، فقالت متذمرة: «خدمة القطارات كابوس فعلي. تعمدت القدوم باكراً، مع ذلك وجدت القطار مكتظاً بأكثر الناس إزعاجاً».

ما إن رأت دانيال حتى توقفت عن الكلام على الفور، وظهرت ابتسامة كبيرة على وجهها الذي غاب عنه فجأة كل أثر للاستياء والتعب، وتابعت تقول: «دان! حبيبي... لم تكن لدي فكرة أنك ستأتي إلى هنا».

أجابها دانيال بصوت ناعم كالحرير: «يمكنني أن أقول الكلام نفسه عنك أيضاً. كيف حالك كاندي؟».

- آه! ما زلت أقاوم. أنت تعلم كيف تجري هذه الأمور، فأنا أحضر إلى هنا معظم العطل الأسبوعية لأبقى قرب المسكينة أنجيلا.

توقفت عن الكلام لتتنهد قبل أن تتابع: «نحاول أن نكون معاً لمساعدة بعضنا البعض».

علق دانيال بصراحة مطلقة: «إذاً، يدهشني أنك لم تتوجهي مباشرة إلى نادي الغولف. لكن من الجيد أنك وصلت باكراً».

تابع بالنبرة الحازمة نفسها: «أتوقع أنها ستكون متعبة وجائعة بعد قضاء فترة بعد ظهر مضنية في ممرات الغولف، لذا يمكنك البدء منذ الآن بإعداد العشاء لكليكما، لأننا أنا ولاين سنخرج لتناول العشاء».

قالت كنديدا وهي تنقل نظرها بينهما، ثم تبتسم من جديد ابتسامة واسعة: «آه! هذه فكرة رائعة. لِمَ لا نخرج جميعاً؟».

أجابها بهدوء: «لأنني دعوت لاين بمفردها كتعويض عن عدم حضوري

حفلة عيد ميلادها».

التف من وراء الطاولة، ثم شد لاين إليه، وطبع قبلة ناعمة على شعرها، وهو يقول بنعومة: «اذهبي ورتبي مظهرك من أجلي عزيزتي. سأعود عند الساعة السابعة».

أدركت لاين أنها ترتجف في أعماقها، وأنها تكاد تترنح. أخيراً قررت أن تركض إلى غرفتها مادامت ساقاها قادرتين على حملها.

ما إن ركضت على الدرج حتى وجدت نفسها تكرر كلماته «سأعود عند الساعة السابعة» مراراً وتكراراً بصوت يكاد لايسمع، وكأنها تعويذة لجلب الحظ.

ما زالت تتذكر كيف أمسكت بكل قطعة ثياب في خزانتها وهي تحاول أن تجد شيئاً يتلاءم مع المناسبة، وتذكر نفسها في الوقت ذاته بأن هذا ليس موعداً غرامياً؛ دانيال يتصرف بلطف فقط.

فكرت لاين بحزن: علمت ذلك حينها، فلماذا لم أتذكره في ما بعد، عندما أصبح الأمر مهماً بالفعل؟

في النهاية قررت ارتداء أفضل ثوب لديها، وهو عبارة عن تنورة فيروزية اللون وقميص بيضاء اللون عالية القبة. فكرت بأسى أن ثيابها لا تبدو أنيقة، لكن القرطين اللذين أهداها إياهما سيجعلان منها أكثر ملاءمة. في الدقيقة الأخيرة قررت وضع قلادة حجر القمر مع السلسلة الذهبية الرفيعة، وهما هديته لها في عيد ميلادها السابع عشر.

تساءلت إن كان دانيال سيلاحظ ذلك، إلّا أنها أوقفت تدفق أفكارها على الفور، إذ أدركت أنها تسير بها نحو أوهام خطيرة جداً. ذكرت نفسها أن تلك القلادة سببت لها ما يكفي من المتاعب حينها. ففي ليلة عيد ميلادها، ركضت نحو ذراعيه لتشكره، وبطريقة ما وجدت أنها تعانقه بلهفة، وقد راودها إحساس غريب بعدم القدرة على الابتعاد عنه.

بدا ذلك تصرفاً خاطئاً لاحظه كل من في الغرفة، لاسيما أنجيلا التي وبختها بكلام قاس جداً، قائلة إنها أصبحت كبيرة جداً لترمي بنفسها على دانيال كما

فعلت. فيما هي تستعد للقاء دانيال تلك الليلة، تذكرت ذلك العناق، وشعرت أنها شابة صغيرة جداً ومرتبكة جداً. فكرت أن من الأفضل لها ألا يكون هذا موعداً غرامياً حقيقياً، إذ لن تكون هناك أية فرصة ليتعانقا أو لتتوقع أي شيء منه.

في تلك اللحظة الحاسمة أمرت نفسها بحزم أن تتوقف عن التفكير. أمسكت حقيبة يدها، وتنفست بعمق، قبل أن تنطلق متجهة نحو الدرج.

لم تكن أنجيلا قد عادت بعد. رأت كنديدا في غرفة الجلوس تقلب صفحات مجلة بطريقة تظهرها كأنها تفضل تمزيقها ورمي أحدهم بها. حدقت بلاين بغضب، وقالت: «أتنوين حقاً ارتداء هذه الثياب للخروج مع دانيال فلاين؟».

تظاهرت لاين بالتأكد من محتويات حقيبتها، فيما شعرت أن ثقتها الضعيفة بنفسها قد تحولت إلى رماد.

جاءها الانقاذ على الفور بسماع طنين جرس الباب، فاتجهت لترى من الطارق، ووجدت دانيال منتظراً عند درج المنزل. بدا أنيقاً جداً في بذلته السوداء وربطة عنقه الياقوتية اللون. بادرته بالقول: «أهذا أنت؟».

- كم عدد الرجال الذين ستقابلينهم الليلة؟

أجابت معترضة: «لكنك لم تقرع الباب من قبل مطلقاً».

نظر إلى الداخل من فوق كتفها، ولوى شفتيه تبرماً ثم قال: «ربما... لأنني أرغب الآن في المغادرة بسرعة».

ثم أمسك بيدها، وتابع: «لنذهب».

رأت لاين سيارة طويلة، منخفضة السطح ولماعة. غاصت في المقعد الجلدي المريح، وهي تخنق تنهيدة من الفرح، «هل هي جديدة؟».

اعترف دانيال قائلاً: «سيارتي هي دائماً من الماركة نفسها، لكنني ببساطة أجدد الطراز كل سنة».

سألها بعد قليل: «هل تعلمت قيادة السيارة؟».

أجابت: «لا. ليس بعد».

من المحتمل ألا يحدث ذلك مطلقاً. لايمكنها أن تتصور أن أمها مستعدة لدفع الفاتورة، أو حتى السماح لها باستعمال سيارة العائلة الوحيدة. نظرت إليه وعلقت بخجل: «تبدو بخير، كما أنك شديد السمرة. اعتقدت أنه فصل الشتاء في أوستراليا».

- هذا صحيح، لكنني توقفت في أميركا وأنا في طريق عودتي. صديقي يملك منزلاً في كيب كود حيث أمضيت عدة أسابيع. هناك الكثير من الشواطئ حيث يمكن للمرء أن يتنزه ويستغرق في التفكير.

ويبدو أنه أراد التفكير الآن أيضاً. فكرت بذلك بحزن ما إن غرق في الصمت. على أي حال، ربما هو يركز فقط على القيادة في ذلك الطريق الريفي الضيق. في الواقع لم يزعجها ذلك الأمر مطلقاً. يكفيها أن تجلس بقربه فقط، أخيراً، انعطف بسيارته عبر بوابة ضخمة من الحديد المزخرف، فجلست باستقامة على الفور. قالت بصوت أظهر صدمتها: «لكن... هذا قصر لانغ بو. هل سنتناول العشاء هنا؟».

- ألديك شيء ما ضد هذا المكان؟

بدا مندهشاً وهو يتابع: «بدا لي أنه مقبول جداً عندما قمت بالحجز من جناحي في وقت سابق».

- لم أزر المكان من قبل. لكن أليس الطعام فيه غالي الثمن جدا؟

رماها بابتسامة صغيرة وهو يرجع بالسيارة إلى مكان معد للوقوف.

- لا أسمع هذا الاعتراض عادة عندما أصطحب فتاة لتناول العشاء.

قالت وقد تورد خداها من الإحراج: «لا... بالطبع لا. أنا آسفة».

شعرت بكلمات كنديدا تلسعها من جديد، فتابعت: «كل ما في الأمر أنني لا أرتدي ثياباً مناسبة».

استدار دانيال أمام السيارة، وفتح لها الباب وهو يقول بنعومة: «لا شك لدي أنني سأكون موضع حسد كل رجل في هذا المكان».

إطراؤه هذا جعل اللون يندفع أكثر فأكثر إلى خديها.

ما إن اجتازت لاين عتبة المطعم حتى شعرت بالرعاية والاهتمام. قادها

دانيال إلى غرفة جلوس رائعة الجمال بمقاعدها الطويلة المغطاة بقماش زاهي الألوان، والكراسي المرتبة حول طاولات مستديرة صغيرة.

بعد قليل وصل طبق من الفطائر الهشة التي تحتوي على مختلف أنواع المذاقات الشهية والفريدة. قالت لاين وهي تتنهد: «لن أتمكن من تناول أي شيء آخر».

ضحك دانيال وقال: «أعتقد أنك ستفعلين».

وكان على حق. فعندما قدمت لهما الكريما المخفوقة مع بقلة الماء ثم القريدس بالمايونيز وجدتها شهية، حتى إنها لم تبقِ على شيء منها. أخيراً اختتمت عشاءها بتناول الحلوى وهي عبارة عن قطعة من التارت المغطى بالفريز.

قالت وهي تنظر حولها بعينين تشعان بالفرح: «هذا مكان ساحر».

أضافت بنبرة رسمية أكثر: «سأتذكر هذا المكان دوماً. لا أعتقد أنني سأجد في إسبانيا مكاناً مثله».

علق دانيال: «لا أعتقد ذلك أنا أيضاً، إذاً لمَ تذهبين؟».

قالت: «أنت تتحدث وكأن لدي خياراً آخر».

أجاب بهدوء: «في الواقع، نعم لديك خيار آخر. يمكنك البقاء معي في إنكلترا».

بدا لها أن العالم توقف عن الدوران فجأة، ووجدت نفسها غير قادرة على التنفس: «هل تعرض علي عملاً لديك؟».

- لا، ليس بالتحديد.

ابتسم لها عبر الطاولة، من فوق ضوء المصباح الصغير الموضوع في وسط الطاولة، وتابع قائلاً: «أسألك إن كنت توافقين على الزواج بي».

ساد الصمت لفترة، ثم قالت لاين بصوت فيه بعض الارتعاش: «إن كانت تلك مزحة، فهي ليست لطيفة على الاطلاق».

مدّ دانيال يده وراح يداعب أصابعها النحيلة وهو يقول: «هل من عادتي أن أكون عديم اللطف؟».

هزت رأسها بصمت، وهي تحاول أن تمحو من رأسها ذكريات الفتيات الشقراوات اللواتي بدا لها أن عددهن لاينتهي.

- حسناً! ماذا؟

سادت فترة من الصمت من جديد بينهما. بعدئذٍ قال لها بنبرة ملؤها المرح: «عزيزتي! هذا التردد من قبلك يسيء إلى ثقتي بنفسي. اعتقدت أنك معجبة بي».

- بالطبع!

أنا أحبك... أحبك! أحببتك دائماً، وسأحبك إلى الأبد!

- لكن ليس بما يكفي كي تتزوجي بي. أهذا هو السبب؟

شعرت لاين أنها غير قادرة على النظر إليه، فأبقت رأسها منخفضاً فيما قالت: «لم أظنك يوماً من الرجال الذين يرغبون بالزواج».

قال دانيال ببطء وبنبرة رقيقة: «يمكنني القول إنني انتظرتك إلى أن تكبري، لكنني أشك في أن تصدقي هذا الكلام، لاسيما أنك رأيتني مع العديد من الفتيات..».

وعندما رآها تعض على شفتها، تابع: «... أهذه هي المشكلة حبيبتي؟ ... الماضي؟ ألا نستطيع أن نتفق على دفنه، فنركز على المستقبل؟».

شعرت لاين بوجهها يتوهج من الحرارة، فقالت: «آه! بالطبع».

كل ما في الأمر هو أنني لا أعرف ماذا أقول لشخص حول أغرب أحلامي وأجملها إلى حقيقة في لحظة واحدة!

نظر إليها دانيال للحظة، ثم أضاف برقة ونعومة: «سببت لك الرعب. أليس كذلك عزيزتي؟ لم أقصد ذلك، لكنني اعتقدت أن حدسك الأنثوي سيعلمك لماذا أردت الخروج برفقتك هذا المساء».

ببساطة وبصورة تلقائية، أدار دانيال يدها وبدأ يرسم دوائر وهمية على راحتها بإبهامه. على الرغم من رقة لمساته، شعرت لاين كأنها تخترقها وتحولها إلى لهب متقد. حتى إنها كادت تصرخ بصوت عال من التأثر.

وصلها صوته هامساً بنعومة: «تزوجي بي، لاين».

www.elromancia.com

شعرت بجفاف في فمها، وبأن أنفاسها باتت عالقة في صدرها. إلا أنها تمكنت بطريقة ما من الهمس: «أجل».

رأته يحني رأسه في تسليم مؤكد، وما لبث أن ترك يدها، ولوى شفتيه وقد ظهرت عليه ملامح حزن طفيفة، ثم قال: «والآن، من الأفضل أن نذهب لننقل الخبر إلى أمك».

أرادت لاين أن تصرخ كالأطفال: لا أريد الذهاب الآن... أريد البقاء بمفردي معك...، لكنها بالطبع لم تقل كلمة من ذلك، بل ابتسمت وهزت رأسها موافقة. حاولت أن تخفي الشعور بالخوف الذي تردد في داخلها، آملة ألا يكون هناك مبرر له.

إلا أن أملها هذا راح أدراج الرياح!

حدقت أنجيلا بدانيال وهي تقول: «هل تريد الزواج بإيلينا... هذه الطفلة؟ إنه أمر غريب حقاً. لا أستطيع الموافقة على أمر كهذا».

وقفت لاين قربه ويدها بيده. تمنت في تلك اللحظة أن تختفي تحت الأرض من شدة شعورها بالإذلال. لاحظت أن كنديدا تجلس مستقيمة الظهر، وقد بدا وجهها كقناع محفور في الصخر، بينما وقف جف تانفيلد فاتحاً فمه من الدهشة.

قال دانيال بهدوء: «أنا لا أطلب موافقتك سيدة سنكلير، فأنا لست بحاجة إليها. أنا أخبرك عما قررناه بدافع الاحترام فقط. وقد قررنا الزواج خلال الأسابيع القليلة القادمة».

حركت أنجيلا يدها بعصبية: «هذا أمر مستحيل. علي أن أبيع هذا المنزل وأن أنظم أموري للانتقال إلى إسبانيا، فلا يمكنني أيضاً أن أحضّر لزفاف كامل».

قال دانيال بضيق: «لا أحد يطلب منك ذلك. سأتحدث إلى كاهن القرية لتحديد موعد في منتصف الأسبوع. سنقيم حفل استقبال هنا بعد مراسم الزفاف، وسأحجز الطعام والشراب بنفسي. كل ما عليك فعله هو مساعدة لاين في اختيار ما سترتديه، و... أرسلي الفاتورة إلي».

استدار لينظر إلى الفتاة الواقفة بجانبه، ثم رفع يدها التي يمسك بها إلى شفتيه وتابع: «أريد أن تصبح لاين زوجتي في أسرع وقت ممكن، ويبدو أن هذا ما تريده هي أيضاً».

وجدت لاين صوتها بطريقة ما، فقالت: «أجل... هذا ما أريده».

تقدم جف تانفيلد نحوهم كأنه قادم على شن حرب ما، ثم قال: «أنجيلا تعتمد على مساعدة إيلينا الفعالة في مشروعنا الجديد في إسبانيا. سنعمل كفريق واحد، وهكذا ستحظى بتجربة عمل قيمة ومثيرة، وبالفرصة لترى مكاناً جديداً في هذا العالم».

نظر دانيال إليه وقد لوى شفتيه بانزعاج.

- لا أشك في أنها ستؤمن لكما خادمة ممتازة. على أي حال، أعتقد أن لاين ستجد العيش والسفر معي أكثر متعة من المناظر التي توفرها غرفة الغسيل في إسبانيا.

ضحكت أنجيلا بصوت مرتفع: «إنها قصة سندريلا كما يبدو. أليس كذلك؟ غير أنني لا أستطيع أن أتصورك أمير الأحلام، عزيزي دانيال. أتمنى أن تعرف ابنتي ما هي قادمة عليه، وذلك من أجل مصلحتها».

- إن لم تكن تعلم، فأنا متأكد من أنك ستخبرينها.

نظر إليها بازدراء وانزعاج، قبل أن يستدير وينظر إلى لاين. ظهرت ملامح من الرقة على تعابير وجهه وهو يتابع: «سيارة الأجرة بانتظاري عزيزتي، والسائق لديه عمل آخر الليلة. لذا علي الذهاب».

رأى خيبة الأمل في عينيها، فابتسم لها مشجعاً وقال: «لكنني سأكون هنا عند الصباح كي أصطحبك لشراء خاتم الخطوبة».

توسلت إليه بصمت: خذني معك... لاتتركني هنا معهم... خذني معك بعيداً من هنا... من فضلك!

قالت أنجيلا بصوت ملىء بالعدائية: «لدى إيلينا عمل يوم غد، فنحن بحاجة إليها كي تتجول مع الزبائن الذين يرغبون برؤية المكان».

نصحها دانيال بصوت بارد: «استخدمي وكيل المنطقة العقارية. لهذا

السبب أنت تدفعين له. كما أنني سأتصل بمكتب الاستخدام للتعاقد مع مدبرة منزل لتقوم مكان لاين بأعمال المطبخ».

وضع يده حول خصر لاين، وتابع: «والآن تعالي معي، لتقولي لي عمت مساء عزيزتي».

كان الليل دافئاً، لكن لاين ارتجفت وهي تقف قربه عند الباب الرئيسي. قالت: «بدا الأمر مرعباً».

علق دانيال بنبرة لا تخلو من الاستياء: «لم أتوقع أن يكون أكثر سهولة من ذلك. صدقيني!».

قالت بصوت ملؤه الحزن واليأس: «دان! يمكنني أن أتابع القيام بالأعمال المنزلية، فقد تقدّر أمي ذلك. كما أنني لا أمانع فعلاً».

- أنا أمانع. أريد أن تكون يداك ناعمتين من أجل شهر العسل.

ابتسم لها عندما رأى تورد خديها، وأحنى رأسه وعانقها عناقاً سريعاً مشبعاً بالعاطفة، ثم تمنى لها أحلاماً سعيدة ورحل.

لم تستطع لاين مواجهة الجميع بالعودة إلى غرفة الجلوس، لذا صعدت مباشرة إلى الطابق العلوي كي تستعد للذهاب إلى سريرها. ما إن أوشكت على إطفاء المصباح حتى فتح باب غرفتها ودخلت أمها.

- حسناً! من المؤكد أنك بدوت مفاجأة السهرة. لابد أنك أخبرته بعض القصص الحزينة. أليس كذلك؟

ضاقت عيناها قبل أن تتابع: «أم أن هناك سبباً آخر لهذا الزواج السريع؟ هل قمت بتصرف خاطئ؟ هل أنت حامل؟».

شعرت لاين بوجهها يتقد نارأمن الاحراج. قالت: «أنت تعلمين أن ما تقولينه غير صحيح».

رفعت أنجيلا كتفيها وقالت: «لا أستطيع التفكير بأي سبب آخر يجعله يزعج نفسه بك. أعرف أن الفتاة البريئة الشابة لاتزال تحظى بجاذبية كبيرة حتى من قبل شخص مترف مثل دانيال فلاين، لكن الزواج...؟».

ضحكت بخشونة وتابعت: «... هذا أمر لايحدث هكذا ببساطة في هذا

العالم، عزيزتي».

جلست لاين مستقيمة الظهر وهي تشعر بجفاف مؤلم في حلقها، إلا أنها قالت: «ألم يخطر ببالك أنه قد يكون مغرماً بي؟».

- لا! بصراحة... لم أفكر بهذا الأمر. أهذا ماقاله لك؟

- بالطبع!

شبكت لاين أصابعها تحت الغطاء، لأنها أدركت فجأة أن دان لم يذكر مطلقاً كلمة «حب». لا عندما طلب يدها للزواج ولا في طريق العودة إلى آبوتسبروك، ولا حتى عندما تمنى لها ليلة سعيدة.

بعد أن غادرت أنجيلا وبقيت لاين بمفردها، راحت تلك الفكرة تعذبها مراراً وتكراراً طيلة الليل.

٧ - رسالة!

ظل دانيال متغيباً معظم الوقت، وعندما كان يأتي لزيارتها كان يقيم في قصر لانغ بو. حيث تتناول لاين العشاء برفقته هناك في المطعم، إلا أنه لم يقترح مرة أن يصعدا إلى جناحه ليحظيا ببعض الخصوصية.

سألتها أمها يوماً بنبرة ساخرة مدمرة: «أين هو حبيبك؟ يبدو أنه سيغيب هذا الأسبوع أيضاً».

أجابت لاين بهدوء: «لديه الكثير من الأعمال، فالشركة بصدد مناقشة مناقصة لشركة تملك مجلة ألمانية، وهناك العديد من المشاكل، لذلك يحتاج إلى البقاء هناك».

ثم رفعت ذقنها، وتابعت: «لدينا ما تبقى من العمر لنكون معاً».

علقت أنجيلا وهي ترفع كتفيها: «إذا كان هذا ما تقولينه!».

على الرغم من تغيبه المستمر بدا دانيال صادقاً ورائعاً. جرت ترتيبات الزفاف من دون أي شجار أو فوضى، ووجدت لاين أن هناك حساباً مصرفياً فُتح باسمها، فيه مبلغ من المال لم تفكر يوماً أن بإمكانها إنفاقه. بالإضافة إلى ذلك تم التعاقد مع السيدة غودمان لتعمل مديرة منزل لديهم في هذه المرحلة المؤقتة. من جهة أخرى، تلقت لاين اتصالاً من مكتب محلي لتعليم قيادة السيارات، طالباً منها تحديد الأوقات المناسبة التي يمكنها خلالها تلقي دروس في القيادة للحصول على رخصة.

فكرت لاين: كل ما فكرت به أو تمنيته يتحقق باستثناء شيء واحد هو الأكثر أهمية والأكثر حسماً. إنه معرفة شعوره الحقيقي نحوي.

سمحت لاين لنفسها بأن تنساق في موجة من النشاط الدائم، من دون أن

تشغل نفسها بالتفكير بالأمور بتمعن. من بين الأعمال التي كان عليها إنجازها تفحص أغراضها الشخصية وكتبها، ونقل ما ترغب في الاحتفاظ به إلى شقة دانيال في لندن. هذا بالإضافة إلى الخاتم الرائع المرصع بالماس والياقوت، وهو خاتم لفت أنظارهما في الوقت عينه بين عدد كبير من الخواتم التي أحضرت كي يختارا من بينها. ابتسما لبعضهما، وقالا معاً: «هذا هو المطلوب».

لطالما فكرت لاين وهي تلمس الخاتم بنعومة، أنه الدليل الملموس على أن دانيال سيتزوج بها. حاولت أن تأخذ فقط الأشياء التي تهمها لترافقها في حياتها الجديدة، فقدمت ما تبقى لدور الإحسان، إذ لم يكن باستطاعتها ترك أي من أغراضها في منزل العائلة، لأن آبوتسبروك قد بيعت في ذلك الوقت، والمشتري يريد المكان خالياً.

قالت لدانيال في إحدى المناسبات وهي تتناول العشاء معه: «سيتحول المنزل إلى دار للمسنين، وسيكون فخماً وباهظ الكلفة. من الواضح أن المالك لديه سلسلة من هذه الأماكن».

- وأنت، ألا يعجبك ذلك؟

تنهدت لاين وقالت: «لقد بيع المنزل الآن، وأمي سعيدة جداً، وهذا أمر جيد. لكنني تمنيت دوماً أن يبقى منزلاً حقيقياً، وأن يعيش فيه أطفال غيري، يكبرون فيه ويحبونه كما أحببته».

ظل دانيال صامتاً لفترة، ثم قال: «هل كانت ذكرياتك فيه سعيدة حقاً؟».

- هناك الكثير من الذكريات الحلوة، حتى لو لم تكن جميعها كذلك.

ومعظمها تتعلق بك حبيبي!

علق دانيال بطريقة عرضية: «أرجو أن تكون أمك قد حصلت على سعر جيد، فهي ستحتاجه من أجل دفع فواتير تجميل الأسنان للشاب الفاتن السيد تانفيلد».

كادت لاين تختنق لأن فمها كان مليئاً بسمك الترويت. قالت بعد قليل معترفة وهي تحاول كبت ضحكتها: «ابتسامته تبهر حقاً، لكنني أعتقد أنهما سعيدان معاً».

قال دانيال باستياء: «إنه مجرد انفعال عاطفي، ومن المحتمل أن يكون مؤقتاً. هل فكرت في إجراء عقد قبل الزواج؟».

نظرت لاين إلى الطبق أمامها، وهي تدرك أن وجهها قد توهج بسبب الاحراج، وقالت: «لا! لا أعتقد ذلك».

ياللصدفة! أمي قدمت لي النصيحة نفسها ليلة البارحة، وهذا أحد الأسباب التي جعلتنا نتشاجر. أما السبب الآخر فهو انها دعت كنديدا لحضور الزفاف.

قالت لها أنجيلا: «عندما يتخلى عنك... عندما تزول تلك العاطفة المتألقة، ماالذي سيحدث؟ إنه رجل ثري جداً عزيزتي، وهو قادر على دفع ثمن ما يسعده».

أجابت لاين وهي ترتجف من فداحة ما سمعته: «إذا تخلى عني، فالمال لن يتمكن من جعل الأمور أفضل بالنسبة لي. صدقيني!».

أما ما لم تتوقعه لاين ولا أمها بالطبع، فهو أن تتخلى هي عنه وترحل.

في صباح يوم زفافها تساقط المطر، لكن الغيوم انقشعت عن سماء زرقاء صافية تماماً قبل أن تنطلق إلى الكنيسة. قالت لها سيليا التي كانت تساعدها في إعداد نفسها، إن ذلك يعتبر بشارة خير.

سألتها: «هل تعلمين إلى أين ستذهبان في شهر العسل، أم أنه ترك الأمر مفاجأة لك؟».

- لايمكننا الذهاب إلى مكان بعيد ما دامت لديه أعمال معلقة.

نظرت لاين إلى نفسها من كل الزوايا في المرآة، لتتأكد من أن بذلتها البيضاء الغالية الثمن المصنوعة من الساتان لم تتعرض لأي تجعد أثناء الليل، وتابعت: «... لذلك استأجر دانيال مكاناً منعزلاً في الريف».

سألتها سيليا باستغراب: «ياإلهي! وهل المكان مجهز بوسائل الراحة؟».

ضحكت لاين وأجابتها: «أعتقد ذلك. فيه بركة سباحة، لذا لايمكن أن يكون مكاناً بدائياً».

مع أن كوخاً صغيراً في حديقة ما كاف، ما دام دانيال معي!

أضافت: «عندما تستقر الأمور في الشركة سيأخذني إلى مكان رومنسي رائع».

قالت سيليا وعيناها ترقصان: «أليس لدى دانيال أخ أو ابن عم أو حتى... قريب ما؟».

ابتسمت لاين لها، وقالت: «آسفة، عزيزتي! لكنني حصلت على أفضل رجل في الدنيا، وهو من دون أقارب».

تنهدت سيليا بطريقة مبالغ فيها، وقالت: «إذاً، ببساطة علي أن أخفض سقف توقعاتي».

سارت عبر الغرفة نحو حقيبة لاين الكبيرة الموضوعة على السرير، ومررت يدها بوقار وتبجيل فوق ثنيات رداء ليلي ناعم من الفوال الأبيض، ثم قالت: «آه! إنه شديد الروعة، لكنه مضيعة للمال».

ركزت لاين باهتمام على نقل خاتمها إلى اليد الأخرى.

- آه! اعتقدت أن من الأفضل أن أشتري رداء للنوم، لربما حصل أمر طارئ.

ساد الصمت لفترة قصيرة، بعدئذٍ قالت سيليا بصوت لطيف جداً: «لايني، ما من سبب يجعلك تشعرين بالقلق».

نظرت إليها لاين مندهشة، وقالت: «آه... ياإلهي! هل يبدو بوضوح أنني قلقة؟».

أجابت سيليا بنبرة قوية: «لابأس عليك! تمكنت من تجنب الضفادع، وتوصلت إلى تقبيل الأمير».

حملت لاين الباقة المكونة من الورد الأبيض، وسارت نحو الباب قائلة: «حان الوقت لنذهب».

* * *

كان جيمي بانتظارها في القاعة. قال لها بعاطفة أخوية صادقة: «هاي! تبدين جميلة جداً. أنت تجسيد رائع لفتاة الزنبق. ربما دان ليس أحمق كلياً في النهاية».

شهقت لاين وسألته: «ماذا تعني بكلامك هذا بحق السماء؟».

أجاب وهو يساعدها لتصعد إلى المقعد الخلفي في السيارة التي كانت تنتظرها: «لم يبدُ دان يوماً من النوع الذي يرغب بالزواج، وأنا متأكد أن الخبر سقط على أمي كالصاعقة، مع أنها..».

توقف عن الكلام فجأة، ثم تابع الحديث في موضوع مختلف تماماً: «هل تعلمين أنها أصرت على أن ندعو ذلك الشاب تانفيلد إلى حفلة توديع العزوبية الخاصة بدان؟ غاي، إشبين العريس أصر على أن تانفيلد يضع شعراً مستعاراً، ولو أننا بالغنا في اللهو والمرح وإطالة السهرة لتأكدنا من ذلك».

أضاف وهو يبتسم: «...لكن السهرة ظلت ضمن حدود جدية في النهاية، وأعتقد أن صهري العتيد ينوي حقاً أن يكون زوجاً وفياً».

قالت لاين بهدوء: «هل يمكننا أن نبدل الموضوع، من فضلك».

وافق جيمي على الفور: «بالطبع، لأنني بحاجة للتحدث إليك في مسألة مهمة».

شهقت قائلة: «الآن، ونحن في الطريق إلى الكنيسة؟».

- لمَ لا؟ إنها أخبار جيدة، لايني. قررت عائلة بيومونت أن تتقاعد وترحل إلى البرتغال، وقد أرسلت لنا ملاحظة بشأن الشقة تعلمنا أنه سيتم إخلاؤها في نهاية هذا الشهر، وأنا أرغب في الانتقال للعيش فيها. لكن بما أنك تملكين نصفها أيضاً، فأنا بحاجة إلى موافقتك الخطية.

نظر إليها بقلق للحظة وهو يتابع: «لن تثيري المشاكل بشأنها. أليس كذلك؟ ففي النهاية أنت لن تحتاجي إلى الشقة في حياتك كلها».

- لا، بالطبع! أرسل إلي ما تريدني أن أوقعه عندما أعود من شهر العسل.

وجدت لاين أن عدد الذين ينتظرون في الكنيسة أكثر مما توقعت، لكنها لم تشعر أن الجميع يتمنون لها الحظ والسعادة، هذا ما فكرت به وهي تحس بغصة أثناء وقوفها قرب دانيال في المذبح. سمعته يقسم بأن يحبها حتى يفرق بينهما الموت، وأقسمت بدورها على القيام بالمثل. دفء عناقه جعلها تشعر أن زواجهما مقدس، كما جعلها ترتجف من الداخل.

ما إن جلسا معاً في السيارة وهما في طريق العودة إلى آبوتسبروك من أجل حفل الاستقبال، حتى جذبها دانيال إليه، وراحت شفتاه تطبعان قبلاً ناعمة على شعرها. قال بنعومة والابتسامة واضحة في صوته: «حسناً، سيدة فلاين! أخيراً أصبحنا معاً».

حدقت لاين بخاتم زفافها، وهي تشعر بالفرح يتفتح في داخلها كتفتح البراعم في فصل الربيع.

ما إن شرب الحاضرون نخب العروسين، وتم قطع قالب الحلوى، حتى تسللت لاين إلى غرفتها لتبدل ثيابها. رأت سيليا تتحدث بمرح مع إشبين العريس، وبدا من الواضح أنها لا ترغب في أن يزعجها أحد.

فيما كانت ترتدي فستانها الأصفر الباهت اللون، الذي قررت ارتداءه في رحلة شهر العسل، سمعت طرقة على الباب. فكرت: إنه دانيال! وشعرت بقلبها يقفز في صدرها. قالت: «ادخل!».

وعندما رأت زائرتها شعرت بوخزة من خيبة الأمل. قالت: «كنديدا! يا لهذه المفاجأة!».

أجابت المرأة الأكبر سناً: «إنه يوم مليء بالمفاجآت فعلاً».

سارت عبر الغرفة، وجلست من دون دعوة على حافة السرير، بالقرب من الحقيبة التي أقفلتها لاين للتو. تابعت تقول: «إذاً مضى دانيال قدماً في هذه المسألة... إنني منذهلة».

أكملت لاين ارتداء فستانها، ثم قالت بهدوء: «إذا كنت قد أتيت إلى هنا بقصد إزعاجي أنصحك بأن تغادري».

أجابت كنديدا بنبرة ساخرة: «آه... يا للكبرياء! أنت الآن زوجة المليونير صاحب دار النشر العالمية... ربما، لم يكن دانيال يرغب في الزواج بك، لكنك على الأقل ستقومين بالدور ما دام معك».

سارت لاين نحو الباب وفتحته، ثم قالت بنبرة صوت قاسية كالحجر: «هذا يكفي! والآن، ارحلي!».

- سأرحل عندما أصبح جاهزة للرحيل، وبعد أن أقول ما أتيت لأقوله،

لذلك أقترح عليك أن تعودي إلى هنا وتسمعي. أنا أقصد ذلك حقاً.

تابعت ما إن أقفلت لاين الباب وسارت لتجلس على مقعد طاولة الزينة: «هذا أفضل. أتعلمين إيلينا؟ أنا حقاً أشعر بالأسى عليك. اليوم عندما قال دانيال: «أريدها زوجة لي» لا بد أنك اعتقدت أنك ربحت الجائزة الكبرى في اليانصيب».

ابتسمت كنديدا ببطء، وأكملت: «لكن ما سمعته طفلتي المسكينة هو كلام رجل يتحمل على مضض مسؤولية صديقه المتوفي. أجبر دان نفسه على تحمل عبء الاعتناء بشقيقة سيمون الصغرى البائسة والوحيدة، تماماً كما وعده. وهو وعد قطعه رغماً عن إرادته، لأنه لم يؤمن للحظة أنه سيجبر على الوفاء به. كان يراهن على عودة سيمون ليحله من ذلك الوعد، ويخلصه من الشرك، غير أن سيمون لم يعد».

صاحت لاين بقوة: «أنا لا أصدقك!».

رفعت كنديدا كتفيها، وقالت: «بالطبع أنت لن تصدقيني، وأنا لا ألومك. لو كنت مكانك لفضلت أن أقنع نفسي بأن دانيال مغرم بي، غير أن مقصده لم يظهر أبداً أثناء فترة الخطوبة أو قبل ذلك».

ضحكت ضحكة ساخرة بصوت مرتفع وهي تتابع: «في الواقع، تفاجأت كثيراً عندما علمت أنكما قلما تتبادلان العناق... لكنني واثقة من أنه سيقوم بواجبه كاملاً الليلة».

رفعت لاين ذقنها بازدراء، محاولة ان تخفي حقيقة أن قلبها يخفق بقوة بين ضلوعها: «أتعتقدين أن هذا كل ما في الأمر؟».

حدقت كنديدا بها بهدوء، وقالت: «أنت لا تصدقينني. أليس كذلك؟ هل تريدين برهاناً؟».

لا! فكرت لاين، أريدك أن تختفي. أريد أن يفتح الباب من جديد، ويدخل دانيال ليضمني بين ذراعيه.

راقبت كنديدا وهي تفتح حقيبة يدها الصغيرة السوداء، وتخرج منها ورقة مطوية، ثم تقول: «وجدت هذه الورقة بين أغراض سيمون، و... صدقيني،

لا أشعر بالسعادة لأنني أعرضها عليك».

- إذاً... لمَ تفعلين؟

شعرت لاين بالامتنان لأن يدها لم ترتجف وهي تأخذ الورقة من يد كنديدا.

- لأنك على وشك أن تجعلي من نفسك حمقاء، وأنا متأكدة أنك لا تريدين ذلك. لذا من الأفضل ان تفهمي شروط زواجك منذ البداية، فلا تطلبي منه أكثر مما يستطيع تقديمه.

ما إن فتحت لاين الورقة حتى تعرفت على خط دانيال. بدأت الرسالة بدون أي مقدمات:

«سي، أعتذر عما حدث ليلة الأمس. أعرف أن كلينا قلنا أشياء نحن الآن نندم عليها. لكن طلبك مني فجأة أن أتحمل مسؤولية لاين إن لم تعد من آنابورنا هو بمثابة ضربة قاضية. كما قلت لك من قبل، أنا لا أريد هذا النوع من الالتزام... ليس بعد الآن، وأنت تعرف السبب، ويؤسفني أنك تعترض على الأمر، لأنه لن يتغير أبداً. على أي حال، فكرت بالأمر منذ ذلك الحين، وأنا أوافقك الرأي بان لديك أسبابك للقلق عليها، لاسيما إن كنت ستتغيب لفترة طويلة. لذلك، وعلى الرغم من تحفظاتي الشخصية، أتقبل طلبك بأن أهتم بها أثناء غيابك، مع أنه حمل كالجحيم بالنسبة لي بسبب هذا الوضع بالذات. لكنني أدرك أن ليس هناك شخص آخر غيري يمكنك الاعتماد عليه في ذلك.

«هناك أمر آخر سيمون. صديقي، هذه الرحلة إلى آنابورنا تبدو لي كنذير شؤم، ومن الواضح أنك تشعر بها كذلك أيضاً، أنا متأكد من ذلك. كما أنني متأكد من أنه لم يفت الأوان كي تتراجع عن الذهاب.

«أعلم أن هذا ليس من عاداتك، لذلك كل ما أستطيع قوله: إن ذهبت، حاول بكل ما أوتيت من قوة أن ترجع سالماً، وإلا فإنك ستحطم حياتي وحياة لاين، تماماً كما ستحطم حياتك. لذلك لا تفعل ذلك من أجلنا جميعاً. من فضلك».

صديقك إلى الأبد، دان

قرأت لاين الرسالة بإمعان، ثم قرأتها من جديد ببطء أكثر، حتى انطبعت في دماغها المتألم كل كلمة وكل سطر وكل مقطع، كي لا تنساها مطلقاً أو تسامح. بعدئذٍ رفعت رأسها ونظرت إلى الوجه المبتسم للمرأة المستلقية على سريرها. أرادت أن تنشب أظافرها في تلك الابتسامة حتى ينساب الدم من ذلك الوجه، لكنها بدلاً من ذلك، قالت بكرامة: «شكراً لك. هل تريدين استعادتها؟».

- لا أعتقد ذلك، فقد أدت مهمتها. يمكنك الاحتفاظ بها.

نهضت كنديدا عن السرير، وسارت نحو الباب قائلة: «مسكينة إيلينا! تحطمت كل أحلامك وأوهامك. لكن بدون أي شك، من الأفضل أن تعرفي الأمر مني لا من دان. كما أنك تزوجت بالرجل الذي تحبينه بجنون. كما يُقال: «نصف رغيف خير من لاشيء!» تذكري ذلك دائماً، وأنا متأكدة أن كل شيء سيكون على ما يرام».

بعدئذٍ أغلقت الباب بهدوء، ورحلت.

* * *

عندما استطاعت لاين أن تتحرك، سارت نحو حقيبتها، ففتحتها ووضعت الرسالة في جيب جانبي، ثم أقفلتها من جديد. كأنها تستطيع أن تمحو ذكراها أيضاً بطريقة ما إن خبأتها.

قالت بصوت مرتفع: «حمل كالجحيم!».

محاولة أن تجرب الكلمات على لسانها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة. رأت خيالاً لثوب أصفر شبكت نصف أزراره، وعينين حزينتين لا قرار لهما.

فكرت، آه... يا إلهي! ما الذي سأفعله؟ ما الذي يمكنني أن أفعله؟

لم تكن قد وجدت أجوبة عن أسئلتها تلك بعد مرور ساعتين، عندما وصلت مع دانيال إلى المكان المقصود لقضاء شهر العسل. بدا لها كأنها أصبحت ذات شخصيتين، هذا ما فكرت به وهي جالسة بقربه في السيارة تتأمل المناظر الطبيعية التي تمر أمامها بعينين لا تريان شيئاً.

إنها لا تستطيع القبول بهذا الزواج. أما الأمر الأكثر أهمية فهو حرصها

على ألا يكتشف دانيال أنها رأت تلك الرسالة اللعينة، وعرفت الحقيقة المؤلمة التي تحتويها. إنها في الثامنة عشرة من عمرها، وبالنسبة إلى دانيال هي ليست سوى مسؤولية أُرغم على تحملها. لكن، مع أنها باتت تعرف سره، فلن تسمح له بأن يعرف سرها.

سألت نفسها بيأس: آه! لماذا جعلته يرى أنني خائفة من الذهاب إلى إسبانيا؟ كان علي أن أتظاهر أنها مجرد مغامرة وفرصة مثالية لي. لو أنني فعلت ذلك لخلصته من العهد الملزم الذي قطعه لسيمون.

قال لها دانيال فجأة: «أنت هادئة جداً. بالكاد تفوهت بكلمتين منذ أن غادرنا. هل أنت بخير؟».

أخافها تعليقه وأخرجها من أفكارها المرتبكة والحزينة.

- إنني بخير. ربما أنا متعبة قليلاً بعد كل تلك الأعمال المتراكمة التي كان علي إنجازها في الأسابيع القليلة الماضية. هذا كل شيء.

تجهم وجهه قليلاً وهو ينظر إليها، ثم قال: «كان علي أن أبقى بقربك، لكنني تركت ذلك العمل المزعج يأخذ الكثير من وقتي. لكن ذلك انتهى الآن».

ثم أضاف بصوت أكثر نعومة: «من الآن فصاعداً أرغب في التركيز عليك فقط حبيبتي».

فكرت لاين: لاتنادني حبيبتي، ولاتنظر إلي وكأنني مهمة حقاً لك! والأهم من كل شيء، لاتكن لطيفاً، لأنني لاأستطيع تحمل ذلك.

تابع دانيال يقول: «أتمنى أن يعجبك الكوخ. الزوجان جاكسون يهتمان بالمكان من أجل المالك، ويقومان بالتنظيف والطهو، كما يهتمان بالحديقة أيضاً».

ردت لاين بطريقة آلية: «هذا يبدو رائعاً».

بدا المكان رائعاً بالفعل. تسمية «كوخ» لم تبدُ مناسبة مطلقاً لوصف ذلك المنزل الأنيق المغطى بالقرميد الأحمر، والذي يقع فوق تلة تشرف على ثلاث جهات من الحدائق الغناءة. أما الزوجان جاكسون، فهما يتميزان بجسمين

ضخمين، لكنهما هادئا الطبع. كانا بانتظارهما ليرحبا بهما، ويأخذا حقائبهما إلى غرفة النوم الواسعة التي تطل على الحديقة الخلفية.

رأت لاين أن النافذة مفتوحة، فسارت مباشرة نحوها، متعمدة تجاهل السرير الواسع بغطائه الجميل المطرز باليد وبقماشه الأبيض كالثلج.

قال دانيال بصوت ناعم من ورائها: «هل أنت سعيدة؟».

استدارت وهي تقول: «المكان جميل جداً».

ثم نظرت حولها وتابعت: «مع أنه لايبدو أن هناك مايكفي من الخزائن».

قال: «ياإلهي! كم أحضرت معك من الأغراض؟».

وانتظر لحظة كي تبادله الابتسامة الساخرة، لكن من دون جدوى، فأضاف على مهل: «هناك غرفة ثانية في الجهة المقابلة للممر. يمكنني أن أضع ثيابي فيها لإعطائك مساحة كافية، إن أردت ذلك».

- شكراً لك. ربما يمكننا الآن أن نتناول القليل من الشاي.

قال دانيال بحرارة: «فكرة رائعة! ومتى سيسمح لي بمعانقتك وبفك أزرار هذا الفستان المذهل؟».

تذكرت لاين تعليق جيمي التلقائي، وفكرت أنها منذ ساعات قليلة فقط كانت لتركض إليه بشوق خجول، ليضمها بين ذراعيه، مقدمة له قلبها وجسمها. أما الآن، فضحكت بتوتر قبل أن تقول: «دانيال! إننا في وضح النهار، وما زلنا في منتصف فترة ما بعد الظهر».

- كما تشائين. ففي النهاية، انتظرت لمدة طويلة، وانتظارعدة ساعات بعد لن يقتلني.

سار نحو الباب، ثم التفت إليها قائلاً: «سأطلب من السيدة جاكسون أن تحضر الشاي، ثم سأذهب لأفرغ حقيبتي».

عندما أصبحت لاين بمفردها، وجدت نفسها تحدق بالسرير وكأنها واقعة تحت تأثير التنويم المغنطيسي.

لا أستطيع أن أسمح له بأن يلمسني وإلا فإنني سأضيع إلى الأبد، وأصبح عبدة له فأتعلق بأي مقدار من اللطف يقدمه لي، وأحاول إقناع نفسي بأن

زواجنا حقيقي، وأن علاقتنا طبيعية.

أفرغت حقيبتها، وبدأت بترتيب أغراضها، تاركة الرسالة في مكانها. لم تكن بحاجة إلى النظر إليها من جديد، فكل كلمة فيها طُبعت في ذاكرتها بوضوح. بعدئذٍ نزلت إلى الطابق الأرضي، وشربت الشاي في غرفة الجلوس، متظاهرة بأنها تأكل قطعة من الحلوى. بينما انشغل دانيال من دون أدنى تظاهر بقراءة الصفحات الاقتصادية والمالية في الصحف بانتباه كامل وعينين مركزتين. بعد قليل ذهبت للتنزه في الحديقة، وتجنب دانيال قبول دعوتها المتكلفة له لمرافقتها بتهذيب مماثل.

أدركت لاين أنها تتعمد أن تطيل فترة بقائها في الحديقة، متسكعة قرب كل نبتة كأنها تحفظها من أجل الكتابة عنها في امتحان ما. أثناء جولتها تلك اكتشفت مكان بركة السباحة، وهي بركة منعزلة تماماً، ذات جدران عالية مغطاة بالنباتات، تحيط بها أشجار متعرشة تمتد أغصانها لتصل إلى القرميد الأحمر. إنه مكان دافئ وحميم. ما زالت الشمس عالية في السماء، ما يجعل السباحة الآن أمراً مغرياً جداً. للحظة فكرت بحزن لو أنها تستطيع العودة إلى المنزل لتبدل ثيابها وترتدي ثوب السباحة. استدارت مبتعدة وهي تخنق تنهيدة.

قال دانيال ما إن عادت إلى المنزل: «اقترحت السيدة جاكسون تقديم العشاء عند الساعة الثامنة. هل يناسب ذلك خطتك؟».

نظرت إليه لاين مندهشة، وعلقت: «لا خطة لدي مطلقاً».

سمعت بعض السخرية في صوته وهو يقول: «أحقاً؟».

ترددت قليلاً قبل أن تسأله: «هل نرتدي ثياباً رسمية على العشاء؟».

رفع حاجبيه وعلق: «ألا ترين أن ذلك أمر مبالغ فيه نظراً لأننا بمفردنا؟».

- أجل، بالطبع! لم أكن أفكر.

رماها بنظرة مبهمة، وقال: «كم أتمنى لو كان ذلك صحيحاً».

وعاد ليتصفح الجريدة.

لم تكن لاين جائعة، لكنها أجبرت نفسها على تناول الطعام الشهي الذي أعدته السيدة جاكسون.

انتهت وجبة الطعام تقريباً في صمت، مع أن لاين بذلت مجهوداً كي تتحدث إليه كلما ظهر أحد الزوجين جاكسون بالقرب منهما. لكنها أدركت أنها تتكلف الحديث، وليست تتحدث معه. كما عرفت من تعابير دان الساخرة أنه أدرك ذلك هو أيضاً.

قدمت لهما القهوة في غرفة الجلوس، سألها دان عندما أصبحا بمفردهما ثانية: «هل ترغبين بالاستماع إلى الموسيقى؟».

أشار برأسه إلى الرفوف المعلقة فوق المدفأة، وتابع قائلاً: «يبدو أن هناك مجموعة كبيرة ومميزة».

وضعت لاين فنجان القهوة جانباً، وقالت: «شكراً لك. لكنني متعبة، وأعتقد أنني سأخلد إلى النوم... إن لم تمانع».

ابتسم لها وهو يقول: «الفكرة بحد ذاتها تبدو مشجعة. أنا سأبقى هنا قليلاً حتى أنهي شرابي، وربما سأستمع إلى بعض الموسيقى».

توقف قليلاً عن الكلام قبل أن يسألها: «ما الذي أختاره لاين؟ أغنية قصيرة أم سيمفونية كاملة؟».

ترددت قليلاً، ثم قالت: «لا أعلم... الخيار لك».

رماها دانيال بنظرة معبرة، وقال: «أحقاً؟ أتساءل إن كان ما تقولينه صحيحاً».

وبينما كانت تصعد الدرج، سمعت أنغام كونسرتو منفرد لألغار. إنها الموسيقى المفضلة لديها. من المفترض أن تبقى لتسمعها معه، وهي تنعم بدفء عناقه ورقة مغازلته، لا أن تصعد إلى غرفتها بمفردها...

بهدوء تام، قامت لاين بطقوس تحضير نفسها كأنها عروس حقيقية. استحمت بمياه دافئة، ووضعت على جسمها الكريم الملطف المفضل لديها بعناية تامة، ثم وضعت العطر على نقاط نبضها... عنقها، رسغها، صدرها... ثم مشطت شعرها حتى تدلى على كتفيها مثل وشاح من الحرير بلونه المائل إلى الأصفر، وارتدت قميص نوم ذات خصر عالٍ، وذات شريطين من الساتان عند الكتفين. أخيراً جلست على حافة السرير قرب المصباح الخافت

النور، وانتظرت... لتنهي زواجها.

سمعته يصعد الدرج، فشعرت بأنفاسها تكاد تختنق في صدرها، لكن دانيال توجه إلى الغرفة الأخرى. مرت عشرون دقيقة قبل أن يفتح باب غرفتها أخيراً، ويواجها بعضهما كزوج وزوجة، في الغرفة الخافتة الإنارة.

أغلق دان الباب بهدوء خلفه، وراح ينظر إليها بصمت. للحظة، اجتاحتها تلك الأحاسيس القوية التي تكنها له كالعاصفة الهوجاء، فهي تريده أن يضمها بين ذراعيه و... أوشكت عزيمتها وتصميمها أن يترنحا، لكنها سرعان ما استعادت سيطرتها على نفسها.

قال دانيال بصوت ناعم: «تبدين رائعة الجمال!».

وتقدم خطوة نحوها.

على الفور رفعت لاين يدها لتتمكن من إيقافه، قائلة: «لا! لا! لا تقترب أكثر. لا تقترب مني!».

- آه!

سمعت شيئاً من الاستسلام في صوته، وعندما تكلم من جديد قال بصوت ناعم: «حبيبتي! منذ أتينا إلى هنا بدا واضحاً أنك تعانين من مشكلة في ما يتعلق بإقامة علاقة حميمة معي، لكنني أؤكد لك أن بقائي بعيداً عنك لن يحل أية مشكلة».

أوضحت لاين والكلمات تتعثر على شفتيها: «الأمر لا يتعلق فقط بالعلاقة الحميمة. إنه أبعد من ذلك... بكثير. إنه يتعلق بكل شيء. أتفهم؟ لقد اقترفت غلطة مميتة... غلطة لا تغتفر».

حدق بها، وسألها بخشونة: «أية غلطة؟ عمَّ تتكلمين بحق الجحيم؟».

ابتلعت غصة قبل أن تقول: «الزواج بك. ما كان علي الموافقة على الزواج بك مطلقاً، وما كان علي القيام بهذا كله... كنت يائسة، وحصل كل شيء بسرعة قصوى. لم أكن أملك الوقت الكافي لأفكر بطريقة سليمة وأستوعب ما أقوم به. أنت دفعتني إلى التسرع».

ثم أضافت بنبرة قاسية: «ما إن أصبحت بمفردي معك حتى فهمت للمرة

الأولى ما معنى أن أكون متزوجة بك، وأدركت أنني لا أستطيع القيام بذلك. لا أستطيع أن أكون زوجتك. . . هذا أمر مستحيل. سألتني مرة إن كنت معجبة بك إلى درجة كافية كي أتزوج بك، لكنني لست كذلك. . . لست كذلك. غير أنني لم أعرف ذلك من قبل، وأنا آسفة. . . آسفة جداً».

لم تستطع لاين إكمال كلامها. أبعدت نظراتها عنه بعد أن رأت وجهه الذي أصبح صارماً من الصدمة من خلال ضوء المصباح الخافت، وهو يصغي إلى الصمت المقلق الذي ساد بينهما.

أخيراً كسر ذلك الصمت، فقال بصوت هادئ: «من الصعب التفكير أن شعورك بالأسف سينهي فداحة هذا الوضع».

تنفس بعمق قبل أن يكمل: «لاين. . . اصغي إلي حبيبتي! لطالما شعرت بالقلق لأن الوقت مبكر جداً على قيام هذا النوع من العلاقة بيننا، وفكرت أن علي أن أعطيك المزيد من الوقت، وربما يجب أن أتودد إليك بطريقة مختلفة. لكن صدقيني، لا داعي لأن تشعري بالقلق».

أضاف بصوت مليء بالعاطفة: «يمكنني أن أكون صبوراً. . . أعدك بذلك بكل ما هو مقدس لدي. سأنتظر إلى أن تصبحي جاهزة لإقامة علاقة بيننا مهما طال الوقت، وسأكون لطيفاً جداً معك».

تقدم خطوة أخرى نحوها وهو يتابع: «. . . لكن ثقي بي الآن عزيزتي، ولا تبعديني عنك الليلة. دعيني أبقى بقربك، لكي أضمك إلي فقط. سأكون راضياً بذلك. أقسم لك إنني لن أطلب أي شيء آخر».

نهضت لاين على قدميها وهي ترتجف: «لا! لا أستطيع. . . لن أقبل بذلك».

قال دانيال بصوت خشن: «يا إلهي! لاين، هذه ليلة زفافنا. هل تريدين مني أن أركع وأتوسل إليك؟».

أجابته بصوت حاد: «لا! أنت لا تصغي إلى ما أقوله. عليك أن تفهم أنني لا أستطيع تحمل أن تلمسني أو أن تكون قريباً مني. مجرد التفكير في أنك في نهاية الأمر ستصبح زوجي يملؤني بالاشمئزاز. أنا أفضل الموت على أن أكون

زوجتك. انتهى كل شيء. هل تسمعني؟».

ارتفع صوتها أكثر وهي تتابع: «عليك أن تتركني أرحل».

ما إن انتهت من كلامها حتى رأت ملامح الغضب تعلو وجهه. سمعت صوته يصلها من أرض ضائعة مدمرة من المرارة: «لا تقلقي! أنت مخادعة، كاذبة ومستهترة. . . سأدعك ترحلين، لأنني لن ألوث يدي بك حتى لو أتيت إلي زاحفة على الزجاج المكسور».

بعدئذٍ رحل دانيال، فغاصت لاين على سرير زواجها الفارغ، وهي تشعر بالألم في حلقها يكاد يخنقها.

٨ - لست طفلة

في خضم ذلك الصراخ لم يقل دانيال مرة واحدة إنه يحبها. فكرت لاين بذلك في ما بعد خلال تلك الساعات التي أمضتها وهي تتقلب على فراشها بدون نوم، والتي مازالت تتذكرها الآن بعد مرور ستين.

أليس ذلك كافياً ليبرر الموقف الذي اتخذته والحاجة الملحة كي لا تكون مجرد أمرٍ مفروضٍ عليه بالرغم عنه؟ «حمل كالجحيم». تلك العبارة التي لا تحتمل لا تزال تملك القوة لسلخ جلدها عن عظمها.

لم يقم دانيال بأية محاولة لجعلها تبدل رأيها من خلال وسائل حسية. لم يتحرك ليسير إليها ويأخذها بين ذراعيه سواء رغبت بذلك أم لا. لم يحاول أن يعانقها حتى تذعن له...

لو أنه أرادها فعلاً لحاول أن...

استدارت في السرير وهي تدفن وجهها في الوسادة. فكرت باستياءٍ أنها أصبحت في العشرين من عمرها، وما زالت لا تتقبل فكرة إقامة علاقة مع أي رجل، بينما الرجل الوحيد الذي تريده يستمر في الاستمتاع بحياة العزوبية مع مجموعة مختارة من السيدات المعجبات به. أليس هذا هو السبب الذي دفعها للرحيل إلى فلوريدا آملة أن يصدق المثل القائل: «بعيد عن العين بعيد عن الفكر؟». غير أن هذا لم يحدث أبداً. كل ما تتمناه وتصلي لأجله هوألا تكون امرأة خلقت لرجلٍ واحد، فتغدو غير قادرة على تأسيس حياةٍ جديدة لها، أو حتى التخلص من ذلك الكابوس من الوحدة والحاجة الذي يلاحقها منذ تلك الليلة.

تلك الليلة، تمكنت من النوم أخيراً في وقتٍ ما قرابة الفجر من شدة تعب

جسدها وروحها.

استيقظت في الغرفة المليئة بنور الشمس على طرقة من شخصٍ ما على باب غرفتها. شعرت بمعدتها تنقبض من التوتر، فجلست وهي تشد الغطاء حولها، قبل أن تقول: «ادخل!».

دخلت السيدة جاكسون الغرفة بتوتر وهي تقول: «صباح سعيد، سيدتي. أحضرت لك الشاي. السيد فلاين يسأل إن كنت تستطيعين الانضمام إليه لتناول الفطور عند الساعة التاسعة والنصف».

قالت لاين بحذر: «أجل... أجل، بالطبع».

بدت شاحبة الوجه وعيناها ذابلتان وهي تسير على الدرج قاصدة الطابق الأرضي، خائفة من غضبه ومرارته. بدلاً من ذلك، وجدته جالساً إلى طاولة الفطور، يشرب القهوة بهدوء. نهض دانيال بتهذيب عندما رآها، ولم تظهر أي ملامح من أي نوعٍ على وجهه.

جلست لاين على الكرسي المواجه له.

- فكرت بالأمر ملياً، وقررت أن من الأفضل لنا أن نبقى هنا لمدة أسبوعين، كما هو مقرر.

لم تستطع لاين أن تخفي خيبة أملها وهي تقول: «أمن الضروري أن نفعل ذلك؟».

رفع دان كتفيه، وأجاب: «أي تصرف آخر قد يجلب لنا تعليقات نحن في غنى عنها، لكننا سنستمر بالعيش في انفصال مطلق».

سكب لنفسه المزيد من القهوة وهو يتابع: «أما بالنسبة إلى غلطتك التي لا تغتفر لأنك تزوجت بي، فبالإمكان معالجة ذلك بسهولة مطلقة. أخبري عائلتك وأصدقاءك أية قصة ترغبين بها، لكن في الواقع بإمكاننا فسخ الزواج بكتمانٍ على أساس أنه لم ينجز. وسأطلب من محامي أن يتصل بك. أما في الوقت الراهن فسأريحك من وجودي قدر المستطاع، مع أن علينا أن نلتقي في موعد العشاء».

ثم أضاف: «هذا مكان رائع. أملت أن نتجول فيه معاً أثناء وجودنا هنا،

www.elromancia.com

وهذا ما سأفعله الآن لكن بمفردي، وهذا أمرٌ طبيعي. أما أنتِ عزيزتي، فيمكنك أن تستمتعي بوقتك قدر ما تشائين».

تراجع إلى الوراء، وحدق إليها بوقاحة وهو يقول: «ليست القصة الرومنسية التي خططت لها؛ اكتشاف المنطقة الريفية في النهار واكتشاف بعضنا البعض في الليل، لكن لا يمكن للمرء الحصول على كل شيء».

أجفلت لاين وقالت: «دان من فضلك، لا..».

- ماذا؟ هل أزعجك بالتحدث عن مقاصدي الدنيوية؟

بدا صوته حاداً كمشرط وهو يتابع: «صدقيني فتاتي، تمكنت من النجاة من العقاب بسهولة».

رفعت ذقنها وقالت: «سواء صدقتك أم لا، أنا لا أملك مفتاحاً لباب غرفتي، وأنا أريده».

قال بقسوة: «أمرٌ مؤسف. غرفتي فيها قفل ومفتاح، وقد استعملتهما ليلة البارحة».

اتسعت عيناها وقالت: «هل فعلت ذلك؟ لماذا؟».

أجاب بغضب: «لأنني أملك طبعاً أحمق في بعض الأحيان. في لحظة ما فكرت جدياً في أن أعود إلى غرفتك، لأعاملك بطريقة من المحتمل أنني قد أندم عليها طوال ما تبقى لي من حياة».

دفع كرسيه إلى الوراء ووقف، ثم قال: «سأتركك علّك تجدين السلام الذي تنشدينه».

السلام! تحول شهر العسل إلى أربعة عشر يوماً وليلة من البؤس الذي لا يمكن شفاؤه، على الأقل بالنسبة لها. وفي الليلة الأخيرة لم يتبادلا أكثر من بضع كلمات. قال دان محاولاً إيقافها وهي في طريقها إلى الطابق العلوي كما هي عادتها في كل ليلة، متظاهرةً بالرغبة بالنوم باكراً: «علينا أن نفكر بالترتيبات التي سنتخذها عندما نعود إلى لندن غداً، آبوتسبروك أصبحت فارغة الآن، وعلى الأرجح أن أمك رحلت إلى إسبانيا، لذلك أقترح عليك أن تستعملي شقتي بصورة مؤقتة، وأنا سأرحل منها».

- لا! لا يمكنني العيش هناك!

تذكرت زيارتها إلى تلك الشقة، وكيف تخيلت حياتها هناك. تابعت: «هذا أمرٌ مستحيل. لدي مكان أذهب إليه. سينتقل جيمي للعيش في ماريون بلايس، وبما أن نصف الشقة لي فسأنضم للعيش معه هناك».

رفع كتفيه وقال: «حسناً اعطيني العنوان بالتحديد، وهكذا سأرسل لك أغراضك. بالطبع سأستمر في دفع المبلغ نفسه الذي كنت أدفعه لك قبل الزواج، وسأتابع القيام بذلك حتى بعد فسخ الزواج».

لوى شفتيه وتابع: «لا أريدك أن تعاني فقط لأنك لست معجبة بي».

نظرت إليه لاين بغضب قائلة: «لا أريد أي شيء منك. سأحصل على عمل وأعيل نفسي».

ثم نزعت خاتم خطوبتها وخاتم زفافها وقدمتهما له وهي تقول: «... هذان لك».

لم يقم دانيال بأية حركة لأخذهما.

- لا أعتقد ذلك. بإمكانك الاحتفاظ بهما عزيزتي، أو يمكنك بيعهما أو رميهما. افعلي ما ترغبين به، فالأمر كله يتعلق بك، لأنني لا أريد رؤيتهما مطلقاً.

في النهاية لم تكن لاين قادرة على التخلص منهما، لهذا وضعتهما في المصرف مع مجوهرات جدتها.

استمر دانيال في دفع المال لها على الرغم مما قالته. بعدئذٍ جرت معركة بينهما بسبب ذلك، وفي النهاية قبل رفضها، وكف عن القيام بذلك.

مهما كان الأمر، تمت عملية إنهاء زواجهما ببساطة لم تصدق لاين أنها ممكنة، والسبب هو أن عدداً قليلاً جداً من الناس علم بحدوثه. لم تخبر لاين أحداً بما حدث فعلاً، حتى سيليا. إلا أنها انهارت أخيراً أمام تعاطف صديقتها المندهشة، فبكت بطريقة لا سيطرة لها عليها، ودفنت رأسها في حضن صديقتها حتى لم تبق لديها دموع كي تذرفها. كما أنها لم تخبر جيمي أيضاً، أما هو فألقى كل اللوم عليها، قائلاً بصراحة إنها لن تعلم متى ستصبح بخير من

www.elromancia.com

جديد.

سألها: «ماذا حدث؟ هل اكتشفت أن لديه عشيقة مخبأة في مكانٍ ما؟».

قالت: «لا!».

وأضافت بألمٍ من دون انتباه أو حذر: «ألديه عشيقة؟».

أجاب وهو يرفع كتفيه: «لماذا أنت مهتمة بشأنه، آنستي؟».

أجل، لماذا؟ فكرت لاين بذلك الآن، وأجفلت.

بالطبع خرج دان الآن، وليس هناك أي سبب حقيقي يدفعها للاختباء في غرفتها لفترة أطول. أما الخيار البديل فهو أن تتناول العشاء الذي حضرته البارحة، وتشاهد التلفزيون. قالت لنفسها وهي تعبس، إن الخيار الثاني هو الأفضل، سواء قرر دانيال العودة باكراً، أو لم يقرر العودة مطلقا.

أخيراً حضرت لاين القهوة، وجلست متكورة على الأريكة تشربها، وهي تتنقل بين قنوات الأفلام السينمائية حتى وجدت فيلماً هو عبارة عن قصة رومنسية تحبها. لكن لأول مرة لم يستطع السحر والخيال الوصول إليها، فشعرت أنها متعبة، وأن انتباهها مشتت بصورة دائمة. قالت لنفسها باستياء: «ها أنت تفعلين ذلك من جديد. تتساءلين أين هو، منتظرة أن يعود. عليك أن تتوقفي عن ذلك لأنك تضيعين وقتك. لم يكن يريدك في ذلك الوقت، وهو لا يريدك الآن».

أقفلت جهاز التلفزيون. غسلت كوبها، وتأكدت من أن المطبخ في منتهى النظافة، ثم عادت إلى غرفة الجلوس لتعيد ترتيب كل شيء. فكرت بحزن، ها قد عدنا إلى منطقة شهر العسل هنا، حيث كان دان يفعل كل ما يسعده بينما أحاول أنا ألا أزعجه وألا يُلاحظ أحد وجودي. يا إلهي! كما أننا نحتل غرفاً مواجهة لبعضها مرة ثانية. لكن المسافة الفعلية بيننا تصل حتى كوكب المشتري، ومن المستحيل اجتيازها. السؤال الذي لا أستطيع تجنبه هو: لو أنني أستطيع العودة إلى ليلة زفافنا، هل كنت لأقوم بالأمر بطريقة مختلفة؟ هل كنت لأمزق الرسالة وأرضى بنصف رغيف في النهاية، لأنني سأفضل أن أكون يائسة بقربه، على أن أكون بدونه على الإطلاق؟ لو أنني أصبحت فعلاً زوجته، هل كنت

لأتمكن من جعله يحبني، ويعاملني كامرأة مساوية له، لا كشقيقة سيمون الصغرى، الشابة اليائسة التي لا تستطيع أن تدبر شؤون حياتها؟ هل كان ليخبرني عن مشاكله أو يطلب قربي لحاجة ملحة لديه ليشعر بالراحة والأمان؟

فكرت وهي تتنهد بمرارة: شعرت برغبة كبيرة تلك الليلة في أن أذهب إليه وأن أسأله السماح. شعرت برغبة قوية في القيام بذلك، لدرجة أنها قطعت نصف المسافة في الممر. لكنها لم تجرؤ على دق بابه، وعندما سمعت في اليوم التالي أنه أقفله، شعرت بالامتنان لأنها لم تخاطر وتقوم بذلك، لأنها بذلك ستتحمل من الإذلال أكثر بكثير مما تستطيع تحمله خلال أربع وعشرون ساعة.

استدارت وسارت ببطء نحو غرفتها. لم تكن تشعر بالتعب، لكن ما إن أصبحت في السرير حتى وجدت نفسها تغوص في نوم عميق على الفور. بعد فترة قصيرة حلمت أنها عادت إلى السفينة، وأنها في غرفة خاصة هناك، وكل شيء يتحرك ويندفع بقوة نحو الباب، لأن آندي في الخارج يبحث عنها وهو غاضب.

لكن عندما فتح الباب ببطء على الرغم من جهودها لصده، كان ديرك كليمنز من دخل إليها. رأته يبتسم وهو يمد يديه السمينتين المغطاتين بشعر كثيف نحوها، ووجدت نفسها مجبرة على أن تلمسه بدورها، واضعة يديها على صدره لتبعده عنها. لكنه بدا قوياً جداً ومصمماً جداً، فرمت لاين رأسها إلى الوراء وبدأت بالصراخ... والصراخ، مع أنها تعلم أن ما من أحد يمكنه أن يأتي وينقذها.

راح ديريك كليمنز يطلب منها أن تهدأ، ويقول إن عليها أن تستيقظ وتهدأ. لكنها استمرت في الصراخ، وهي تسبح بين طبقات من النوم العميق. أخيراً فتحت عينيها الزائغتين لتكتشف أنها ليست في السفينة بل في غرفتها في الشقة، والمصباح بجانبها مضاء، و أن من يضمها إليه محاولاً تهدئتها ليس ديريك كليمنز... كان دان راكعاً على السرير بجانبها.

قالت بخشونة وهي تبتعد عنه: «أنت؟ آه، يا إلهي! ما الذي تفعله هنا؟».

- أحاول أن أوقفك عن الصراخ قبل أن ينهار المبنى.

كان يضع رداءه الحريري الأزرق، وقد بدا شعره أشعث، وظهر عليه النعاس وسوء الطبع بنسب متساوية. تمتمت لاين وهي تبعد نظرها عنه: «أنا آسفة... كنت أعاني من كابوس مزعج».

ابتعد عنها، وسار ليجلس على حافة السرير وهو يشد حزام ردائه، فيما قال: «أتمنى ألا يكون من النوع الذي يتكرر دائماً، وإلا علي أن أشتري سدادة للأذن».

- الأمر ليس مضحكاً.

ارتجف صوتها وهي تتكلم، وأدركت وهي تشعر بصدمة أنها على وشك البكاء. تابعت: «بدا الأمر مرعباً، وشعرت بالخوف. اعتقدت أنه سيأتي باحثاً عني ويجدني».

سألها دان: «من هذا؟».

ارتجفت بلا إرادة منها وأجابت: «وغد حقير يدعى ديريك كليمنز. كان في البداية مجرد زبون كريه. لكن بعدئذٍ باعه آندي السفينة، وأصبحت أنا بطريقة ما جزءاً من الاتفاق، وتُركت بفعل متعمد من أجله لاستغلالي وكأنني جزء من التجهيزات والمعدات».

ابتلعت غصة بصعوبة وهي تتابع: «التوى كاحلي وأنا أحاول الهرب منه. أعتقد أنني لاأزال أشعر بالرعب منه في اللاوعي، خشية أن يتمكن من اللحاق بي، ويجد طريقة ما ليجعلني أفعل ما يريده».

ضغط بقوة على شفتيه وسألها: «لكن ألا تملكين حصة في تلك السفينة؟ كيف يمكن له أن يبيعها بدونك؟».

هزت رأسها قائلة: «لا أعرف. كان علي أن أتأكد من أن اسمي قد سجل بطريقة صحيحة على الأوراق القانونية. لكنني لم أفعل لأنني أردت مغادرة إنكلترا على عجل، وهكذا تمكن آندي من الحصول على الكثير».

لمعت عيناها فجأة بالدموع وهي تتابع: «ربما كان سيمون محقاً بشأني. ربما أنا لست مؤهلة لتحمل مسؤولية نفسي».

توقفت عن الكلام وهي تشهق، ما إن أدركت ما قالته. اعترفت عملياً بشأن الاتفاق الذي أجبر عليه من قبل سيمون. الاتفاق الذي قاد إلى زواجهما. والأهم من ذلك، ليس من الصعب عليه أن يكتشف بنفسه أسبابها المحزنة التي دفعتها لمغادرة البلاد بسرعة قصوى. مع ذلك، بدلاً من أن يجمع دانيال اثنين مع اثنين ليحصل على الجواب الصحيح، بدا كأن أفكاره تحلق في مكان آخر كلياً. قال ببطء: «لكن آندي ذلك كان حبيبك، إذاً ما الذي حدث؟ هل تشاجرتما؟».

- ليس هذا ما حدث بالتحديد.

قالت لاين ذلك بشكل غامض. ليفكر أنها وآندي متعلقان ببعضهما بكل طريقة ممكنة، فذلك أكثر أماناً من معرفته بأنه الرجل الوحيد الذي فكرت به يوماً أو أرادته، وأنه لم يكن هناك أي شخص آخر في حياتها سواه.

قالت ببطء، وهي تستجمع أفكارها المشتتة: «أعتقد أننا وصلنا إلى الانفصال بشكل ما، لكن لسوء حظي، أدرك آندي ذلك قبلي. عدت إلى السفينة في أحد الأيام وكان قد رحل، تاركاً ذلك الكريه كليمنز مكانه، منتظراً عودتي ومسلحاً بتوصية آندي الشخصية».

حاولت أن تتحدث بثقة بالنفس، لكنها شعرت بالرعب من أن يسيطر عليها الكابوس من جديد، فشهقت وانفجرت بالبكاء. أطلق دانيال شتيمة، ثم تحرك بسرعة واستلقى بجانبها، آخذاً جسمها المرتجف بين ذراعيه، خامداً تنهداتها ودموعها بكتفه. شعرت لاين بصوته الدافئ يهدئها وبيده تلامس شعرها بنعومة وهو يقول: «لابأس. كل شيء بخير. إنه ليس هنا، ولن يأتي إلى هنا مطلقاً. ليس هناك ما تخافين منه».

آه! إنها تبكي على ضياع حياتها كلها وعلى اللحظة التي تحطمت فيها كل أحلام السعادة على أرض الواقع القاسي.

تعلقت به، وهي تضغط بوجهها الرطب المبلل بالدموع على بشرته، وتتنشق في الوقت نفسه رائحة عطر بشرته الفريدة.

ببطء ضئيل وتدريجي، بدأت تهدأ وخفت شدة ارتجافها. حتى تنهيداتها

انحبست داخل صدرها. أدركت أنها تمسك يده بيدها، وأن أصابعهما متشابكة. رفعت لاين رأسها، ونظرت إليه من خلال رموشها الرطبة. تمتمت بصوت متقطع: «أنا آسفة... أنا... آسفة جداً».

- لا داعي لذلك.

أمسك دانيال عدداً من المناديل الورقية من صندوق على الطاولة الصغيرة قرب السرير، وقدمها لها وهويتابع: «يقولون إن البكاء علاج».

ابتعد عنها قليلاً، ووضع رأسها على الوسادة ثم أكمل يقول: «والآن، حاولي أن تنامي قليلاً».

ظلت لاين تضغط بيدها على يده. همست ومازال فمها يرتجف: «لا أريد أن أغمض عيني... ليس بعد. أعلم أنني أتصرف كالأطفال... لكنني خائفة من أن يكون هناك، منتظراً عودتي».

هز رأسه وهو يكمل: «هذا أمر لن يحدث مطلقاً. أنت بأمان تام هنا».

- إذاً اجعلني أشعر أنني بأمان.

بدت الكلمات وكأنها آتية من اللامكان، مرتجفة، صارخة ومندفعة، تابعت تقول: «ابق معي دان... لا تتركني... لا ترحل».

ساد الصمت للحظة، ثم قال بصوت مليء بالمرارة: «يا إلهي لاين! ألا تطلبين الكثير؟».

استلقى فوق غطاء السرير، وضمها إليه. شدها إلى صدره وجعلها تستلقي كأنه وسادة لرأسها.

تنهدت لاين وقد شعرت بالرضى، وما لبث أن استولى النعاس عليها، وأصبحت جفونها ثقيلة جداً لدرجة أنها بالكاد باتت تستطيع إبقاءها مفتوحة. أدركت أنه مازال بعيداً جداً، بينما هي تحتاج لأن يكون أكثر قرباً. قالت بصوت ضعيف: «ألا تريد أن...؟».

أجاب بصوت أكثر لطفاً: «أريدك أن تنامي، وألا تحلمي بشيء. والآن، اصمتي...!».

تنهدت لاين، ثم ابتسمت وانزلقت في ظلام مريح، يهدهدها التناغم

الموزون لدقات قلبه تحت خدها.

* * *

استيقظت لاين باكراً صباح اليوم التالي فتمددت بضعف، وهي تشعر بالراحة والأمان لأول مرة منذ عودتها. حبست أنفاسها ما إن تسارعت أحداث ليلة البارحة في ذاكرتها، وراحت تهاجمها بقوة. جلست على الفور وقد طار النعاس من عينيها. فكرت مرتعبة، لا! لا يمكن أن يحدث ذلك. لا أصدق أنني بكيت بين ذراعي دان، وتوسلت إليه ليبقى معي. لا يعقل أنني قمت بعمل بمنتهى الغباء كهذا.

تأوهت وهي تغطي وجهها المحترق من الخجل بيديها الاثنتين. آه! يا لي من حمقاء عديمة الذكاء. ما الذي ظننت أنني أفعله، بحق السماء؟ ما الذي سأقوله عندما أراه ثانيةً؟ هل يمكنني قول الحقيقة؟ أأقول إنني للحظة نسيت كل شيء ما عدا الحاجة لأكون بين ذراعيه؟ حاجة من الواضح جداً أنه لا يشاركني الشعور بها. في الواقع هو لا يحتاج حتى للتظاهر بأنه يجدني جذابة. لم يعد بحاجة إلى ذلك مطلقاً. ربما علي أن أتعامل مع الموضوع ببساطة فأعتذر منه لأنني أزعجت ليله بسبب انهياري العاطفي، وأعده أنني إن تعرضت لأي كابوس آخر سأضع رأسي تحت الوسادة.

القيام بمبادرة سلام أخرى قد تكون خطوة ناقصة أيضاً. فكرت وهي تنهض من السرير، فكل خطوة من صديق ما تتطلب خطوة من الصديق الآخر. استحمت بسرعة وارتدت ثيابها، ثم ذهبت إلى غرفة الجلوس. توقفت فقط لتتمكن من سماع حركة دانيال في غرفته قبل أن تدخل إلى المطبخ. وفي الوقت الذي فتح بابه، وسمعت خطواته السريعة تقترب، كانت قد أنهت ما تريد إعداده. شعرت به يتوقف عند مدخل الباب. من الواضح أنه تفاجأ من وجودها في المطبخ في هذه الساعة المبكرة، استدارت وهي تبتسم له ابتسامة مشرقة وودودة.

- مرحباً! أعددت لك الفطور، التوست والقهوة.

لم يبادلها دانيال الابتسام، بل قال: «اعتقدت أننا وضعنا قوانين للعيش في

www.elromancia.com

هذا المكان».

- أجل، بالطبع. لكنني فكرت أنها طريقة لأقول لك شكراً.

توقفت عن الكلام للحظة قبل أن تكمل: «كنت لطيفاً جداً ليلة البارحة».

- أحقاً؟

لوى شفتيه بسخرية وتابع: «وأنا الذي اعتقدت أنني كنت قديساً أحمق».

- وأنا شديدة الامتنان لك.

- فهمت. والآن من المفترض أن أربت على رأسك وأقول: «في أي وقت تشائين، حبيبتي».

عضت على شفتها وقالت: «أنت لا تسهل الأمر علي لأشكرك».

قال باقتضاب: «لا أريد أن يكون ذلك سهلاً عليك. أفضل أن ننسى الموضوع من الأساس».

حدقت به قائلة: «أنا لا أفهم».

- ألا تفهمين؟ إذاً، سأشرح لك. لقد بالغت في الاعتماد على حظك ليلة أمس، عزيزتي... إلى أقصى الحدود. لكن حاولي القيام بحيلة كهذه من جديد، ولن تتمكني من النجاة بسهولة.

قالت بصوت منخفض: «لم تكن حيلة. صدقني... لم تكن كذلك».

سألها بسخرية: «أتقصدين أن من عادتك أن تدعي الرجل الأقرب إليك للنوم بجانبك لمواجهة الكوابيس من دون أن تقدمي له شيئاً بالمقابل؟».

- لم يحدث ذلك من قبل.

- أقترح عليك ألا تدعيه يحدث من جديد.

سار نحوها، ثم وضع يده تحت ذقنها ليجعلها تنظر مباشرة إليه، وتابع: «افهمي هذا لاين: أنا لست شقيقك أو حارسك الشخصي، ولست والدك أو عمتك. عندما تطلب مني امرأة أن أشاركها السرير، أتوقع أن أقيم علاقة معها لا أن أعامل وكأنني من كوكب آخر».

بدا الجو فجأة مشحوناً بينهما بقوة، وشعرت لاين بضغط أصابعه على ذقنها.

أبعدت رأسها على الفور، ثم أجبرت نفسها على التحديق به بقوة. قالت بصوت أجش: «أعتذر إن كنت قد أهنت رجولتك بطريقة ما. لم يكن ذلك قصدي».

توقفت عن الكلام، ثم أضافت بعد فترة: «لكنك قلت لي مرة إنك ستشعر بالسعادة إن ضممتني إليك، وإنك لن تطلب أي شيء آخر».

قال: «أتذكر ذلك جيداً، لكن تلك كانت ليلة زفافي، واعتقدت أنني متزوج من عروسٍ بريئة جدا. لكن تلك الصفات لم تعد موجودة، هذا إن كانت موجودة بالفعل. مهما يكن، في ذلك الوقت اعتقدت أن بعض الصبر سيجلب لي مكافأة خاصة، وأنك قبل أن ينتهي شهر العسل ستصبحين زوجتي وتنتمين إلي بالفعل».

هذا ما كان سيحدث لو لم أقرأ تلك الرسالة! تساءلت متى سيحل النور في حياتها، وحاولت أن تقول بنبرة وقحة: «آه! عزيزي. كم يمكن للمرء أن يخطىء!».

- يمكنني القول إن هامش الخطأ معك لاين يمتد إلى اللانهاية، نظراً لنهجك في الذهاب إلى النوم باكراً، لابد أن صديقك شعر بالرضى لتقديمك إلى ذلك الرجل كليمنز.

شحب وجهها، وقالت بصوت مرتجف: «كيف تجرؤ على قول هذا الكلام؟ أنت لا تعرف شيئاً... لا تعرف شيئاً. حباً بالله! أراد ذلك الرجل الاعتداء عليّ».

رفع كتفيه بسخرية، وعلق: «ولمَ لم تقولي له إنك تفضلين الموت على أن يلمسك؟ نجحت بالقيام في ذلك عندما واجهت مشكلة مماثلة».

صرخت لاين ورفعت يدها لتصفعه على وجهه، لكن دان أمسك برسغها قبل أن تتمكن من لمسه، وشدّ على يدها بقسوة وقال لها بحزم: «لا، لن تفعلي ذلك. ليس الآن ولا في أي وقت أبداً».

توقف عن الكلام للحظة وأضاف على مضض: «لكن ما كان عليّ أن أقول ما قلته مهما كان الأمر. أنا آسف».

ترك يدها، فاتكأت على طاولة المطبخ وهي تنظر إلى رسغها، وإلى آثار أصابعه الظاهرة. أخيراً قالت: «دان، بشأن ليلة البارحة... ربما ليس هناك أي عذر لما فعلته، لكنك معتاد على أن تكون لطيفاً معي، وشعرت فجأة أنني بحاجة للمعاملة بلطف».

قال بهدوء: «ليس من الصعب أن يكون المرء لطيفاً مع طفلة وحيدة، لكنك لست طفلة لاين. أصبحت امرأة منذ زمن بعيد، في ليلة عيد ميلادك السابع عشر، في الواقع. أنا أعرف ذلك، لأنني كنت هناك».

ثم استدار مغادراً، بعيداً عن المطبخ وعن الشقة، تاركاً إياها تحدق به، وقد فتحت فمها مستغربة.

٩ - حسناء في الشقة

قد لا يكون هذا العمل هو ما ترغب فيه لاين، لكنها شعرت بالامتنان لأنها بدأت العمل في صباح يوم الإثنين.

أمضت دنيز، شريكتها في العمل وهي أكبر منها سناً، معظم الوقت في الحافلة التي أقلتهما إلى المبنى الذي سيكون مركز عملهما وهي تشرح لها الكثير من الأمور التي تثير قلقها. بدت نشيطة جداً بالنسبة إلى إنسانة أمضت حياتها وهي تعاني الكثير من خيبات الأمل، كما فكرت لاين وهي تنظر إليها باهتمام وتهذيب.

علقت دنيز وهي تتجول معها في الجزء السفلي من المبنى حيث تُحفظ مواد التنظيف والأدوات المستعملة في العمل: «لا بد أنك تخرجين للتسلية في النوادي في عطلة نهاية الأسبوع، كما يفعل الشبان في مثل عمرك، لكن إن أردت نصيحتي عليك أن تبقي في المنزل والاستراحة مثلي، لكي تتمكني من العمل بنشاط نهار الاثنين».

فكرت لاين باستياء أنها بعيدة جداً عن الحياة الاجتماعية، فقد أمضت عطلة الأسبوع بمفردها. ترك دانيال رسالة مقتضبة على المجيب الآلي في الهاتف تفيد بأنه سيبقى غائباً حتى ساعة متأخرة من مساء يوم الأحد. وجدت نفسها تتساءل إن كان قد قرر الغياب قبل أن تجعل من نفسها حمقاء بشكل لا يصدق، كما حصل في الليلة السابقة. رجحت أن يكون هذا بالتحديد ما دفعه إلى الابتعاد. إلا أن ما تعرفه بشكل مؤكد هو أن الشقة تبدو كالقبر بدونه، وأنها تشعر بتعب مضنٍ لدرجة تجعلها ترغب بالصراخ.

الأمر الوحيد الذي قطع وحدتها هو اتصال من جيمي ليلة السبت، لكنه

www.elromancia.com

أراد التحدث إلى دانيال، والحديث الذي تبادلاه بدا روتينياً ولا جديد فيه. تعمدت أن تخلد إلى النوم قبل عودة دانيال مهما كلفها ذلك، كما أنها خرجت من الشقة قبل أن يستيقظ عند الصباح.

أكملت دنيز حديثها: «أيام الإثنين هي أكثر الأيام صعوبة عزيزتي، لأن أصحاب الشقق يمكثون في بيوتهم ليومين كاملين، فيتركون خلفهم الكثير من الفوضى والأوساخ».

بدا للاين أن معظم سكان الشقق يعيشون حياة منظمة. وفكرت أن على دنيز أن تنظف منزل أمها، أو ما يخلفه بعض زبائن السفينة لتعرف الفرق. كما أن الشقق بحد ذاتها لم تكن تحتاج إلى الكثير من التنظيف، فقد تم تجديدها مؤخراً، كما تم تزويدها بمستوى عالٍ جداً من التجهيزات.

علقت دنيز وهما تتناولان السندويشات في منتصف النهار: «اعتقدت في البداية أنك متعجرفة جداً لتقومي بمثل هذه الأعمال، لكنك عاملة ماهرة حقاً. هذا ما سأقوله عنك، فأنت جيدة ومتمكنة من عملك. أين تعلمت القيام بكل هذه الأشياء؟».

قالت لاين وهي ترسل قبلة من أعماقها إلى السيدة إيفرشوت: «تلقيت دروساً مكثفة، كما أن الشقق سهلة التنظيف».

أخذت دنيز نفساً عميقاً وقالت: «أفضل أن أعيش برفاهية أنا أيضاً، فأحصل على سجادة جميلة، وستائر أنيقة بدلاً من تلك الستائر الباهتة».

في آخر النهار أصبحت متعبة حتى عظامها، لكنها على الأقل أصبحت تعلم الآن ماذا ينتظرها، وهي على ثقة أنها تستطيع الاستمرار في عملها. كانت قد أعدت لنفسها قطعة من اللحم مع الخضار في الليلة السابقة، فتناولت ما تبقى منها بارداً مع بعض السلطة للعشاء.

مضى المساء ولم يكن هناك أي أثر لدان. إن كان هذا ما ستكون عليه أيامها فلا خيار أمامها إلا القبول بذلك. ففي النهاية، فكرت وهي تسير بتعب نحو غرفتها، لا يمكنها أن تلوم إلا نفسها. مع ذلك لم تستطع أن تزيح كلماته التي قالها وهو مغادر بعيداً عن ذهنها.

فكرت، إلى أي حد قامت بإظهار عواطفها في تلك اللحظات القليلة المليئة بالانفعال عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها؟ ربما بما يكفي ليظن أنها ستكون له إن أرادها. على الرغم من ذلك، لم يبذل أي جهد في المحاولة، ما جعل رفضها التام له صدمة مزدوجة.

وجدت نفسها تتساءل فجأة: لماذا تأخرت كنديدا طوال تلك الفترة لتعرض عليها الرسالة؟ لماذا لم تخبرها بشأنها ما إن تقدم دانيال طالباً يدها، أو على الأقل أثناء التحضير للزفاف؟ لو أنها فعلت لوفرت عليهما الكثير من الأذى والألم.

لو أن ذلك حصل لتراجعت عن الزواج قبل إجراء المراسم، ولتمكن دانيال من الاستمرار من دون أن تهتز كبرياؤه، وهذا أفضل بكثير. لوجد كلاهما حوله أصدقاء يقولون له، من الأفضل أن يحصل ذلك قبل فوات الأوان، وأن هذا هو سبب وجود الخطوبة. أما الأمر الذي يثير استغرابها فهو أن غضبه ومرارته لم يخفتا حتى الآن.

فكرت: أعتقد أن لدي أسبابي لأشعر بالمرارة أنا أيضاً، فلماذا لا أشعر إلا بالندم الذي لا يمكن التعبير عنه حتى بالدموع؟

مرت الأيام، ولم يعد العمل فترة تجربة. أما الحياة في المنزل، فهي مسألة مختلفة تماماً، حيث تعمد دانيال تمضية أقل وقت ممكن في الشقة.

فكرت لاين: ما إن أدخل حتى يخرج، والعكس صحيح. أما عندما يتواجدان معاً في وقت ما، فكان دانيال يتصرف بهدوء وتحضر، ولم يكن هناك أي أثر على أنه عانى من أية عواطف قوية نحوها.

فكرت وهي تشعر بألم شديد، أفضل أن يكون غاضباً. حينها أشعر على الأقل أنه يراني.

اعتقدت لاين أن منزله سيصبح جاهزاً في وقت قريب، ولن يلبث أن ينتقل إليه، وأنها لن تراه مطلقاً من جديد. وربما في وقت ما، ستتوقف عن التفكير به والتوق إليه. لكن، بالنظر إلى الناحية المشرقة من الأمر، لاين ليست مضطرة إلى العمل في المنزل عندما تعود في المساء، إذ حرص دانيال على تغيير نظام عمل

www.elromancia.com

السيدة أرشار بحيث تقوم بتنظيف الشقة بشكل يومي. عندما بدأت المرأة بنظام عملها الجديد قالت للاين: «إنه سيد صعب الإرضاء. يريد أغطية ومناشف نظيفة كل يوم، كما أن قمصانه يجب أن تكوى بعناية. والأمر المضحك أنه صديق السيد جيمس».

أضافت بسرعة: «بالطبع، آنسة. أنا لا أقصد التلميح..».

لكن لاين ضحكت وقالت: «لابأس، سيدة أرشار. لا داعي لأن تراعي شعوري. أعلم أن أخي يحول المنزل إلى فوضى كاملة».

مهما يكن، فقد تحدّث دانيال عند عودته في تلك الليلة قائلة: «كان عليك استشارتي بشأن السيدة أرشار. من المفترض أننا نتشارك في دفع نفقات الشقة، وأنا لا أستطيع دفع أي مبلغ إضافي لقاء خدماتها».

- لا داعي لتفعلي ذلك. إنها هنا من أجل تلبية طلباتي لا من أجلك.

- هذا ما فهمته.

استدارت مبتعدة وهي تتابع: «لتأمين عدد لا يحصى من الأغطية النظيفة، والقمصان المكوية كالحرير. كم أنت متعلق بمباهج الحياة!».

رفع كتفيه وقال: «هذا أحد مظاهر الحياة الفاخرة، فلماذا لا أدلل نفسي؟».

- ما من سبب يمنع ذلك، فأنت محظوظ جداً ولطالما كنت قادراً على شراء أي شيء تريده.

- لا! ليس كل شيء عزيزتي، إن كنت تتذكرين.

توقف عن الكلام لفترة، قبل أن يضيف باستياء: «ربما لستِ الوحيدة التي قامت بعمل خاطئ منذ سنتين، لاين. ربما فعلت ذلك أنا أيضاً. أهذا صحيح؟ هل فشلت في تقديم السعر الكافي لما تطمحين اليه؟ كان عليك قول ذلك في ذلك الوقت، وكان بإمكاننا أن نفتح باب التفاوض».

ابتلعت لاين صرخة من الألم القوي. رفعت ذقنها والتقت عيناها بعينيه من دون أن تضطرب ظاهرياً. قالت وقد أبقت صوتها هادئاً: «يبدو أنك نسيت أنني رفضت أي عرض منك للتسوية، لذلك لم يكن الأمر مطلقاً متعلقاً

بالمال».

- ماذا إذاً؟ ما الذي دفعك للتغيير؟ لا بد من وجود سبب ما.

تكلم دانيال بقسوة وبسرعة، ولم تبتعد عيناه عن عينيها وهو يتابع: «... أم أنك تعتقدين أنني نسيت أيضاً كيف اندفعت إلى ذراعي مرة، وكيف ارتجف جسمك وأنا أعانقك؟ توقك إلي بدا وضحاً. تباً لك!».

راحت ترتجف من جديد، وهي تصرخ في أعماقها، لأنها أدركت أنها محقة في ظنونها بشأن تلك اللحظات الخائنة. قالت بنبرة دفاعية: «أجل، أعترف بذلك. شعرت بالشوق إليك ذات مرة. وكيف يمكن لي ألا أشعر كذلك؟ فقد كنت أكثر الشبان وسامة وجاذبية بين من رأيتهم في حياتي. كنت حلم كل فتاة شابة. لكن الأحلام لا تدوم، ولحسن الحظ أنني استيقظت في الوقت المناسب، من دون أن يصاب أي منا بأذى».

قال ببرودة: «كم من المثير أن تفكري على هذا النحو!».

سار مبتعداً نحو غرفته، وصفق الباب بقوة وراءه.

فكرت لاين، حسناً! على الأقل هذا نقاش لن نحتاج مطلقاً للغوص فيه ثانية. عضت بأسنانها على شفتها السفلى، وتمنت بهدوء وبقوة يائسة لو أنها تستطيع أن تجد بعض العزاء والسلوان من جراء ذلك.

* * *

سألت لاين: «ما الذي يجري؟ لمَ لا نستطيع المرور؟».

حدث ذلك في منتصف الأسبوع الثالث من عملها في شركة سيتي كلين. وصلت إلى العمل مع دنيز لتجد أن الشارع كله محاط بشريط كبير، والمكان يغص بسيارات الشرطة وشاحنات فرق الطوارئ.

ذهبت دنيز لتتحرى عن الأمر، وعادت وهي تزفر بحماس كبير. قالت: «لن يقولوا شيئاً. هناك حادث ما، ولا يسمح لأحد بالدخول أو الخروج. لكنهم يقولون إن الشارع لن يفتح قبل فترة بعد الظهر، لذلك لا جدوى من بقائنا هنا».

لا بأس بالقليل من الراحة، لكنني لا أريد الكثير منها. هذا ما فكرت به

لاين وهي تتجه إلى منزلها. أفضل أن أعمل طوال النهار، وأن أعود إلى المنزل وأنا أهث من التعب، كي أقع على السرير طلباً للنوم من دون أي تفكير. فكرت بذلك آملة أن يختفي هذا الألم الدائم الخفيف الذي تشعر به في داخلها، علها تحظى ببضع ساعات من السلام.

لم تنم جيداً في الليلة السابقة. سمعت أصواتاً من مكان ما أقلقتها... ربما في الشارع تحت شقتها. بعدئذ، لم تعد تشعر بالارتياح، وهذا هو سبب عدم استجابتها على الفور لجرس المنبه كي تنهض، لذا أجبرت نفسها على العمل بسرعة لتستعد للخروج. كالعادة، وجدت أن دان قد غادر، إلا أنه على غير عادته، ترك غرفة الجلوس غير مرتبة، فهناك كوب من الزجاج على الطاولة، كما أن وسائد الأريكة مرمية على الأرض. حسناً! تستطيع السيدة أرشار التعامل مع تلك الفوضى. هذا ما فكرت به وهي تغادر، فلا وقت لديها للترتيب.

ما إن فتحت الباب الأمامي ودخلت إلى الشقة حتى أدركت على الفور أن هناك أصواتاً في المطبخ. إنها أصوات الأدوات وفتح وإغلاق خزائن المطبخ.

أجفلت لاين وقد اعترتها مشاعر الخوف، لأن الوقت مبكر جداً لقدوم السيدة أرشار التي تصل عادة عند منتصف النهار، إلا إذا كان دان قد عمل على تغيير نظام عملها من جديد. لكن لم تخرج من المطبخ امرأة في منتصف العمر، بل امرأة لم ترها من قبل. فتاة ذات شعر فضي متدلٍ على كتفيها، وترتدي قميصاً من قمصان دان، أظهرت طول ساقيها السمراوين بلون الذهب. فتاة ذات عينين زرقاوين كبيرتين، شفتين مكتنزتين، ووجه فاتن الجمال.

وقفت الفتاة مندهشة أيضاً عندما رأت لاين. اتسعت عيناها الزرقاوان وهي تنظر باهتمام إلى ثوب عملها الأزرق، مع الاشارة الواضحة لسيتي كلين على الجهة اليمنى من صدرها. قالت: «آه! أأنت الخادمة؟ لم يذكر دان أنك ستأتين».

وهو لم يذكر وجودك أيضاً! فكرت لاين، وهي تشعر بالغثيان من جراء

الصدمة. تحركت عيناها بدون إرادة منها نحو وسائد الأريكة المنتشرة على الأرض، وأدركت أن الأصوات التي سمعتها البارحة لم تكن في الشارع بل هنا تماماً.

أخيراً وجدت لاين صوتها بطريقة ما. لم يكن هو الصوت الذي تعرفه، لكنها تمكنت من القول: «في الواقع، أنا أعيش هنا. لكنني أعمل في شركة لتنظيف المنازل في مكان آخر».

- فهمت.

قالت الفتاة ذلك بحيرة، ثم ابتسمت وأشرق وجهها بجاذبية وسحر واضحين، فيما تابعت: «لا... بصراحة، لا أفهم. لا أستطيع استيعاب أي شيء من ذلك. دانيال فلاين يتشارك مع أحدهم بشقة؟ هذا أمر لا يصدق... وفي مكان كهذا؟».

توقفت عن الكلام وقد توهج وجهها من الإحراج فأسرعت بالقول: «إنني آسفة... كلامي يبدو فظاً... أنا متأكدة من أن هذه الشقة جميلة بما هي عليه، لكنها ببساطة ليست من الأماكن التي يعيش فيها دان».

قالت لاين بصوت هادئ: «أوافقك الرأي. يبدو كأنه يزور حي الفقراء هنا، لكنني لم أكن في البلاد عندما عقد هذا الاتفاق مع أخي. ربما لم يشرح لك أنه كان صديقاً قديماً للعائلة، وأن هذا النظام مؤقت حتى ينتهي من ترميم منزله وتجديده. بالطبع أنت تعلمين أنه اشترى منزلاً؟».

تأوهت الفتاة بنبرة ساخرة، وقالت: «آه! من فضلك. لا تتحدثي عن ذلك المنزل، إنه مجرد شكاوى دائمة. ظهراً ومساءً لا أسمع غير التذمر بشأن البنائين والتأخير في العمل والمؤن والبنود الجزائية... وكل ما يتعلق بذلك المنزل. لا بد أنك تشعرين بالسأم من جراء ذلك أيضاً».

قالت لاين بهدوء: «أنا ودانيال نتشارك فقط في الشقة، ولست موضع ثقة لديه».

قالت الفتاة ببطء: «آه... حسناً! أنا بليندا. وأنا حقاً في مشكلة حقيقية. لأن دان جعلني أقسم إنني سأكون بعيدة عن هذا المكان في هذا الوقت، غير

أنني تصرفت كالحمقاء وعدت إلى النوم».

رفعت كتفيها، وبدا التظاهر بالحزن على ملامحها وهي تتابع: «أنت تعرفين كيف تجري الأمور».

لا! أجابت لاين بصمت، وقد تحول الحزن في داخلها إلى ألم حقيقي. أنا لا أعرف، ولم أعرف مطلقاً.

تابعت بليندا: «أردت أن أعد لنفسي شراباً ما قبل أن أستحم. أملت أن أجد بعض الأعشاب كالشاي، لكنني لم أستطع إيجاد أي شيء».

قالت لاين بحزم: «لا بد من وجود بعض البابونج في الخزانة الأخيرة، إلى اليمين من الفرن».

- رائع!

سارت بليندا على مهل، قبل أن تنظر إليها متسائلة: «هل تريدين فنجاناً منه أيضاً؟».

أجبرت لاين نفسها على الابتسام ولو باقتضاب، وقالت: «اسمي لاين... لاين سنكلير، كما أنني لا أريد الشاي. شكراً».

رفعت بليندا كتفيها، وقالت: «حسناً! إذاً، سأراك لاحقاً».

واختفت في المطبخ. وهكذا تمكنت لاين من الهرب إلى غرفة نومها. نزعت زي العمل ووضعته على المشجب، ثم التفت بردائها القديم واستلقت على السرير وهي تعلم أنها ترتجف بقوة. فكرت، لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال. لا أستطيع تحمل كل ذلك. معرفة أن الأمور تجري على هذا النحو أمر، ومواجهة الدليل مباشرة أمر آخر. بليندا هذه تبدو لطيفة حقاً، وفي ظروف مختلفة لا بد أنني كنت لأعجب بها. استدارت، ودفنت وجهها بالوسادة.

بعد وقت قصير، سمعت طرقة خفيفة على الباب، وسمعت بليندا تقول: «لاين، أريد فقط أن أعلمك أنني سأغادر الآن».

إلا أن لاين لم تتمكن من الإجابة.

* * *

تبين لها أن دنيز محقة في توقعاتها. ففي منتصف بعد الظهر كانتا معاً

مرتديتين زي العمل وتعملان في الشقق، للتعويض عن تلك الساعات الضائعة. قالت دنيز: «هذا يعني أننا نعمل ساعات إضافية، لكن هذا لن يمنع زوجي من التذمر والشجار. فهو يتوقع أن أكون في المنزل عند عودته».

ثم نظرت إليها متسائلة، وتابعت: «هل هناك من ينتظر عودتك، صديقي؟».

قالت لاين: «لا! لا أحد على الإطلاق».

إلا أنها هذه المرة كانت مخطئة، لأنها عندما عادت إلى الشقة بعد الساعة التاسعة والنصف ليلاً، وجدت دانيال يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، ووجهه مكفهر كالعاصفة. سألها وهو يستدير ما إن دخلت: «أين كنت بحق الجحيم؟».

كان حافي القدمين، وقميصه السوداء مفتوحة الأزرار فوق بنطلون جينز ضيق. بدا سيء الطبع لكن شديد الوسامة. فكرت لاين، هل أمضى الأمسية بمفرده، أم أن بليندا عادت. إن كان ذلك صحيحاً، فهي ليست هنا الآن. شعرت لاين بالانزعاج من نفسها بسبب الشعور بالارتياح الذي اجتاحها جراء ذلك.

دفع دانيال بجريدة المساء نحوها: «هل رأيت هذه؟».

وقرأ العنوان بصوت عالٍ: «أصيب تاجر مخدرات بطلق ناري، وقتل في كنز نغتون وهو المكان الذي تعملين فيه لاين. خشيت أن تكوني في وسط الحادثة. أصابني القلق حتى الجنون».

حدقت إليه بغضب، وأجابت: «إذاً لا تقلق، انتهى كل شيء قبل وصولي إلى هناك، ما جعلنا نبدأ بالعمل في ساعة متأخرة وننتهي في ساعة متأخرة أكثر. في مطلق الأحوال، لا علاقة لك مطلقاً بالأمر».

قال بخشونة: «لا تكوني سخيفة وحمقاء، أنا ملتزم بالاهتمام بك».

أجابت بخشونة وغضب مماثلين: «لا! أنت لست كذلك، فليس هناك ما يجبرك على الاهتمام بي بأية وسيلة كانت، وهذا ما قررته منذ زمن طويل جداً».

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- لا شيء.

لعنت نفسها في سرها لأن لسانها انزلق. تابعت بتعمد: «أنت قلت ذلك بنفسك. أنت لست أخي أو أحد أقاربي. من فضلك تذكر ذلك، وابتعد عن كل ما يتعلق بي».

عضت على شفتها، وأضافت بصوت مخنوق: «أمضيت نهاراً شاقاً جداً، لذلك لست بحاجة لمن يصرخ عليّ، لاسيما أنت. كل ما أريده هو أن أستحم وأنام. إن كان هذ يناسبك؟».

ساد صمت مليء بالتوتر، بعدئذ سألها دانيال: «هل تناولت العشاء؟».

بدا من الصعب عليها أن تتذكر، فاعترفت على مضض: «لا... ليس منذ وقت محدد».

- إذاً اذهبي واستحمي، وسأعد لك العشاء.

أخفضت بصرها ونظرت إلى السجادة، ثم قالت بصوت منخفض: «كن حذراً، فها أنت تعاملني بلطف مرة ثانية».

لوى دانيال شفتيه، وقال: «سأخاطر بالأمر إن فعلتِ. والآن، اذهبي قبل أن أبدأ بالصراخ من جديد».

سارت نحو غرفتها، ثم توقفت عند الباب ما إن لمعت فكرة برأسها، فاستدارت وسألته: «كيف عرفت اسم المنطقة التي أعمل فيها».

رفع كتفيه وقال: «كتبت لك توصية، وهذا سمح لي بأن أعرف أي نوع من الأعمال تمتهنين وأين تعملين».

حدقت إليه قائلة: «هل كتبت التوصية بنفسك؟».

- أليس هذا ما طلبت مني أن أفعله؟

- ماذا؟ أجل.

لكنها افترضت أنه سيوكل المهمة إلى سكرتيرته كما قال لها.

قال بصوت منخفض كأنه يسامرها: «حسناً! اقترحت عليك الذهاب، إلا إذا أردت أن أحضر لك الحمام بنفسي، وأضعك في المغطس».

حبست أنفاسها قبل أن تشهق متفاجئة، ثم أسرعت بالدخول إلى غرفتها،

وأغلقت الباب وراءها بقوة. من الغضب إلى الممازحة؟! فكرت باستغراب، في أي مزاج سيكون بعد قليل؟ وكم ستحظى بالأمان لتكتشف ذلك؟

وقفت للحظة تحدق في الفراغ، ثم هزت رأسها قائلة لنفسها إنها تبالغ في ردة فعلها، وما لبثت أن دخلت إلى غرفة الحمام. ملأت المغطس حتى نصفه، وغطست في المياه وهي تتنهد بسعادة. لكنها علمت في الوقت نفسه أن الراحة الكاملة أمر لن تتمكن من الحصول عليه.

ظل دانيال ملازماً لأفكارها طوال النهار. التنظيف المضني وتلميع البلاط والأواني بدت كلها مختلطة مع صور له مع بلينداً، وهما معاً متعانقان ومتحابان، ما جعلها تعاني من الخجل والبؤس معاً.

غاصت أكثر داخل المياه وهي تفكر بالرغم عنها ببلينداً، الفتاة الجميلة ذات البشرة الذهبية وصاحبة القامة الفارعة الطول والمتناسقة الجمال. هذا ما رأته من خلال تلك القميص الواسعة. وعندها نظرت إلى نفسها...

إنها ليست فقط نحيلة، بل تستطيع أيضاً أن تعد ضلوعها. كما أن صدرها صغير، ووركيها بارزان.

لا عجب أن دانيال يراها طفلة، ويعاملها بلطف وصبر. لكن ذلك ليس كافياً لها. لم يكن كافياً في الماضي، وهو ليس كذلك الآن. يا لقدرها القاسي! تعيش بقربه وليس معه. تحبه وتجبر على إخفاء شعورها نحوه. تتقبل الوحدة والعزلة وشوقها الذي يعذبها.... والآن تتآكلها الغيرة!

منذ ليلة زفافهما وهي تسير على حبل مشدود بين اليأس من جهة والكبرياء من جهة أخرى. والآن تكاد تفقد توازنها، وهي لا تعرف حتى متى ستتمكن من السيطرة على عواطفها أو على الشوق الذي حاولت تجاهله من أجل البقاء والاستمرار.

لكي تبدأ في حل هذه المشكلة عليها العودة إلى غرفة الجلوس، لتجلس معه، وتأكل الطعام الذي أعده، وتظهر امتنانها، لكن ليس بشكل ساحق، في حين أنها طوال الوقت...

جففت جسمها ببطء وارتدت واحدة من المجموعة الرائعة من القمصان

ذات اللون الأبيض مع تنورة خضراء اللون طويلة حتى الكاحل، كانت قد اشترتها من أجل شهر العسل ولم تلبسها إلا نادراً. من المؤكد أن دان لم يرها، كما أنه لم يرَ أي قطعة من جهاز عرسها، ما عدا الفستان الأصفر.

وبالطبع، قميص نومها... لكنها تشك أنه لاحظها، لأنه في تلك الفترة راح ينظر فقط إلى وجهها، باحثاً في عينيها، ومركزاً على حركة شفتيها وهي تتلفظ بكلمات تبعده عنها إلى الأبد... كلمات لا زالت تعتمل في صدره... كلمات لن ينساها مطلقاً.

لكن ربما يمكنها أن تلطف الأجواء بينهما الليلة. أتراها ستبدو سخيفة إذا ما عضت على كبريائها التي ربحتها بصعوبة؟ لليلة واحدة فقط من حياته وحياتها...؟ فكرت بشوق مفاجئ، أهذا كثير عليها؟

تركت ما لديها من أدوات قليلة للزينة في حقيبتها، كي لا تبدو وكأنها تبذل أي مجهود خاص، ثم مشطت شعرها ببساطة لينسدل فوق كتفيها قبل أن تخرج لتنضم إليه.

رأت دانيال ممدداً على الأريكة يراقب برنامجاً جديداً على التلفزيون ويحتسي شراباً. شعرت بعينيه تجولان عليها بسرعة في استحسان قبل أن ينهض ليقدم لها شراباً سكبه لها بنفسه.

قال بحركة مسرحية: «العشاء على الطريق».

واختفى في المطبخ.

جلست على الأريكة المقابلة، وجمعت أصابع قدميها على السجادة وهي تشرب العصير. لاحظت أن طاولة الطعام الصغيرة قد أعدت لشخص واحد.

سألته عندما عاد بعد دقائق قليلة، وهو يحمل طبقاً في يده: «ألن تأكل؟».

قال: «تناولت عشاء عمل في وقت سابق. تعالي وتناولي هذا وهو لا يزال حاراً».

- ما هذا؟

اكتشفت أن هذا الطعام هو خليط من البيض المخفوق مع قطع صغيرة من سمك السلمون المدخن المغطى بأصابع من التوست الأشقر.

قالت بعد أن تذوقته: «إنه رائع! لم تكن لدي فكرة أنك تستطيع أن تطهو».

أحضر كوبه وجلس إلى الطاولة أمامها، ثم قال بصوت حزين: «أعتقد أن الأشياء التي لا نعرفها عن بعضنا البعض يمكنها أن تملأ كتاباً من الحجم المتوسط».

عندما أنهت لاين طعامها، تنهدت برضى وهي تتراجع إلى الوراء. قالت: «لو سألتني لقلت لك إنني كنت متعبة جداً حتى لكي آكل».

قال: «وماذا عن التحدث؟ هل أنت متعبة جداً على ذلك أيضاً؟».

أجابت: «هذا يعتمد على ما ستتحدث عنه».

أعلن دانيال بمنتهى الوضوح: «ليس بالموضوع السهل، على ما أخشى. أريد أن أعلم ما هو المبلغ الذي أخذه منك صديقك السابق في فلوريدا. يعتقد جيمس أنه لم يترك لك أي مبلغ من ميراث والدك».

توهج وجهها من الإحراج، وقالت: «ما كان على جيمس أن يتحدث عن هذا الموضوع، كما أن لا حق لديك كي تسأله».

أجاب بهدوء: «أنا كنت هنا عندما استيقظت وأنت تصرخين، لذلك لا داعي للتحدث عن الحقوق».

- لكنني لم أكن أصرخ بسبب السوء الذي لحق بحسابي في المصرف.

احتست القليل من الشراب قبل أن تتابع: «ربما... لأنني كنت حمقاء. لكن كل ذلك مضى وانتهى. وعليّ أن أنساه وأتابع قدماً».

- غير أنك كما يبدو تسيرين إلى الوراء.

أمسك بيدها، لينظر إلى راحة يدها الصغيرة وإلى أصابعها الرقيقة وأظافرها الخالية من أي طلاء، ومرر إبهامه فوق خشونة يدها.

تذكرت لاين تعليقه الساخر بأنه يريد يديها ناعمتين في شهر عسلهما، فأبعدت يدها وقد ازداد وجهها توهجاً.

تابع وهو ينظر إليها بسخرية مبطنة: «لا تقولي لي إنك اخترت الذهاب إلى إسبانيا في النهاية، فقد علمت أن المشروع في منتجع الغولف لم ينجح، وأن أمك الآن هي في البرتغال».

- السيد تانفيلد هو الذي لم ينجح، أما أمي فلا تقع إلا واقفة. يبدو أنها وجدت أرملاً ثرياً متيماً بها حتى الجنون.

- ليس هناك أي اتصال بينكما.

هزت رأسها قائلة: «يعتقد جيمي أنها اختصرت عدة سنوات من عمرها، ووجود أبناء لها في مثل عمري وعمر جيمي لا يناسب القصة التي ترويها».

رفع دانيال حاجبيه وعلق باستياء: «إنها مليئة بالعاطفة والحنان».

أردف بعد قليل: «إذاً، ما هي خطتك للمدى البعيد لاين؟».

أجابت: «يا للغرابة! كنت سأسألك السؤال نفسه. لابد أن منزلك أصبح جاهزاً الآن؟».

- تقريباً.

ابتسم بقسوة، وتابع: «أنت حقاً لا تستطيعين الانتظار حتى تتخلصي من رؤيتي. أليس كذلك عزيزتي؟».

- لطالما فكرت أنك أنت من يرغب في الرحيل، لتحظى بمكان أوسع، ولتستعيد خصوصيتك.

نظرت إلى الطاولة قبل أن تتابع: «كن صادقاً، دان. ما كنت لترضى بالبقاء في هذه الشقة لو اعتقدت للحظة واحدة أنني قد أعود فجأة إلى هنا».

وافقها بلا أي اهتمام: «لا! على الأرجح».

قالت: «إذاً، هل حددت يوماً للرحيل؟».

- لا شيء نهائي. في الواقع، لم أعد متأكداً أنني سأعيش في ذلك المنزل حتى بعد أن انتهى أخيراً. وربما... ببساطة قد أبيعه.

تذكرت كلمات بليندا وتذمرها، وتساءلت إن كانت هي السبب في تبديل رأيه. قالت بثبات: «البناؤون، والتأخيرات المتعمدة، والمؤن، كذلك القوانين الجزائية... أعتقد أن كل هذه الأمور سوف تتبدل في ظروف محددة».

- لا تقلقي. مهما حدث، فأنا قررت عدم البقاء هنا لوقت أطول. وما إن أجد مكاناً آخر سأرحل.

سأرحل! كلمة صغيرة، مقتضبة وحادة. كأنها طلقة رصاص في الرأس،

بل كأنها النهاية.

سمعت نفسها تقول وهي ترفع طبقها وتسير نحو المطبخ: «حسناً!».

لم تتوقع منه أن يتبعها، أو أن يتكئ على إطار الباب وهي تغسل الصحون والمقلاة. علق: «وأنا الذي اعتقدت أنك ستقفزين من الفرح؟».

توقف عن الكلام للحظة قبل أن يتابع: «... كما أنك لم تسألي لماذا أنا راحل».

لأنني أعرف السبب، فقد رأيتها وتحدثت معها، وأفهم لماذا تريد مكاناً جديداً ومثالياً لتتشارك به معها!

ساد الصمت بينهما لفترة، ثم قال دان بهدوء: «هل الأمر سيء إلى هذه الدرجة؟».

بل أسوأ مما تستطيع أن تتخيل! صرخت من أعماق قلبها. والاسوأ من كل ذلك مراقبتك ترحل وأنا أعرف أن هذه المرة ستكون إلى الأبد، وأنك لن تضمني إليك مرة ثانية، حتى لو من قبيل المبادرة اللطيفة.

قالت: «لا! حقاً... أنت أفضل من يراعي مشاعر الآخرين».

أجاب ببرودة: «يبدو أنني صاحب اختصاص بذلك».

واستدار عائداً إلى غرفة الجلوس.

ماذا سأفعل؟ سألت لاين نفسها عندما أصبحت بمفردها. كيف لي أن أختار في حياتي كلها بين نوعين من الندم؟ كل ما أعرفه هو أنني أحبه أكثر من الحياة ذاتها، وأنني لن أسامح نفسي إن لم أستغل هذه الفرصة الأخيرة كي أحاول ولمرة واحدة أن أعبر عن عواطفي نحوه... مع أنني لا أعرف كيف ومن أين أبدأ، لكن الأمر يستحق التجربة مهما كان الثمن.

www.elromancia.com

١٠ - صدمة بعد عناق

سألت لاين نفسها، كيف بحق السماء ستتمكن من التقرب من رجل، لاسيما هذا الرجل الذي يجلس محدقاً بالفراغ وقد كسا الغضب وجهه وفمه؟ لم يدرك دانيال أنها جلست بتعمد قربه، بدلاً من أن تختار مقعداً في الجانب الآخر من الغرفة كما كان يتوقع. تنفست بعمق قبل أن تقول: «الأمر في منتهى الغرابة. أليس كذلك؟ بدأنا بالتحدث مع بعضنا الآن، تماماً في الوقت الذي ستغادر فيه».

سألها دانيال على نحو مفاجىء: «وهل نحن نتحدث؟ يبدو الأمر بالنسبة لي وكأننا نطوف حول حدود اللامكان».

- يمكننا دائماً أن نبدأ من جديد. مثلاً، سألتني إن كان آندي قد أخذ كل أموالي... أجل هذا ما فعله. لكن ربما ليس هذا أسوأ ما قام به.

قال بقسوة: «لا. بل تركك تحت رحمة وغد آخر غيره، وهذا أمر لا يمكن مسامحته عليه أبداً».

قالت بسرعة: «كل شخص يستحق القليل من السماح، أنت أحياناً لا تستطيع إلا القيام بما تفعله».

تابعت وهي تتذكر تعابير وجهه عندما رحل في تلك الليلة المزعجة منذ سنتين: «عندما تقع مشكلة ما، وترى أن حياتك تنزلق من بين يديك، فإنك تحاول أن تنقذ نفسك بشتى الوسائل».

أضافت بصوت منخفض: «وإذا سببت الأذى لأحدهم يمكنك أن تأمل أن يفهم يوماً ما لماذا أجبرت على القيام بذلك».

انتظرت لاين وهي تتساءل إن كان قد فهم ماالذي تحاول أن تقوله له،

لكن دانيال ابتسم بسخرية وقال: «أعتقد أن معظمنا دنيويون، ولا نستطيع القيام بذلك يا فتاة الزنبق».

ردت لاين بانفعال: «لا تنادني بهذا الاسم. إنه اسم طفولي».

- إنه غير مناسب على الأرجح أيضاً لأسباب أخرى. أعتذر منك آنسة سنكلير.

عضت لاين على شفتها. بالطبع هو يعتقد أنها كانت حبيبة آندي، وأنها لم ترفض سواه كما رفضته. ربما من الأفضل أن تتركه يفكر كما يشاء.

سألها بعد قليل: «والآن، هل أستطيع أن أسألك عن أمر ما؟».

- أجل... أظن ذلك.

- لماذا رضيتِ بالزواج بي لاين، ثم رفضتِ أن تكوني زوجتي فعلياً؟

عرفت لاين أنه سيطرح عليها هذا السؤال، فاستعدت للإجابة عنه.

قالت بهدوء: «مهما كانت مقاصد المرء جيدة، لا يمكنه أن يأمر الحب أن يحدث... ليس الحب الحقيقي بالطبع، وأعني... المشاعر التي يتبادلها الرجل والمرأة إن كانا يريدان تمضية حياتهما معاً».

تنفست بعمق وتابعت: «عندما فهمت ذلك، علمت أنني لا أستطيع أن أتحمل زواجاً هو فقط مجرد خداع. وأن عليّ أن أوقفه وأرحل».

لم تنظر إليه وهي تكمل: «كان عليّ أن أتظاهر... لكم من الوقت يمكن لذلك أن يدوم؟».

التزم دانيال الصمت لفترة، ثم قال ببرودة: «أنا طلبت الصدق، لذلك لا أستطيع أن أتذمر عندما أحصل عليه».

نظر إلى ساعته ونهض وهو يتابع: «لدي عمل في الصباح الباكر، لذلك سأتمنى لك ليلة سعيدة».

افعلي ذلك الآن قبل فوات الأوان! مدّت يدها وأمسكت بيده لتوقفه على الفور. قالت: «دانيال! قبل أن تذهب، هل يمكنك أن تسامحني؟».

نظر إليها وهي لاتزال جالسة قائلاً: «لاين، لست بحاجة إلى طلب السماح».

- ليس هذا ما أشعر به.

نهضت ووقفت أمامه واضعة ذراعيها حول ذراعيه. همست بصوت مليء بالشوق الذي اعتمل في صدرها عبر كل الأيام والسنين الماضية: «من فضلك، دان لا تتركني».

مرت لحظات من التردد أحنى بعدها رأسه ليضمها في عناق سريع، فمالت نحوه بصورة لا إردية لتشعر بدفء صدره. للحظة تجاوب دانيال معها، وفي اللحظة التالية انتهى ذلك العناق. رفع دان رأسه وأبعدها عنه. أمسك كتفيها بيديه، ونظر إليها من دون أن يبتسم، ثم سألها: «ما الذي يجري الآن لاين؟ أية مسرحية نقوم بتمثيلها هنا؟».

- لا أعرف ما الذي تقصده؟

- أقصد أنني ما زلت الرجل نفسه الذي ما كنت تستطيعين تحمل قربه، والذي قلت إن لمسته تثير اشمئزازك. ما الذي تغير فجأة؟

ترددت وهي تقول: «ربما أنا تغيرت دان... مضى وقت طويل على تلك الفترة».

- يا للغرابة! أتذكرها وكأنها حدثت البارحة.

- أهذا السبب، أنت تبعدني عنك الآن؟

آه... يا إلهي! إنه منتهى الإذلال، وقد بحثت عنه بنفسها.

قال دانيال بصوت عميق: «على العكس. أن تكوني قريبة مني هو أمر مثير للاهتمام بحد ذاته، لكن رفضك السابق يجعلني حذراً، وأنا متأكد من أنك تفهمين ذلك. ما الذي تريدينه مني لاين؟».

- أنا... أنا لا أعلم.

هذا كلام مثير للشفقة، لكنه الحقيقة فعلاً. فما زال ذلك اللغز في حياتها بحاجة إلى حل ما.

- إذاً ربما عليك أن تفكري جيداً وتقرري، قبل أن تقدمي على غلطة كبرى مرة أخرى.

أخيراً أبعد يديه عنها واستدار، وسار نحو غرفته.

قالت لاين بصوت كالهمس: «دانيال... ابقَ معي! من فضلك... لا تذهب».

ما إن وصل إلى باب غرفته، حتى توقف ونظر إليها ثم قال: «أنا لست ذاهباً الآن إلى مكان بعيد لاين. إن قررت أنك تريدينني في حياتك، تعرفين أين تجدينني. لكن إن أتيت إلي، حباً بالله! فليكن ذلك قرارك النهائي».

ثم لوى شفتيه وتابع: «مهما يكن الأمر، لن أحبس أنفاسي بانتظارك».

أغلق باب غرفته وتركها واقفة وحيدة في وسط الغرفة. فكرت لاين وهي تشعر بالضياع، لا يمكنني القيام بذلك... لا يمكنني أن أتوسل إليه و... لا يمكن أن يتوقع ذلك.

ذهبت إلى غرفتها وفكرت: ربما أنا مجنونة حقاً، لكن إن غادر دان من حياتي سوف أعاني من الوحدة لأصبح مجنونة فعلاً. يجب أن أقنعه بالبقاء حقاً.

قطعت المسافة إلى غرفته لتفتح الباب. رأت أحد المصباحين قرب السرير مضاء، لكن دانيال كان مستلقياً بدون أية حركة، وظهره مواجه للباب. للحظة اعتقدت أنه نائم، فهو ليس في انتظارها، ولا يتوقع منها أي شيء. بعدئذٍ استدار ببطء، كأنه يفعل ذلك بالرغم عنه، ونظر إليها رافعاً جسمه على مرفقيه. قال بنعومة: «هل عنيت حقاً ما قلته؟».

هزت لاين رأسها وهي ترمقه بنظرات محملة بالشوق الذي لم تعد تستطيع كتمانه. بقي دانيال جامداً يحدق بها كأنه لا يستطيع تصديق عينيه، وفجأة تحرك مبعداً الغطاء عنه، وسار من وراء السرير نحوها. ضمها بين ذراعيه واضعاً يديه في شعرها، وعانقها بقوة وشغف.

سألته: «هل ستسامحني على ما قلته من قبل؟».

همس برقة: «أريد فقط أن أنظر إلى عينيك، فهما صادقتان أكثر من لسانك».

- لن أتظاهر بعكس ما أشعر به بعد اليوم.

- أتعنين أنني لم أعد الرجل الذي يثير اشمئزازك بلمساته؟

- لم يكن الأمر هكذا.. لكن..

- لكن. . ؟ لِمَ لا تصارحيني بالحقيقة؟

تذمرت لاين من إصراره، إذ ما الذي يمكنها أن تقوله. هي ما زالت ترفض أن تكون حملاً ثقيلاً عليه، لكنها لا تريده أن يخرج من حياتها إلى الأبد. لقد جربت ذلك من قبل، وعاشته جحيماً.

- آه! ألا يمكننا التوقف عن الكلام والاستمتاع بوجودنا معاً.

- آه، حبيبتي! أنا لا أصدق أذني. لطالما حلمت بهذه اللحظة.

توقف عن الكلام ليضمها في عناق محموم مغرقاً إياها في بحر من المشاعر القوية التي كبتها في داخله منذ سنتين.

مر بهما الوقت من دون أن يشعرا وهما مستمتعان بالشغف واللهفة اللذين يحملانهما لبعضهما البعض. عندما توجهت لاين إلى غرفتها لتنام أخيراً، أحست كأنها تطير على أجنحة السعادة، ما جعلها تنام ليلتها بهدوء وتغط في نوم عميق.

عندما فتحت عينيها ثانية كان ضوء النهار يملأ الغرفة. أدركت أنها بمفردها في الشقة، فالصمت الذي يسود المكان أعلمها أن دان غادر إلى عمله. ضحكت بنعومة لنفسها وهي تتذكر مصالحتهما ليلة البارحة. وجدت نفسها تتساءل في الوقت نفسه كيف تمكن دانيال من النهوض باكراً، وكيف ارتدى ثيابه ورحل من دون أن تشعر به.

جلست، ونظرت إلى المنبه، ثم شهقت عندما رأت أن الساعة قاربت العاشرة، وهذا يعني أنها تأخرت كثيراً عن عملها. رمت الأغطية عنها وأسرعت إلى المطبخ لتسخن الشاي قبل أن ترتدي ثيابها، وهكذا يمكنها كسب بعض الوقت. لكن ما إن عبرت غرفة الجلوس حتى لاحظت أن هناك ورقة مطوية موضوعة على الطاولة في وسط الغرفة. فتحتها لاين، فإذا هي رسالة مقتضبة جداً.

«حبيبتي! اتصلت بالشركة التي تعملين فيها، وقلت لهم إنك لن تذهبي اليوم إلى العمل. لدي لقاءات عمل هذا الصباح، لكنني سأصبح حراً عند الغداء. أريد أن نلتقي في سافوي عند الساعة الواحدة والنصف. هناك أمر

أريد أن أخبرك به».

بدت الرسالة خالية من أي تعابير للحب كما فكرت لاين باستياء وهي تقرؤها مرة ثانية. لكن من قال إنها رسالة حب؟ طوت الورقة ببطء، وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع وتضطرب، فعلى الرغم من عناقهما المحموم ليلة البارحة، لم يذكر دانيال كلمة حب ولو مرة واحدة.

ليس من الحكمة أن تقرأ الكثير في موعد غداء، فربما هو مجرد بادرة لطيفة. في الواقع هي ليست متأكدة من أي شيء. لكن ربما بإمكانها أن تأمل ولو قليلاً.

حسناً! ما الذي سترتدينه للذهاب إلى سافوي للقاء حبيبك؟ سألت نفسها، بعد أن استحمت وغسلت شعرها. وراحت تتفحص ثيابها. في النهاية اختارت ثوباً مغلفاً بغطاء من النايلون. إنه الفستان الأصفر الذي ارتدته لتبدأ به رحلة شهر العسل.

غادرت باكراً للذهاب إلى موعد غدائهما، فاستقلت الحافلة لتصل إلى وست أند. شعرت بحرارة الشمس قوية وهي تتجول في المكان، فراحت تراقب واجهات المتاجر بعينين لا تركزان على شيء. فكرت أن استعراض السلع على هذا النحو لا يعجبها مطلقاً. بعدئذ بدأت تتساءل ما الذي يريد دانيال أن يتحدث عنه، وفي مكان عام كهذا. لو أن هناك شيئاً هاماً يحتاج إلى التحدث بشأنه، لأيقظها هذا الصباح ليخبرها به.

سارت لاين وهي غارقة في أفكارها، وكادت أن تتعثر بشخص خارج من أحد المتاجر. قفزت جانباً وهي تتمتم معتذرة، غير أنها سمعت صوت فتاة تقول: «عفواً. . . لكن، ألست لاين. . . لاين سنكلير؟».

أدركت لاين وهي تشعر بالرعب أن المرأة التي تبتسم لها بإشراق هي . . بليندا. تابعت هذه الأخيرة قائلة: «كم يسعدني أن أراك من جديد. ألديك عطلة هذا الصباح؟ أفكر في تناول شراب ما، لِمَ لا تنضمين إلي؟».

فكرت لاين باستياء: لكثير من الأسباب التي لا تستطيعين أن تتخيليها. لكنها وجدت نفسها تندفع بدون أية مقاومة نحو مقهى مجاور.

في مدينة يعيش فيها الملايين، لماذا عليّ أن أصطدم بك، وأنت آخر امرأة في هذا العالم أريد رؤيتها أو حتى التفكير بها؟ مع ذلك كان عليها أن تفكر ببليندا. اعترفت بذلك بيأس ما إن جلستا إلى إحدى الطاولات وأمسكت كل واحدة منهما لائحة الطعام. فكرت أنها بتقربها من دانيال تطمع بما يخص بليندا. مع أنها لم تفكر بذلك للحظة واحدة بالأمس أثناء عناقهما، لكن يبدو أن جلوسها مع بليندا الآن والابتسام لها والتحدث معها هو نوع من العذاب أو الثمن الذي عليها أن تدفعه.

عندما وصل النادل طلبت لاين فنجان كابوتشينو لم تكن راغبة فعلاً في شربه، بينما طلبت بليندا فنجاناً من الشاي.

- سأصاب بالغثيان قبل أن أنهي شرب الفنجان.

تنهدت بليندا ونظرت إلى حقيبة لاين الصغيرة الذهبية التي وضعتها على الطاولة، وتابعت: «هل كنت تشترين شيئاً مميزاً؟».

لمست لاين حقيبتها، وقالت: «إنه فقط عطري المفضل، مع أنني لن أستطيع شراءه بعد الآن».

- أنا أضع العطر نفسه طوال حياتي، والآن فجأة لم أعد أستطيع تحمل رائحته. أليس ذلك غريباً؟

رفعت لاين كتفيها وقالت: «أتراك سئمت منه؟».

- آه، يا إلهي! أعلم أننا بالكاد نعرف بعضنا، لكن مع ذلك عليّ أن أتحدث عن الأمر وإلا فإنني سأنفجر. أنا حامل، ولهذا السبب تخليت عن شرب القهوة في هذه الفترة، فأنا أنتظر مولوداً.

سمعت لاين أزيزاً غريباً في أذنيها، وفجأة بدا لها كأنها تنظر إلى بليندا من خلال الطرف الآخر للتلسكوب.

صوت تعرفت عليه كأنه صوتها قال بطريقة عادية جداً، بل حتى باهتمام وفرح: «هذا خبر رائع! تهاني».

تنهدت بليندا بفرح: «إنه أجمل ما يحدث لي. بالطبع، نحن لم نخطط لذلك مطلقاً، لكني سعيدة جداً بالأمر».

هناك أمر أريد أن أخبرك به. آه! دانيال... دانيال...!

نظرت لاين إلى بليندا وقالت: «لا بد أن حبيبك سعيد جداً أيضاً».

- حسناً! ردة فعله الأولى لم تكن مشجعة في الواقع.

تجهم وجهها قبل أن تتابع: «من المؤكد أننا لم نخطط لذلك... على الأقل ليس الآن. لذا بدا الخبر كالصدمة بالنسبة إليه».

ثم ضحكت قبل أن تتابع: «لكنه اعتذر بالشكل المناسب، وقرر أن يظهر حماسة بشأن الموضوع كله، وهكذا قررت أن أسامحه».

بدت بليندا كالحالمة وهي تكمل: «أنا أعلم أنه سيكون والداً رائعاً. أقصد... أنت تعلمين كيف تجري الأمور».

قالت لاين بهدوء أدهشها: «أجل، بالطبع».

هذه الأخبار جعلتها تشعر أن مذاق الكابوتشينو مر جداً. وأدركت إنها إن شربته فسوف تصاب بالغثيان بل ربما بالمرض الشديد. ربما ستمرض حتى الموت، وبعد ذلك لن تحتاج إلى التفكير من جديد ببليندا وبطفلها من دانيال، وبأنهما سوف يتزوجان ويستقران معاً كعائلة. فكرت والألم يعتصر قلبها، كيف تمكن أن يعانقني بشغف وحرارة ليلة البارحة وهو يعلم بهذا الشأن؟

آه! لأنها رمت بنفسها عليه. هذا هو السبب بالطبع. أراد دانيال أن يبدو لطيفاً وألا يسبب لها الإذلال. ذلك لن يشكل أي فرق حقيقي بالنسبة لخطته على المدى البعيد، ولا بد أن هذا ما يرغب في إخبارها به أثناء تناولهما الغداء في سافوي. إنه مكان عام حيث يستطيع أن يثق أنها ستتصرف بشكل راقٍ، ولن تقوم بمشهد درامي مزعج. على الأقل كان صادقاً بما فيه الكفاية كي لا يتظاهر بأنه يحبها. ربما يأتي وقت تشعر فيه لاين بالامتنان لذلك، لكن ليس الآن...

استمرت بليندا في التحدث بفرح: «بالطبع يمكن للجميع القول إن إنجاب الأطفال أمر متعب، لكنني لست متأكدة من أنني أريد أن أعلم بذلك، هل أنت مثلي؟».

- أنا لست متأكدة من ذلك. ربما لا.

دفعت لاين فنجانها بعيداً، وهي تشعر كأنها ستتقيأ من شدة الألم الذي يعتصر معدتها. نظرت إلى ساعتها، ونهضت على الفور قائلة: «يا إلهي! هل أصبحت الساعة الواحدة؟ سيبدأ عملي بعد قليل، لذلك عليك أن تعذريني على ما أخشى».

قالت بليندا بخيبة أمل: «آه! هل عليك أن ترحلي؟ أتمنى ألا تكون ثرثرتي هي السبب الذي دفعك للرحيل، فأنا لا أتحدث إلا عن الطفل؟».

- بالطبع لا!

وضعت لاين كمية من النقود على الطاولة ونهضت. بالكاد ابتسمت لبليندا قبل أن تقول: «أسعدتني جداً رؤيتك من جديد. وأتمنى لك أفضل الأمنيات في المستقبل... لك ولزوجك».

بطريقة ما تمكنت من الخروج، فأخذت تتجول كالعمياء بدون أي هدف؛ فتاة مرتدية فستاناً أصفر اللون في يوم مشمس، وليس هناك إلا الظلام في داخلها، فيما قلبها يتحطم من الحزن واليأس.

١١ - لِمَ لا ترحلين؟

تمنت لاين لو أنها تختفي ببساطة، فلا تظهر ثانية ولا يُسمع عنها أي شيء من جديد، تماماً كما رغبت أن يحدث لها عندما رحلت إلى فلوريدا. لكن ذلك لم يحدث حينها، وهو بالطبع لن ينجح هذه المرة، فهذه هي طريقة الجبناء. كما أنه ليس لديها أي مكان آخر تذهب إليه. عوضاً عن ذلك، عادت إلى الشقة، فبدلت ثيابها وارتدت زي العمل، تاركة الفستان الأصفر على الأرض، وذهبت إلى عملها.

قالت دنيز: «اعتقدت أنك أصبت بفيروس ما».

رفعت لاين كتفيها، وقالت: «شيء من هذا القبيل، لكنه رحل بسرعة».

عندما انتهى النهار كان عليها أن تعود لمواجهته، فليس لديها أي خيار آخر. عليها أن تضع نهاية لهذا الأمر وتدعه يرحل، منقذة ما تبقى من كبريائها. في الواقع، لا يمكنها إلقاء اللوم على أي شخص سواها بالنسبة لما حدث بينهما. إلغاء زواجهما أطلق سراح دانيال فبات حراً في إقامة أية علاقة يريدها، وإن كان سيجد السعادة مع بليندا، فذلك يعني أنها خسرت كل حق في الوقوف في طريقه.

بطريقة ما، شعرت لاين أن ما حدث بينهما وضع حداً لأمر لم ينته منذ سنتين. بدا أشبه بإقفال قضية عالقة. عليها أن تنظر إلى الأمر من هذا المنظار بغض النظر عن شعورها نحوه. من جهة أخرى، لا شيء أسوأ من الجلوس إلى طاولة في مطعم فاخر، وهي تصغي إلى دانيال وهو يقول لها بلطف إن علاقتهما لا مستقبل لها، ويخبرها بنفسه عن السبب.

هكذا وجدت لاين نفسها مرة ثانية مضطرة لمواجهته قبل أن تبتعد من

www.elromancia.com

جديد. وبينما راحت تنظف الأرضيات وتلمعها بسرعة بدون أي تفكير بالعمل، توصلت إلى أفكار جديدة لخطة ما.

وصل دانيال إلى الشقة قبلها. عندماوصلت وجدته قرب المدفأة، وقد رمى سترته وحقيبة عمله على أحد المقاعد، وعندما ترددت بالدخول عند الباب رفع رأسه ونظر إليها. قال بهدوء: «لماذا لم تأتي إلى سافوي؟».

قالت بسرعة: «تركت لك رسالة. ألم تصلك؟».

- علمت أنك لن تذهبي إلى لقائي، والآن أنا بانتظارمعرفة السبب.

قالت: «لم أستطع أن أتغيب. لا يمكنني أن أتخلى عن عملي، فأنا بحاجة إلى المال كي أعيش، لذلك عليّ أن أقوم بما هو مهم لي».

- وأنا لست في لائحة أولوياتك كما هو واضح ؟ وهذا يعني كما أفترض، أن تقاربنا ليلة البارحة لم يشكل أي فرق لديك.

رفعت لاين ذقنها قائلة: «ماذا تريدني أن أقول؟ حسناً! إنها مجرد معانقة، ومن الحماقة أن نعلق أية أهمية عليها».

كرر دانيال ببطء: «مجرد معانقة؟!».

شعرت كأن هناك خطراً محدقاً في الغرفة، لكنها قالت وقد أجبرت نفسها على الابتسام: «دان! أنا فتاة ناضجة الآن، وأعلم كيف تسير هذه الأمور».

- إذاً ربما بإمكانك أن ترشديني، لأنني اعتقدت أن ما حدث البارحة هو البداية لا النهاية.

فكرت بعيني بليندا المشعتين. آه، دان! كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ كيف؟ لديك بداية أخرى وارتباط جديد، وهي بحاجة إلى إخلاصك! أرادت أن تصرخ به... أن تلقي عليه الاتهامات... وأن تنعته بالكاذب، وبكل الأسماء المذلة لأنه وغد. لكنها تعلم أن هذه ليست هي الطريقة المثلى لإبعاده، وأن عليها أن تحتفظ بشجاعتها من أجل البقاء والاستمرار، لهذا قالت: «كيف يمكنني أن أفسر لك؟ هل تريد الصراحة؟ شعرت أننا وصلنا إلى نقطة اللاعودة، وأن كلاً منا سيذهب في طريقه. واعترف أنني كنت دائماً أتساءل، ولو بخجل، ما الذي سأشعر به لو عانقتني، وبدا لي أن تلك هي الفرصة

الأخيرة».

توقفت عن الكلام للحظات قبل أن تكمل: «والآن أشبعت فضولي، وانتهت القصة».

سألت نفسها والألم يعتصر قلبها، كيف يمكن لي أن أفعل ذلك؟ كيف يمكن أن أحول ذلك التعاطف والجمال والرقة إلى السخرية والهزء؟ كيف يمكن لذلك أن يحدث؟

تقدم خطوة نحوها وقال بقسوة: «طلبت منك الذهاب إلى سافوي لنتحدث. ألست مهتمة ولو قليلاً بما كنت أريد قوله؟».

أحنت لاين رأسها، وقالت: «مهما يكن فإنه لا يشكل أي فرق لدي، لأن لا علاقة لي بالأمر. كلانا يعلم أننا سننتقل إلى مكان آخر، وأن حياة كل منا ستأخذه إلى ممر مختلف، وأنا أتقبل ذلك، فلِمَ لا تفعل مثلي؟».

- لأن هذه ليست الحقيقة الكاملة، لاين.

استدار إلى الجهة الأخرى، فبدا وجهه قاسياً كالحجر وهو يتابع: «كنت ذاهبة للاقاتي. أعلم أنك فعلت ذلك، لأنني عندما وصلتني رسالتك أتيت إلى هنا باحثاً عنك. فكرت أنك، بعدما حدث ليلة البارحة، قد تخجلين من رؤيتي في ضوء النهار في مطعم مليء بالناس..».

مرر أصابع يده في شعره وتابع: «... فوجدت في غرفتك فستاناً مرمياً على الأرض... فستان أتذكره جيداً. لا بد أنك رغبت في ارتدائه ثم بدلت رأيك، وأنا أريد أن أعرف السبب».

قالت: «لا يمكن أن يكون هناك أي شيء آخر. هذه المرة تمكنت من تبديل رأيي قبل أن أقدم على غلطة كبرى أخرى».

قال دانيال بنبرة لاذعة: «ألا تعتقدين أنه كان عليك الاحتفاظ باندفاعك وعاطفتك من أجل الرجل الذي تحبينه؟».

ارتجفت لاين في أعماقها، وأجابت: «لم يعد الرجل الذي أحبه موجوداً قربي... أنا التي أبعدته عني..».

نظرت إلى الأرض خشية أن تلتقي عيناها بعينيه، فيرى الحقيقة فيهما،

www.elromancia.com

ويدرك أنها تتكلم عنه، ثم تابعت: «. . . وهو لن يعود أبداً».

قال دانيال بهدوء: «أتقولين لي إنك بالرغم من كل شيء، ما زلت تحبينه وتهتمين به؟».

- أقول لك إنك لا تستطيع اختيار من تحب. وربما اكتشفت أنني امرأة لرجل واحد، وأن لا شيء سيغير ذلك؟

أصبح الصمت بينهما بارداً وثقيلاً كالثلج، وبدا كأنه يمتد حتى اللانهاية.

أخيراً قال: «فهمت!».

ثم التقط سترته وحقيبته، وسار نحو غرفته.

ابتعدت لاين عن الباب، وهي تشعر بساقيها ترتجفان. شعرت بالحزن والكآبة ينتشران في أعماقها وفي كل حواسها. يبدو أن خطتها نجحت، وقد فعلت ذلك من دون ذكر بليندا، ولا أبوته الوشيكة، أو أي شيء آخر قد يسبب لها الانهيار أمامه.

عندما عاد دانيال كان قد بدل ثيابه، وهو يحمل بيده حقيبة السفر، مع حقيبة عمله وجهاز الكومبيوتر النقال.

قال بصوت قاسٍ: «أخذت معي ما أحتاج إليه لهذه الليلة فقط، وسأرسل من يأخذ بقية أغراضي يوم غد».

- إلى أين أنت ذاهب؟

خرج السؤال من فمها قبل أن تتمكن من منعه، وهذا تصرف طائش وغبي من قبلها، لأنها تعرف الجواب مسبقاً.

كان دانيال قد وصل إلى الباب، لكنه استدار ونظر إليها والمرارة في عينيه تلفح بشرتها. قال بصوت ناعم: «أعطيني استراحة قصيرة لاين. فما همك إلى أين أذهب؟».

ورحل. . .

* * *

قالت لها دنيز: «أنت تخسرين الكثير من وزنك. إذا ما استمريت كذلك يجب أن تطلبي من السيدة موس أن تعطيك زياً أصغر مقاساً».

ثم سألتها بعد لحظات قليلة: «لكن كيف تفعلين ذلك؟».

أجابت لاين بخفة: «الأمر بسيط جداً، أنا فقط أراقب ما آكله».

عليك ببساطة أن تقرري أن تكوني معذبة وتعيسة، فتراقبين طعامك، وتحركينه في الطبق، ثم ترمينه في سلة المهملات. . . آه! وأن تنامي نوماً متقطعاً مليئاً بالسهاد. ذلك ينجح تماماً كوسيلة لإنقاص الوزن.

هذا الوضع أجبرها على اتخاذ قرار بشأن الشقة. ما دام جيمي وساندرا قررا الاستقرار في نيويورك، وهما يخططان للزواج، ولا رغبة لديهما في العودة، فإن بيع الشقة واقتسام المبلغ مع جيمي بدا لها فجأة عملاً منطقياً.

منذ أن رحل دانيال، أي منذ ثلاثة أسابيع، تحولت الشقة إلى مكان لا تستطيع تحمله. أخذ دانيال كل ما يملكه، كما أن الشركة التي استخدمها عمدت إلى إزالة كل ما يخصه حتى المبالغة، فأزالت كل ما قد يذكرها به. آه! كم أحبته. . . وما زالت تحبه! حتى إن لاين لم تستطع أن تعود إلى غرفة نومها السابقة، بعد أن بدا لها الأمر مؤلماً جداً. فالغرفة نفسها عابقة بالذكريات التي تعذبها ليل نهار. باتت تخشى أن تلتقط صحيفة ما فتجد فيها ما يذكرها به أو تقرأ عنه تقريراً، أو ترى صوراً لزفافه. لذلك فكرت أن من الأفضل لها أن تعرض الشقة للبيع بأفضل سعر ممكن، علها بذلك تتمكن من البدء من جديد.

عندما عادت لاين ودنيز إلى المكتب لتسجيل ما حدث معهما أثناء النهار، حيّت السيدة موس لاين من دون أن تبتسم لها. قدمت لها مغلفاً وهي تقول: «ترك شاب لك هذا المغلف. لكن. . . كما تعلمين، نحن لسنا وكالة للمواعدة».

قالت لاين بصوت هادئ طبيعي: «أؤكد لكِ أنني لم أعطِ هذا الانطباع لأي شخص».

أخذت المغلف، ثم فتحته، ونظرت بإمعان إلى السطور القليلة المكتوبة على آلة الطباعة.

«نحن بحاجة إلى اللقاء مجدداً كي نتحدث. سأكون في مطعم بلايكس بيسترو

في شارع جورغان الليلة منذ الساعة الثامنة.

من فضلك، كوني هناك».

ولم تكن الرسالة موقعة.

استدارت لاين نحو السيدة موس، وسألتها بلطف: «هل ذكر الشاب اسمه؟».

قالت المرأة المتقدمة في العمر وهي تهز رأسها: «طلب مني فقط أن أتأكد من تسليمك إياها».

زفرت بضيق قبل أن تتابع: «وقلت له إنه شديد الوقاحة».

أصرت لاين على معرفة صاحب الرسالة، فقالت: «حسناً! كيف يبدو؟».

دانيال... لا بد أنه دانيال! لا أحد غيره يعلم أين أعمل. لكن لماذا يريد رؤيتي فجأة، بعد مرور شهر من الصمت المطبق؟

- لم ألاحظ؟.

ثم فكرت السيدة موس للحظة، وتابعت: «يبدو وسيماً... على ما أعتقد... إن كنت تحبين هذا النوع من الرجال».

ضربت دنيز لاين على ضلوعها، وعلقت: «لديك معجب سري. أليس كذلك؟».

قالت لاين بتعب: «لا معجبين على الإطلاق، حسب علمي».

حاولت دنيز المساعدة: «ربما هو الشاب الذي يقطن الشقة ذات الرقم أحد عشر، فهو لا يستطيع أن يبعد نظره عنك».

على الرغم من صراعها الداخلي، رفعت لاين كتفيها وقالت: «شكراً».

علقت السيدة موس بصوتٍ لاذع: «أي اختلاط ودي مع الزبائن هو مناف لأنظمة الشركة».

قالت لاين بضيق: «يسعدني سماع ذلك».

ذهبت إلى منزلها، والملاحظة الصغيرة تحرق المكان الذي وضعتها فيه في الحقيبة. لم تكن لديها أية فكرة كيف ستتعامل مع الأمر.

أمضت الساعة التالية وهي تتجول في الشقة. شعرت بالارتباك والرعب

وهي تتشاجر مع نفسها. تساءلت أي أذى سيحدث إن رأته مرة ثانية، فقط لمرة واحدة. ثم تذكرت أن «تلك المرة» هي كلمة محظورة في قاموسها، فهي تعلم أن عليها أن تمزق الملاحظة وتحرق آثارها. لا شيء يلزمها بالذهاب للقائه. لكن... لماذا يريد رؤيتها؟

هذا ما كررته لنفسها مراراً وهي تكوي الفستان الأصفر، متسائلة إن كانت المرة الثالثة هي ضربة الحظ لها.

* * *

لم تتوقف عن تذكير نفسها أنه لم يفت الأوان كي تستدير وتعود إلى شقتها حتى وهي تدخل عبر الباب الزجاجي لمطعم بيسترو. تقدم منها نادل سألها عن اسمها، ثم طلب منها أن تتبعه إلى الطاولات المنفصلة الموضوعة خلف نباتات عالية كأنها غرف صغيرة معزولة.

قال: «وصلت الآنسة سنكلير، سيدي».

وسار مبتعداً... في اللحظة نفسها رأت لاين غير مصدقة عينيها الشخص الذي ينتظر أن يصافحها.

بادرها بالقول: «مرحباً! جيليتي».

بدا آندي رشيق القوام، ذهبي البشرة. حياها بحرارة وبابتسامة صادقة ما زالت تتذكرها جيداً. أضاف بكبرياء: «تسعدني رؤيتك من جديد».

حولت الصدمة الممزوجة بألم خيبة الأمل ساقيها إلى مادة لزجة، لذلك كان عليها الجلوس قبل أن تقع أرضاً. قالت وقد ارتفع صوتها من الغضب: «أنت...؟ أنت...؟ لا أستطيع تصديق ذلك».

قال: «اعتقدت أنني بذلك أتحايل عليك قليلاً، لهذا السبب لم أوقع الرسالة».

سألته: «ما الذي تريده بحق الجحيم؟».

- لا تبدين سعيدة برؤيتي.

وتابع مستغرباً: «مع أن هذا... ليس الانطباع الذي وصلني. لكن كما تشائين».

- أبدو سعيدة؟!

حدقت لاين به كأنما نما له فجأة رأس آخر: «أبعد أن سرقت مالي وتركتني لذلك الحقير القذر؟».

تنفست بعمق لكي تتمكن من المتابعة: «كان من الممكن أن أتعرض للاعتداء، ثم أرمى في البحر كي أموت غرقاً. هل فكرت بذلك للحظة؟».

رفع كتفيه وقال: «تعرفين المثل القائل أن المرأة دائماً أسرع بالهرب من الرجل، كما أن استعادة مالي استحق تلك التضحية، لاين».

قالت: «مالنا! على ما أعتقد... إن فكرت قليلاً».

- بالمناسبة، ما دمنا نتحدث عن المال.

مدّ آندي يده إلى جيب سترته، وسلمها قطعة من الورق مطوية. أخذتها لاين بتردد، وسألته: «ما هذه؟».

قال: «هذه حوالة من المصرف بقيمة حصتك في السفينة. فكرت أنك لن تثقي بحوالة من رصيدي الخاص».

حدقت لاين بالرقم المطبوع على الحوالة، وقالت بصوت مرتجف: «يا إلهي!».

- والآن، أصبحنا متعادلين.

انحنى آندي إلى الأمام، وتابع بصوت منخفض: «لاين، لم أقصد أن أتركك تائهة. أقسم لك! لكنني وجدت نفسي في وضع سيء جداً، واضطررت إلى المغادرة بسرعة إلى مكان آخر».

قالت: «يا للغرابة! عانيت من التجربة نفسها تقريباً، وفي الوقت نفسه».

ثم وضعت الحوالة في حقيبتها، وتابعت: «ويبدو أن الرغبة في الذهاب إلى مكان آخر تلح علي الآن أيضاً، لذلك أتمنى لك ليلة سعيدة».

قال آندي بصوت أجش مليء بالعاطفة: «لاين، لا تذهبي! لديك كل الحق لتكوني غاضبة، لكنني أود أن نتصالح. أنا عدت إلى سابق عهدي ونهضت من جديد على قدمي، والآن أبحث عن مشروع جديد لأستثمر فيه، لاسيما إن استطعت أن أجد شريكاً. ففي النهاية كنا فريقاً رائعاً من قبل، وهذه المرة

سنكون أفضل».

نظر إلى عينيها مباشرة وقد لمعت عيناه بالنصر وهو يتابع: «لنصبح أقرب، ربما؟ ولننتهي كشريكين فعليين... تماماً كما كنت أرغب دائماً. ما رأيك بذلك؟ ما الذي تقولينه؟».

- لا شيء. ولا أهتم إن قلت رأيي علانية في مطعم محترم كهذا.

هزت رأسها قبل أن تتابع: «آندي! كنت حمقاء لأنني وثقت بك، ولا أعتقد أنني أعجبت بك يوماً، وما كنت لأرضى بك ولو قدمت لي على طبق من الماس. هذا هو الجواب المهذب، وأتمنى أن يكون واضحاً بما فيه الكفاية».

ذاب السحر من صوت آندي ليظهر مكانه غضبه ومكره، فقال: «آه! أجل. لكن كان عليّ أن أسأل، وهذا ما فعلته. فذلك جزء من الاتفاق... والآن بعد أن رفضتني، قدمي لي خدمة أخيرة. قولي لصديقك كي يتركني بسلام».

كررت لاين ببطء: «صديقي...؟ لا أعرف عمّن تتحدث».

- الزعيم... صاحب أكبر مؤسسة للنشر وعصابته من التحريين.

امتلأ وجهه بالغضب، وتابع: «هل تعتقدين حقاً أنني كنت لأدفع لك درهماً واحداً لو لم يقتفوا أثري ويمسكوا بي؟ سألوني العديد من الأسئلة المحرجة، باحثين في اتفاقات مضت، ومهددين بالادعاء عليّ أمام مكتب الاستخبارات الدولية، بل أسوأ من ذلك أيضاً».

ضحك ضحكة غاضبة قبل أن يتابع: «وفوق ذلك كله، ادعى صديقك أنك مغرمة بي، وأنك قد تكونين مستعدة للمسامحة والنسيان إن تقربت إليك بطريقة صحيحة. يا إلهي! هل فهم ذلك الأحمق الأمر بطريقة خاطئة؟».

رماها بنظرة وقحة وأكمل: «أمر مؤسف حقاً! شعرت بالزهو لفكرة أنك مغرمة بي، وما كنت لأمانع أن أعود معك إلى الفندق لنستمتع برفقة بعضنا، مع أنك أصبحت نحيلة جداً بالنسبة إلى ذوقي بالنساء».

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها باهتمام: «مع أنني أشك أنك ما زلت ساذجة كالسابق. صديقك المليونير أقام علاقة معك، أليس كذلك؟».

ضحك بسخرية وأكمل: «مسكينة أنت لاين! لا بد أنك لم تؤثري به مطلقاً ما دام مشتاقاً ليقدمك إلي. والآن سأرحل بنفسي، باحثاً عن رفقة أكثر مرحاً».

نهض وهو يتابع: «لكن لا تغادري بسببي. احتفلي بالكسب غير المتوقع. سأطلب أن تدفعي الفاتورة بنفسك، وأتمنى ألا تمانعي. كما أتمنى لك حياة سعيدة».

لم تراقبه لاين حتى وهو يغادر. تراجعت إلى الوراء وأغمضت عينيها، فيما كاد رأسها ينفجر من تسارع أفكارها وهي تحاول أن تستوعب ما قاله، صديقك الزعيم... صاحب أكبر مؤسسة للنشر...

دانيال فعل ذلك لأجلها؟! لاحق آندي، الرجل الذي اعتقد أنها تحبه، وطلب منه أن يتفاوض معها. حتى إنه اقترح عليه أن يدعوها للعودة إليه، لأنها هي من أخبرته بذلك، وهو حقاً صدقها.

لماذا كلف نفسه عناء ذلك كله؟ لماذا؟ أتراه يشعر بالذنب بسببها؟ ألأنه حظي بالحياة التي يريدها بينما هي ماتزال وحيدة؟ أم أنه لا يزال يشعر بالمسؤولية نحو الحمل الذي ألقاه عليه سيمون؟

فكرت لاين: أردت أن أطلق سراحه، لكنني فشلت في القيام بذلك. أشارت إلى النادل، ودفعت الفاتورة ثم سارت نحو المدخل بانتظار أن تصل سترتها. فجأة شعرت بيد تلمس ذراعها.

قالت لها امرأة: «لاين... لاين، رأيناك تدخلين، ثم رأينا صديقك يغادر. هل أنت بخير؟».

استدارت لاين لتنظر إلى وجه بليندا الجميل الذي تعلوه ملامح الاهتمام الصادق، فتمنت لو أنها تموت في تلك اللحظة.

آه، يا إلهي! لا بد أن دانيال هنا يراقب، ويتأكد أن المصالحة تمت وأنها وجدت أخيراً الحب الحقيقي الذي تبحث عنه. يا له من أمر مثير للضحك، إن لم نقل مثيراً للغثيان!

استجمعت شجاعتها، وقالت: «كل شيء بخير. إنه مجرد شخص عرفته في

الماضي، وقد اكتشفنا ببساطة أنه لم يعد هناك ما يجمعنا معاً».

بدا تعاطف بليندا حقيقياً وكبيراً جداً: «مسكينة لاين! لا تغادري، من فضلك. زوجي هناك، ويسعدنا أن تنضمي إلينا».

نظرت لاين إلى اليد التي تمسك ذراعها، ورأت أن بليندا تضع خاتماً بسيطاً من الذهب. إذاً لقد تم الزواج، ولم أعرف به!

قالت: «لا! حقاً، لا أستطيع».

قالت بليندا تلاطفها: «لكن لماذا؟ ففي النهاية، أنتما تعرفان بعضكما، ولستما غريبين».

هذا هو بالتحديد سبب رفضها. أرادت لاين أن تصرخ بها. لهذا السبب لا أستطيع القيام ببعض اللياقات الاجتماعية. لا أستطيع أن أجلس مع حبيبك وأتذكر أنه كان حبيبي أيضاً. لهذا السبب لا أستطيع أن أضحك وأتكلم، وآكل وأشرب كأن شيئاً لم يكن.

قالت: «عليّ الذهاب حقاً».

وصل النادل وهو يحمل سترتها، فأخذتها منه وشكرته، ثم نظرت إلى بليندا قائلة: «في مرة أخرى... ربما؟».

قالت بليندا تستمهلها: «على الأقل تعالي لتقولي له مرحباً».

شعرت لاين بمعدتها تكاد تتمزق من التوتر، لكنها أجبرت نفسها على الابتسام وقالت: «حسناً! فقط للحظة».

تبعت بليندا إلى طاولة أخرى موضوعة خلف نبتة كبيرة، وهذا يفسر لماذا لم تلاحظ وجودهما من قبل، بالاضافة إلى صدمة مواجهتها لآندي.

قريباً... قريباً جداً سينتهي هذا الكابوس المرعب، وعندها يمكنها الذهاب إلى منزلها.

ضغطت على أعصابها بقوة وهي تستعد لمقابلة زوج بليندا. نهض الرجل باحترام لا يخلو من الاستياء ليصافحها، فرأت رجلاً بديناً ذا شعر بني اللون ووجه لطيف أكثر منه وسيماً. رجل رأته آخر مرة منذ سنتين ونصف، في حفل زفافها، حين راح يتحدث إلى سيليا ويغازلها. فكرت، آه... يا إلهي! هذا

صديق دانيال. . .

قالت بصوت عالٍ غير واثق: «غاي. . . غاي لاوسن؟ أأنت زوج بليندا؟».

ثم هزت رأسها وتابعت: «أنا لا أفهم».

عيناه الزرقاوان بدتا باردتين وهو يسألها: «ماذا تريدين أن تفهمي؟».

شعرت بجفاف في فمها، وقالت: «اعتقدت أنها ستتزوج من دانيال».

حدقا بها معاً، وقالت بليندا أخيراً: «لا يمكن أن تفكري بذلك. هذا أمر مستحيل».

- لكنني رأيتك في الشقة، وقد أمضيت الليل هناك. . .

وضعت لاين يديها على فمها، ثم نظرت إلى غاي برعب، وتابعت: «آه. . . يا إلهي! أقصد. . .».

قالت بليندا: «اسمعي! يومها وجدني دان أعرج في الشارع تحت المطر، لأنني كسرت كعب حذائي. كنت أهذي من الغضب لأنني تشاجرت مع غاي أثناء العشاء، فخرجت مبتعدة عنه، تاركة حقيبتي على الطاولة في المطعم، لأجد نفسي بدون مفاتيح وبدون مال أيضاً».

مدت يديها وتابعت: «دانيال أنقذني، وهذه واحدة من الأمور التي ينجح بها جداً. جرني إلى داخل سيارته، وعندما رفضت أن أعود إلى المنزل أخذني إلى شقته، حيث جعلني أهدأ وأستمع إلى كلامه. شرح لي كم من السهل أن نترك الحب ينزلق من بين أيدينا، ثم نمضي حياتنا ونحن نشعر بالندم. أعارني سريره لما تبقى من الليل، بينما نام هو على الأريكة. وفي ذلك الوقت، وبينما كنت في غرفة الحمام، اتصل بغاي، ونصحه أن يتركني كي أهدأ ويذهب لاصطحابي عند الصباح. وهذا ما حدث بالتحديد».

رفعت بليندا يديها بحركة يائسة، وتابعت: «لكنك تعرفين ذلك بدون شك؟ ألم تسألي دان عما جرى؟ ولماذا أنا هناك؟».

قال غاي بسخرية ومرارة: «بالطبع لا! منذ متى وهي تهتم لما يجري في حياته؟ كنت واحداً من الأشخاص القلائل الذين حاولوا أن يخففوا عنه عندما

تخلت عنه في شهر عسلهما. وهو حتى الآن ما زال يهتم لأمرها».

هز رأسه، وتابع: «هذا أمر لا يصدق!».

قالت بليندا بصوت ناعم: «غاي!».

نظر غاي من جديد إلى لاين، فيما بدا وجهه غاضباً وهو يتابع: «حان الوقت ليخبرها أحد ما بذلك. مادمت لا تريدينه، فلِمَ لا تتركينه وشأنه؟ هل كان عليك العودة لتدفعيه إلى الرحيل بعيداً؟».

- أنا. . . لا أعلم عما تتحدث.

- سوف يرحل دانيال إلى الولايات المتحدة. سيبيع ذلك المنزل اللعين الذي كان ينهك نفسه لأجله. . . سيبيع كل شيء ويرحل. بالطبع، أميركا هي المركز الرئيسي لشركته، لكن منزله كان دائماً هنا. إنكلترا هي المكان الذي يعود إليه دائماً. والآن سيرحل بشكل دائم، ونحن سنخسره.

- وهل تلقي اللوم عليّ في ذلك؟

شعرت لاين بدوار من جراء الكلمات التي انهالت عليها كالمطرقة. رفعت كتفيها، وواجهته بمرارة وهي تتابع: «ألأنني أريد من زواجنا أكثر مما يستطيع دان تقديمه لي؟ ألأنني أردت أن يغرم بي كامرأة، لا كقطة ضالة يحاول إنقاذها من الغرق، وهي تحتاج إلى منزل جيد لتكون سعيدة؟ هل ما أطلبه مستحيل؟».

كرر غاي كلماتها كأنه يبصقها من فمه: «يغرم بك؟ يا إلهي، يا امرأة! إنه مجنون بحبك، من رأسه حتى قدميه. ما الذي تطلبينه أكثر من ذلك؟».

هزت رأسها وقالت: «لا! ليس الأمر كذلك. أنت لا تفهم. أنت لا تعرف شيئاً».

توقفت عن الكلام، مدركة أنها على وشك أن تقول المحظور. فجأة لم تعد تستطيع أن تفكر بطريقة سوية، ولم تعد تعلم ما الذي تفعله بعد الآن، لأن دان سيغادر. . . سيرحل إلى الأبد.

شعرت بالألم يشتد في حلقها، فتمتمت: «إنني أفسد أمسيتكما. . . من الأفضل أن أرحل».

حاولت أن تبتسم لبليندا وهي تتابع: «أتمنى أن تسير الأمور بشكل رائع في

حياتك».

خرجت بليندا وراءها إلى الشارع، وقد بدا وجهها شاحباً. قالت: «لاين، من فضلك لا تغضبي. أنا آسفة جداً. لم يقصد غاي أن يغضبك، لكنه يقدّر دان ويحترمه كثيراً. كلنا نفعل ذلك. وقد أصيب بالصدمة عندما علم أنكما تعيشان معاً. أما أنا فلم أكن أعلم شيئاً عن زواجكما وما حدث بعد ذلك. كل ما في الأمر، أن لا أحد ذكر ذلك أمامي».

شعرت لاين بالحزن، فاستدارت ثم ضمت بليندا إليها متمتمة كلمات تعزية ودعم. أما هي فأين عساها تجد الدعم والتعزية لقلبها المتألم؟

١٢ - أنت حبيبتي

شعرت لاين أنها متعبة حتى العظم ما إن خرجت من المصعد وقطعت الممر نحو شقتها. وضعت المفتاح في القفل كي تفتح الباب، لكن لسبب ما، كان باب بيتها غير مقفل.

تأوهت في أعماقها، آه... يا الهي! والآن ها أنا أتعرض للسطو. النهاية المثالية لأمسية لعينة كهذه.

فتحت الباب بحذر، وأطلت برأسها، ما لبثت أن توقفت مدركة أنها فتحت فمها من التعجب. فالسارق ما زال هناك، جالساً على الأريكة، وقد نزع عنه سترته وربطة عنقه، وفتح أزرار قميصه.

همست لاين باسمه كأنها خائفة من أن تلفظ اسمه بصوت عال فيختفي: «دانيال!».

دخلت إلى الغرفة، وأقفلت الباب وراءها، ثم سألته: «ما الذي تفعله هنا؟».

قال ببطء وهو يحدق بالشراب في يده: «احتجت إلى مكان لا يزعجني فيه أحد، وخطرت ببالي هذه الشقة».

- لكن... كيف دخلت إلى هنا؟

نزعت سترتها، ووضعتها على ظهر أحد المقاعد، وتابعت: «أعاد الرجال الذين أخذوا أغراضك المفتاح».

- أعدت لك مفتاح جيمي. وما زلت أحتفظ بمفتاحي.

نظرت إلى الكوب في يده وقالت: «وما هذا الذي تشربه؟».

- هذا ليس مجرد شراب... إنه دواء... كي أنسى كل شيء. كانوا

www.elromancia.com

يستعملون هذا الدواء في الأيام الغابرة. أثناء المعارك عندما يريدون اقتطاع الأطراف المصابة من دون أن يشعر المريض بأي ألم. أردت التأكد إن كان ذلك صحيحاً، وإن كان هذا الدواء يستطيع القضاء على هذا النوع من الألم.

وضع كوبه جانباً، وأكمل: «لكن على تجربتي أن تنتظر لأنك هنا الآن، وأنت تريدين شقتك. أعتذر لتطفلي».

سألته: «أي نوع من الألم؟».

- هناك مستويات عدة، لكن أكثرها سوءاً هو التفكير أنك مع رجل آخر، وأنك تسمحين له أن يعانقك ويلامسك.

تقدمت منه خطوة أخرى، وقالت: «لكنني لست مع رجل آخر».

نظر إليها فيما ظل وجهه متجهماً، مقيماً بنظره ما ترتديه.

- لا! هل يمكنني أن أسأل لماذا أنت هنا؟ ففي النهاية ذهبت إلى الموعد وأنت ترتدين أجمل ما لديك من ثياب.

- التقينا واتفقنا أننا لسنا مناسبين لبعضنا.

جلست على الأريكة المواجهة له واضعة حقيبتها قربها، وتابعت: «مهما يكن، لم تكن الأمسية عملاً خاسراً بالمطلق».

أخرجت الحوالة من الحقيبة، وتابعت: «هذه الورقة تساوي مبلغاً كبيراً من المال».

- هذا ما أتمناه.

- لا بد أنها كلفتك الكثير من الوقت والمال لتعيدها إلي. حتى إنك لم تكن تعرف اسمه بالكامل.

- جيمي يعرف اسمه.

قالت: «آه! أهذا هو سبب الاتصالات الغامضة بينكما؟ لم أفكر مطلقاً بذلك».

نظرت إلى الحوالة، وتابعت: «في مطلق الأحوال، جزء من هذا المبلغ يجب أن يكون لك».

- لا أريد سماع ذلك.

تردد قليلاً قبل أن يتابع: «إن أردت أن تدفعي لي بطريقة ما، بإمكانك أن تتخلي عن عملك المزري وأن تفعلي شيئاً مهماً في حياتك».

نظرت إليه ببرود فرأته يضطرب ويجفل قبل أن يقول: «أنا آسف، فالأمر لا يعنيني».

- لكنني كنت موضع اهتمامك دانيال، سواء رغبت بذلك أم لا.

ظهر الضيق على وجهه، وقال: «أنا آسف أيضاً لأن الأمور لم تسر بالطريقة التي أردتها».

رفعت كتفيها ببساطة، وقالت: «آه! لكن كما قلت لك مرة، لا يمكنك أن تختار من تحب».

قال بصوت مليء بالمرارة: «ما أسهل الأمر لو أننا نستطيع القيام بذلك، تخيلي ذلك لاين... ما إن يشير المرء إلى المرأة التي يحبها حتى تبادله الحب. فلا يقضي أياماً طويلة بانتظار نظرة أو ابتسامة، أو يعد الساعات لكي يراها مجدداً، وهو يحلم بالليلة التي يستطيع فيها أن يضمها بين ذراعيه».

نظرت إلى يديها المضمومتين في حضنها: «اعتقدت أنك أشرت إلى امرأة اسمها بليندا».

جلس دانيال على الفور بتيقظ، وقد بدت الدهشة على وجهه. قال: «هل أصبت بالجنون؟».

- وجدتها هنا منذ أسابيع... كانت تتجول في الشقة وهي ترتدي واحدة من قمصانك، فاعتقدت أنها فتاتك. ثم رأيتها مرة ثانية عندما كنت في طريقي لملاقاتك، فأخبرتني أنها حامل. افترضت أنك الوالد، واعتقدت أن من الأفضل للجميع أن أختفي من الصورة.

- أعتقد أن تعريفك لكلمة «أختفي»، غامض بالنسبة لي...

بدا وجهه خالياً من أية تعابير وهو يتابع: «... في الواقع، وضعت حياتي عند قدميك من جديد للمرة الثانية، لكنك رفستها كما فعلت في السابق».

- التقيت بها في مطعم بريستو الليلة مع زوجها، فأوضحا لي الكثير من الأمور.

- يا لشجاعتهما! لكن... ألم تفكري للحظة أن تسأليني عن الموضوع؟

- ربما... شعرت بالخوف.

هز دانيال رأسه، وقال: «أتخافين مني؟ أجد من الصعوبة تصديق ذلك».

- خفت من الأجوبة التي قد أحصل عليها...

ترددت قليلاً قبل أن تتابع: «... ومنك أيضاً».

- آه! حسناً، لم يعد للأمر أهمية بعد الآن. فكما قلت أنت مرة، وصلنا إلى مفترق طرق في حياتنا، وأعتقد أن غاي وبيل أخبراك أنني سأغادر إنكلترا. أليس كذلك؟

- أجل. ألا تعتقد أن هذا عمل درامي جداً؟

- ربما! لكن على المرء أن يتوقف عن الحلم، ويواجه الحقيقة في لحظة ما.

- أمن خلال الهرب؟ أية مواجهة هذه؟

قال بلطف: «هذا أمر لا يعنيك».

مد يده إلى سترته، وتابع: «والآن، سأرحل».

- لا! ليس بعد... من فضلك. هناك شيء ما أريد توضيحه.

ابتلعت لاين غصة قبل أن تكمل: «ماذا أردت أن تقول لي في ذلك اليوم في سافوي؟».

- لا شيء له صلة بالموضوع.

تنفست لاين بعمق، وقالت: «أتساءل إن كنت ستقول لي إنك تحبني... لأن ذلك هو صلب الموضوع».

قال: «لم تجدي الأمر كذلك في الماضي. لكن من أجل التوضيح، أحببتك طوال عمري... لكنني أغرمت بك كامرأة في عيد ميلادك السابع عشر، عندما ارتجفت وأنا أعانقك، وأدركت أنني أرتجف أيضاً».

قالت بصوت مليء بالألم: «آه، يا الهي! لماذا لم تقل لي؟».

- لأنني شعرت بالخجل من نفسي، فقد كنت صغيرة جداً على هذا النوع من الارتباط. قلت لنفسي إن عليك أن تنهي دراستك، وتحصلي على عمل ما، وتعيشي حياتك قليلاً. كما أن هناك سبباً آخر... اعتقدت أن سيمون سيقتلني

إن علم بما أفكر به.

تابع بعد قليل: «... وكنت محقاً بذلك».

قالت ببطء: «لكن سيمون طلب منك أن تتزوجني».

- كان يفضل الجحيم على حصول ذلك! تشاجرنا أسوأ شجار في حياتنا بسببك، وكدنا نتعارك ونتوقف عن التحدث مع بعضنا.

شهقت لاين، وقالت: «لكن.. كيف؟ ولماذا؟».

رفع دانيال كتفيه، وقال مفسراً: «بالنسبة إلى سيمون كنت لا تزالين شقيقته الصغرى، وأنت بحاجة إلى حماية. طلب مني أن أبعد يدي القذرتين عنك».

- لكنه طلب منك أن تكون مسؤولاً عني، إن حدث له أي مكروه.

- أجل. لكن نظراً إلى شروطه الصارمة...

لوى شفتيه باستياء، وتابع: «... كان عليّ أن أصبح أخاً لك... حارساً... صديقاً، ولا شيء غير ذلك. قال لي ذلك بكل وضوح. ما كان ليسمح لي مطلقاً بأن أصبح زوجك أو حبيبك، لأنك ما زلت طفلة بريئة وأنا النقيض التام لذلك».

- لكنك كنت صديقه المفضل.

- لأنني كذلك لم تكن لديه أية أوهام بشأني.

توقف عن الكلام لينظر إليها ويسألها: «في مطلق الأحوال، كيف عرفت أنه طلب مني أن أعتني بك؟».

التقت نظرات لاين بنظراته، وقد شحب وجهها. قالت باضطراب: «كتبت له رسالة توافق على طلبه، لكنك تقول إن ليس هذا ما تريده. وإنني حمل ثقيل أنت لست بحاجة إليه، وإن طلبه سيحطم حياتنا معاً».

عضت على شفتها وتابعت: «وجدت كنديدا الرسالة بين أغراض سيمون، وأحضرتها لي قبل أن تغادر في رحلة شهر العسل».

قال دانيال متأملاً: «كنديدا! تلك الأفعى السامة! كان سيمون قد أنهى علاقته بها قبل أن يغادر في رحلته. لا شك أنها تضع اللوم عليّ، مع أنني أقسم إنني لم أقل كلمة ضدها عندما كانا معاً، لكنه بدأ يرى بنفسه أن هذه الشقراء

www.elromancia.com

الجميلة صاحبة روح مزعجة وأنها ماكرة في أعماقها. إظهارها تلك الرسالة لك هي أسلوبها لتنتقم مني».

قالت لاين بصوت منخفض: «لكنني شعرت بالامتنان لها في ذلك الوقت، لأن ذلك يعني أنك تتزوج بي من أجل سيمون، ولم أستطع تحمل ذلك. لم أستطع تحمل أن تعانقني وتضمني إليك بدافع من اللطف والشفقة. لم أستطع العيش مع هذا النوع من الكذب».

قال دانيال بصوت مضطرب: «يا إلهي! لاين... أردتك أكثر من حياتي ذاتها، وبالكاد كنت أستطيع إبعاد يدي عنك. كيف لم تعرفي ذلك؟».

- لكنك لم تقل مطلقاً أي شيء، ولم تفعل أي شيء لتظهر ما تشعر به.

- لم أجرؤ على القيام بذلك. لأنك كنت يافعة جداً. لاين، لم أفكر مطلقاً أننا سنتزوج بسرعة. توقعت أن يعود سيمون سالماً، وأن نستمتع أنا وأنت بخطوبة طويلة ومريحة حيث تعتادين على الفكرة، ونتشارك في لحظات حميمة فعلاً. لكنني اكتشفت أنك ستؤخذين بالقوة الى إسبانيا، ما اضطرني إلى التصرف بسرعة.

- لكن حتى بعد أن سألتني أن أصبح زوجتك، أنت لم...

اقترب دانيال ليجلس بقربها، ثم أمسك يديها بين يديه وقال بلطف: «حبيبتي! أدركت أن أية علاقة متسرعة ستدمر حياتنا، وفكرت أنك ستشعرين بالأمان والسعادة أكثر عندما تصبحين زوجتي، كما فكرت بردة فعل كنديدا وأمك إن لاحظتا أي تبدل في علاقتنا، ولم أشأ أن أعرضك لذلك النوع من المكر والانتقاد من قبلهما».

توقف عن الكلام للحظات، قبل أن يتابع: «وإن أردت الصدق، كنت خائفاً أيضاً».

كررت لاين: «خائف؟ أنت...؟ لا أصدق ذلك».

- هذه هي الحقيقة. لم أغرم في حياتي من قبل، وهذا جعلني أشعر بأنني عرضة للتأثر السريع. كما أنك لم تعطيني أي تشجيع، حبيبتي. لذلك ساورني القلق وتساءلت إن كان الأمر ليس مجرد خجل، وإنك في الواقع لا تريدينني.

ففي النهاية، أنت لم تقولي لي مرة إنك تحبينني، ولم أكن متأكداً إن كنت حقاً تعلمين ما يعني الزواج بالفعل، أعني.. ليس العلاقة الجسدية فقط، لكن المشاركة الفعلية للحياة بحلوها ومرها.

همست لاين: «لكنك لم تقل لي أبداً إنك تحبني، حتى ولا في تلك الليلة..».

- حبيبتي! قلتها في كل مرة لمستك فيها. قلتها من قبل في كل مرة نظرت إليك وأنت تدخلين إلى الغرفة. يوم زفافنا اعتقدت أن قلبي سينفجر بسبب ما أشعر به نحوك، ثم راقبتك تصعدين إلى الطابق العلوي لتبدلي ثيابك؛ فتاتي الحلوة الضاحكة المشتاقة. وما لبثت أن عدت غريبة لا ترغب في التحدث إلي أو النظر في عيني. لم أعرف ما هو السبب، غير أن أسوأ كابوس في حياتي تحقق، ولم أعرف كيف أتعامل معه.

- لكن تلك الرسالة إلى سيمون جعلتك تبدو غير راض بالمطلق.

قال موافقاً: «يمكنني أن أفهم ما فكرت به، بالنظر إلى ما تحتويه الرسالة. وافقت بالفعل على أن أكون أخاً لك في المستقبل المنظور في حين أن مشاعري كانت مختلفة تماماً، لذلك بدا ترددي واضحاً ومفهوماً. لكن ما لم تريه غاليتي هو رد سيمون على الرسالة. أنا ما زلت احتفظ به، وسأعرضه عليك يوماً. قال في رده إنه فكر بالأمر مطولاً، وأدرك أنه لا يحق له قول الأشياء التي تلفظ بها، كما لا يحق له أن يحدد نوع العناية التي يجب أن أقوم بها نحوك. قال إنه اعتاد على النظر إليك كطفلة، ولم يفكر مطلقاً أنك تنضجين لتصبحي المرأة التي يمكن أن أحبها وأريدها كزوجة لي، وإنه أخطأ لأنه منعني من التودد إليك أو التقرب منك. في المقابل، صارحني بشكه في أن يكون هذا ما تريدينه أيضاً، وهو فقط يتجاهل الإشارات التي تعبرين من خلالها عن رغبتك تلك. هكذا أصبحت حراً طليقاً لأحبك ولأهتم بك بالطريقة التي أريدها. سألني أيضاً إن كنا نستطيع الانتظار حتى عودته، وهو سيقدمك لي بنفسه في يوم زفافنا».

همست متحسرة: «ليته فعل... آه! ليته فعل».

- هذا ما تمنيته أيضاً في كل يوم مرّ بحياتي منذ وفاته. لكن ها هو يعيدنا إلى

بعضنا الآن... على ما أعتقد... أليس كذلك؟

- أجل!

تنهدت لاين، وقالت: «آه! أجل. دان، قلت لك مرة إنني لم أسرق منك شيئاً، لكن هذا غير صحيح، لأنني سرقت من عمرنا سنتين في حين كان بإمكاننا أن نسعد بعضنا البعض».

قال دانيال وهو يبتسم لها: «ما تقولينه صحيح جداً، وسوف أحرص على أن تحصلي على الفرصة الكافية لتعوضي عليّ حتى آخر يوم في حياتنا».

أضاف بنبرة أكثر جدية: «لن نبتعد عن بعضنا حتى يفرق الموت بيننا حبيبتي الغالية، ولن أرضى بأقل من ذلك».

قربها منه، وضمها إليه بشدة، ثم عانقها وهو يهمس لها بكل الكلمات التي اشتاقت لسماعها.

لمس خدها بنعومة وهو يقول لها: «كان عليك أن تخبريني الحقيقة حبيبتي، وتدعيني أعلم ما الذي يشغل بالك».

قالت لاين بندم: «لم أجرؤ. خشيت أن اسمعك تعترف أن تلك هي الحقيقة، وما كنت لأتحمل ذلك. لم يكن لدي أي ضمان بأن ذلك لن يحدث، ولم يكن لدي الكثير من الأمل».

- وأنا تُركتُ بدون أي أمل على الإطلاق، يتآكلني الألم والغضب والمرارة.

تنهد وتابع: «قلت لنفسي إنني سأتخطى هذه المرحلة، وإنني سأحظى بحياة هادئة من جديد، لكن ذلك لم يحدث. أدركت أنك المرأة الوحيدة التي أردتها يوماً، وأن عليّ استعادتك مهما كلف الأمر ومهما طال انتظاري، وبأية وسيلة كانت، وأنني كنت أحمق جداً لأنني تركتك ترحلين. وعندما اكتشفت أنك رحلت إلى فلوريدا مع ذلك الحقير كدت أصاب بالجنون. أردت أن أتبعك وأخطفك من تلك السفينة وأعيدك إلى هنا، ثم هدأت وفكرت أنك قد تكونين مغرمة بذلك المتفاخر، وأن عليّ الانتظار، مهما كان ذلك صعباً علي.

«في ذلك الوقت، انتقلت للعيش هنا في شقتك، لأنام في سريرك. كان

ذلك الخيار الثاني الأفضل لي، فذلك كل ما أستطيع القيام به لأصبح قريباً منك. في الوقت نفسه أدركت أنني بحاجة إلى شيء آخر أقدمه لك، مع يدي وقلبي... شيء يمثل إغراء بالنسبة إليك لأقنعك بالمحاولة من جديد. وعندما عدت إلى هنا وأنت تكرهينني، علمت أن أمامي صراع مرير، وأنني بحاجة إلى كل ذرة من الصبر والسيطرة على النفس».

قالت لاين وهي تضع رأسها على كتفه: «أنا لم أسهل الأمر عليك».

- لا، حبيبتي. لم تفعلي. حتى عندما تصالحنا وتعانقنا لم أكن متأكداً من عاطفتك نحوي. لذلك، قررت أن أدعوك لتناول الغداء ثم أضعك في السيارة وأقودك لتري هدية عرسك. لم يكن قد انتهى بعد، لكن كنت سأقول: «هذا هو المنزل الذي قلت مرة إنك تريدينه مكاناً للعائلة، حيث باستطاعة الأطفال أن ينموا بسعادة، كما فعلنا نحن من قبل». لأن هذا صحيح، حبيبتي. ليست كل الذكريات سيئة».

جلست لاين تحدق به، وقد فتحت فمها من الدهشة.

- آبوتسبروك؟ آه... يا إلهي! أنت اشتريت آبوتسبروك. هذا هو المنزل الذي كنت ترممه وتجدده. أليس كذلك؟ هل اشتريته لنا؟

هز دانيال رأسه موافقاً: «أجل. بدا ذلك نوعاً من الإيمان الأعمى، إذ لم تكن لدي أية ضمانة بأنني سأستعيدك. كما فكرت أنك قد تكرهين هذا المكان، لذلك أريدك أن تعلمي أن ليس هناك من داعٍ لتقبلي به. بإمكاننا أن نجد منزلاً مختلفاً إذا كان هذا ما تفضلينه!».

- لا!لا!

ضمته لاين إليها وهي تضحك وتبكي في الوقت نفسه، وتقول: «أعتقد أن تلك فكرة رائعة، رائعة حقاً... آه! حبيبي... حبيبي! متى يمكنني أن أراه؟ هل يمكننا الذهاب الآن؟».

- بالطبع!

شدها لتعود إلى ذراعيه، ثم تأمل وجهها ببطء، وهو يتابع: «لكن لدي خطة أخرى في الوقت الحالي، وقد تجدينها مثيرة أيضاً».

قالت لاين، وهي تشهق ما إن انزلقت يده لتحيط بمؤخرة عنقها وهو يضمها إليه بقوة: «حسناً . . . ! غداً سيكون جيداً . . أو اليوم الذي يليه».

قال دانيال بنعومة: «أو حتى اليوم الذي يلي بعد غد».

وفي اللحظة عينها غرق كلاهما في عناق محموم ليعوضا به ليالي الحرمان والفراق، آملين أن تفتح لهما الحياة الهانئة ذراعيها، ليعودا من جديد زوجين . . . عاشقين.

www.efromancia.com
مـــرمـــوريـــة